



٢١٢ آ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
ك.ز التأويل ، للزمخشري ، محمود بن عمر – ٥٣٨هـ.
بخط عبد الله بن عبد العزيز الترمانيني الحلبي الشافعي
القادري سنة ١٢٨٠هـ.
٦٢٤٠ ج٢ (٤١٢ق) ٣١ س ٢٨,٥ x ١٨,٥ سم
نسخة جيده ، خطها نسخ واضح . طبع .
الأعلام ٨: ٥٥ معجم المطبوعات ١ : ٩٧٤
١– التفسير ، القرآن الكريم وعلومه أ– المؤلف
ب– الناسخ ج– تاريخ النسخ د– تفسير
١٢٥١/١ الزمخشري هـ – تفسير الكشاف .
ف ١٢٥١/١

سورة الكهف مكية (١١٠) آيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام
وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه واله من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم
ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان
والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة
فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا
من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب
فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما لانه اذا نفى
عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات
الاستقامة وفي احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له
بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها
شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد
الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا
باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل باسا وباسة
من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر
بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر
به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر
المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم
اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للاباء
وقد استملته اباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف

قيل

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا
شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين
فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم

قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم
بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به قرئ
كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى
التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم
على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس
ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون
عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة
فان قلت الام رجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون
القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف
على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه
وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها
ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرا ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرا ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم
يؤمنوا بهذا الحديث بالقران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف
المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون
زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل
الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه
الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة
في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات
والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس
التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة
اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال
امية بن ابي الصلت شعر: وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد
وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل
وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين
كانوا اية عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك
وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار
رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك اسدا
فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان يسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها
الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو
الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد
الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج

كبرت كلمة تخرج من افواههم
ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت
ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من
اياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف
فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ
لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم
في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم

هجد

اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم
فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون
الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله
قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين
المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل
قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من
ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القران ممتنع فكيف به لان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل
فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما
اضمر في قوله ؛ واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانسا فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت
ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة
غرضا في الضرب على اذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم
ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على
القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم
على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد
فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو خبر
في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان
بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت
افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على
الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز
ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا
وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها
وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم
واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاء
او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا
مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم
لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة شعر

الى ظعن يقرضن اقواز مشرف ؛ شمالا وعن ايمانهن الفوارس

وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها
ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في
متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من ايات الله

لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص
عليك نبأهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم
هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا
ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه
الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا
من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان
بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
واذ اعتزلتموهم وما يعبدون
الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا
وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم
ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات
الشمال وهم في فجوة منه ذلك من

اي ما صنعه الله من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة اية من اياته يعني ان ما كان في ذلك
السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش
فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان شانهم وحديثهم من ايات الله من يهد الله فهو المهتد
ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة
السنية والاختصاص بالاية العظيمة وان كل من سلك طريق المهتدين الراشدين فهو الذي
اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان
الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم منفتحة
وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة
واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا
وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق
رضي الله عنه وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان الاسم الفاعل
لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية
الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد شعر

بارض فضاء لا يسد وصيدها ؛ علي ومعروفي بها غير منكر

وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل
وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم
وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف
لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو
خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث
ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم
وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم
اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله
بهم فيعتبروا ويستدلوا على قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم الله به عليهم وكرموا
به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من
بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة
وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال
وظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف
وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى
علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث
ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فامره رسول الله ان يتخذ انفا

ايات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن
تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود
ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة

من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن
انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جايز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة
طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما
يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية
القوم من النفقات ومنه قول عايشة لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق
عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق
حج بيت الله وتقول منه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج اتوه
فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن
عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اي اهلها فحذف
الاهل كما في قوله وسل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف
اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا
يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يودي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمي ذلك اشعارا
منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة
وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها
والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء
الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك
من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في
نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم
عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث
الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين
ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب
الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها
كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين
وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون
بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في
قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون
مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل
عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك
دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان
والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون
مني انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم

ودخلوا

فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف
ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم
او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا
وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان
وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها
اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا
على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا

ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك
مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل
الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله
في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه
لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به
الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على
الآية الدالة على البعث قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس
ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت
من ذهب فرآهم في المنام كارهين الذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم
بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم
فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخايضين في
حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله من اهل الكتاب
سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله من اهل الكتاب
والمؤمنين سألوا رسول الله عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري
بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس
رضي الله عنه انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند
النبي صلى الله عليه وآله فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم
وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم
كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله عن لسان جبريل وعن علي
رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم تمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك
وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره
والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم
كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين قلت فيه وجهان
ان تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا
وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا
به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب
لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين
الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم
بادغام الثاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة
ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم
فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل

هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك
جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها
امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات
علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين
قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين
وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم
كلبهم على القطع والبتات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب
خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين
فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان
تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم
كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له
حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة
ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل
شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله
متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشيئة
الله دون فعله وذلك ما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء
الله ان تقوله بان يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئة الله وهو في موضع
الحال يعني الا متلبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى
كلمة تأبيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في
ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن
اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق
عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى
اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة
ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في
مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له
في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل
فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا
من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك
بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك
اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة

المنسية

فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت
فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك
اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي

المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج
على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه
من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت
شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي
اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نأت بخير منها
ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان
لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا
انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية
لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف
بيان لثلاثمائة وقرئ ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز
كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة أبي ثلاثمائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل
عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها
وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في
الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء
واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم
الضمير لاهل السموات والارض من ولي من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه
احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا
او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا
مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا
بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء
الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن وهم صهيب
وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك
الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذويب
فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في
كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر
الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم
يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء في القوم عدا زيدا وانما عدي بعن
لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم
تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك
عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى
كيف رجع المعنى الى قولك فلا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا

لاقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة
سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا
له غيب السموات والارض ابصر به واسمع
ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه
احدا واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل
لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك

اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عيناك ولا تُعدِ عينيك من اعداه وعدّاه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله ❊ فعدِّ عما ترى اذ لا ارتجاع له ❊ لان معناه فعدِّ همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المسلمين المؤمنين وان تنبو عينيه عن رثاثة زيهم طموحًا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل قل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حايط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله اني ارقت فبت الليل مرتفقا ❊ كان عيني فيها الصاب مذبوح اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معًا او تجعل اولئك كلامًا مستانفا بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدأ قلت من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الف صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم

اني

عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا

ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا

اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد رضي الله عنه الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته كلمة فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل شعر ❊ ❊ ❊

واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي

وترميني بالطرف اي انت مذنب ⁂ وتقلينني لكن اياك لا اقلي
اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء
الضمير وقراءة ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا
من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي
بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو
ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن
موحد كما تقول زيد غايب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها
خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة المحل والجزاء محذوف بمعنى اي
شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا
قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل
بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله
اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في
ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حايطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله
ردد هذه الاية حتى يخرج من قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة
مفعولا ثانيا لترني وفي قوله ولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك
فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب مابي ومابك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من
جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى
الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك
الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحد حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا
ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط به عبارة عن
اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك
ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومنه قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم
وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف
والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها
اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت
فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه
وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما
على ما كان منه ودخولا في الايمان قرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ
كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله
قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره
ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته
عن

عن انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك
اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا
لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه
او في مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي
احدا كلمة الجي اليها فقالها جزعا مما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون
المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم
من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتيني خيرا من
جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه
وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ
الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا عمرو بن عبيد رحمة الله عليه ورضوانه بالنصب على التاكيد
كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس
وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض
فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف
رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف
كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن
عباس رضي الله عنهما تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك
والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من
الانشاء والافناء مقتدرا الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويفنى عنه كل
ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من
الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الاخرة قرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا
وتسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منثورا منبثا وقرئ وترى الارض
على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم
نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل
وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل
واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير
ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم
كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى
قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظايم كانه قيل
وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور الكتاب
للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة

ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاه اي احصاها
كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد وما كان
عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه الصغيرة
المسيس والكبيرة الزنى وعن الفضيل رحمه الله كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل
الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء
ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم
كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم كان من الجن كلام مستأنف جار
مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من
الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو
كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر ربه لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم
ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض
تعمد من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده
الله وبين قول من ضاده وزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا
ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال ⁘
فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه
الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم
بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم
يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا في الالهية بقوله
ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم
خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين بمعنى وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا
فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم
شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح
لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين
على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون العين
وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا
قواه واعانه يقوله بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق
المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا
كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد
مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله
لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في

الدنيا

ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا

الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم صلوات الله عليهم وبالموبق
البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في
اعلى الجنان فظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا قال ⁘ ازهير هل عن شيبة من مصرف
اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل
وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين
ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا
انتظار ان يأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا
عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض
القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة
محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزوا بالسكون اي اتخذوها
موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك
بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر
ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن
لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد ذكر الافراد حملا على لفظ
من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء ابدا كانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف
كلها واذن جواب وجزاء فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب
وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم
فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك
بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد
وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى
يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لان
اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار
اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا
وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته
وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر
لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون بن
افرائيم بن يوسف عليه السلام وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فان قلت
لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال
فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال
فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية
له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري

ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا

حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير
المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغايب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى
لا ابرح مما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان
ومجمع البحرين المكان الذي وُعِدَ فيه موسى لقآء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم
مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام
لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من
يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى على مصر
مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام
فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم
قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين
وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى عليهما السلام وكان على مقدمة ذي
القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال
الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي
عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن
ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه
قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو
هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب
الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا
الصخرة فاذا رجل مسجّى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرّفه نفسه فقال
يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة
جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار
ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة
على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشئ وقيل كان
الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين
تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة رَوْحُ الماء وبَرْدُه عاشت وروي انهما
اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء
سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب
معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد
امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر وقيل
سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوزا
الموعد ولم ينصبه ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة
الى

فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله
في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

الى مسيرها ورآء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما
على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها
وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام المآء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه
ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام
الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم
الى ذلك انه ضُرِّيَ بمشاهدة امثاله عند موسى من العجايب واستأنس باخواته فاعان الالف
على قلة الاهتمام ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من
ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه
وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كانه قال
ارايت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون
نهر الزيت وان اذكره بدل من الهآء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي
قرآءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا
عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة
ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك ذلك اشارة
الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقآء الخضر وقرئ
نبغ بغير يآء في الوصل واثباتها احسن وهي قرآءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح اليآء
اتباعا لخط المصحف فارتدا رجعا في ادراجهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما
اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو
الاخبار عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت
اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشى لا موسى بن عمران لان النبي يجب
ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ
العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان
نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال
كذب عدو الله نفي استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك
بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز
وينقبض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لانه
لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا
اي ستجدني صابرا وغير عاص او في لا او لا محل له عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه
على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الامر وعن
الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ المصلح

قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله
في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما
قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على
ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا

عنه مشاهدة الفساد شئ لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه
واتباعه واقتباس العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من
باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قرئ فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك
اذا رايت مني شيا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني
بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من اداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع
فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال
صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لجج اخذ الخضر الفاس
فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى عليه السلام يسد الخرق بثيابه
ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع
جئت شيا امرا اتيت شيا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء اذًا امرا بما نسيت
بالذي نسيته او بشئ نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة على الناسي او اخرج
الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من
معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم عليه السلام هذه اختي واني
سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه
اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسّر علي
متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسُرا بضمتين فقتله قيل كان
قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحايط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت
لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل
خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت فلم
خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية
وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ
الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري
كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان
ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل
نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيا انكر من الاول لان ذلك
كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت
زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه
الكرة او المسالة فلا تصاحبني فلا تقارنني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ
فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تُصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني
عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدْني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد
عضْد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك وقال رحمة الله علينا

قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا

وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية هي انطاكيه وقيل الابلة
وهي ابعد ارض الله من السماء ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا
وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه
انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لياما وقيل شر القرى التي لا يضاف
الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة
كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا
وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان
ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفا
وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد
والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال
اذ قالت الانساع للبطن الحق وتقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكى الي
بعبرة وتحمحم فان يك صادقا وهو صادقي ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز
الابلق ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاءة هم اذا انقاد الهموم تمردا ابت الروادف والثدي
لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طايعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله
من لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة
فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض
اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطاير وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من
الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة
منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى
وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع
كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسالة
فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال
لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به ونستدفع به الضرورة وقرئ
لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء
فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى
عليه السلام ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول
هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا
الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي عبلة فاضيف
المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم
زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم
في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت

فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك ساانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان

ان اعيبها مسببا عن خوف الغصب فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت
النية به التاخير وانما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها
للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قرآءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة
قرأ الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا
فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما
شرا وبلآء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما
بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك
لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها
في حياته وفي قرآءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر
فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك
وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقآء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف فروي انه
ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين
نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين
واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن
يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف
يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل
الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الاية
وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين
وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج
في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد
انبأنا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى
رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن امري عن اجتهادي ورأيي وانما فعلته بامر الله
ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران
نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض
واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه
وتحوطه الظلمة من ورآئه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا
يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبيآء حتى تسميتم باسماء
الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل
عنه فقال احب الله فاحبه وسأله ابن الكوآء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك
ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب

ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ
كل سفينة غصبا واما الغلام
فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما
خيرا منه زكوة واقرب رحما واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة
وكان تحته كنز لهما وكان
ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من
ربك وما فعلته عن امري ذلك
تاويل ما لم تسطع عليه صبرا
ويسئلونك عن ذي القرنين قل

على قرنه

على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد
فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني
جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من
الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا
رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز
ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم
ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله
ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لأحد الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء
اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به
الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك
اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فأتبع قرئ حمئة من
حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله تعالى عنه
كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري
يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قرآءة
ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن رضي الله عنهم وقرآءة ابن عباس رضي الله
عنهما حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس
حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه
الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في مآء وطين كذلك نجده في التورية
وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع ... فرأى مغيب الشمس
عند مآبها ... في عين ذي خلب وثأط حرمد ... اي في عين مآء ذي طين وحمأ
اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان يكون العين جامعة للوصفين جميعا
كانوا كفرة فخيرهم الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة
والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقآء على الظلم العظيم الذي هو الشرك
فذاك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه الايمان فله جزآء الحسنى وقيل
خيرهم بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزآء الحسنى فله ان يجازي
المثوبة الحسنى او فله جزآء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزآء الحسنى اي فله الفعلة
الحسنى جزآء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه
من امرنا يسرا اي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك
وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى
بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها يريد كأن آثار مجر الرامسات على قوم قيل
هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس

قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض
واتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين
اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من
ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا
نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى
وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى
اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا
[illegible]

دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت
عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى
ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا
كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي
فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك
ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع
الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد
احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها
سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس
والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل
ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمه في تعذيبه لمن بقي منهم
على الكفر واحسانه الى من آمن منهم بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين
ما بينهما قرئ بالفتح والضم وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح
لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه
الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك
وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في
منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون
يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع
كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة يأجوج ومأجوج اسمان اعجميان بدليل منع
الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج
من الترك ومأجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا يأكلون الناس
وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد
منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا
الطول وقصار مفرطوا القصر قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما
النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا
من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان
صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ ما مكني بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة
بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم
اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل
الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد

وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى
اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين
ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض
فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير
فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما

ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب
على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين
مائة فرسخ وقرئ سوى وسووي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به
فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته والصدفان
بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين
والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر
وقطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وقرئ قال ايتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج
من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء في الطاء
فلاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه
وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله
ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا
دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان يأتي جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء
بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا
بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز
ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين
في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا
به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس
ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم
فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن
وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه
الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم فلا
استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء
كما حكي عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه افظن الذين
كفروا وقراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء
على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل
في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي
قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم
ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد رضي الله عنه
اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي

اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين
قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ
عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا
له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي
جعله دكا وكان وعد ربي حقا وتركنا
بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور
فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا
افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم
للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين

سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها
لم تزن شيا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل
لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيآت من الموحدين وقرئ فلا
يقيم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على
هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل جهنم
عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها
عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم واماينهم وهذه غاية الوصف
لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول
وتاكيد الخلود المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال
السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات الله علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر
الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا
تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ
ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم
تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات
الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول
وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان
لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب
ابن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله
لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا
قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال
الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه
الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند
مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى
ربه نداء خفيا كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن
ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر راعى سنة
الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان وكان الاخفاء اولى لانه ابعد
من

من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام
على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين
خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ
صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام
فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون
قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا قرئ وهن
بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن
تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده
لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد
ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه
بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار
في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال
النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس
واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفاء بعلم المخاطب انه راس زكريا عليه السلام
فمن ثمة فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله تعالى بما سلف له معه من
الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن
توسل بنا الينا وقضى حاجته واني خفت الموالي من ورائي وكانت امراتي عاقرا فهب لي من
لدنك وليا كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين
ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى
به في احياء الدين ويرتسم مراسمه من ورائي بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر
وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت
فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي اي خفت الذين يلون الامر من ورائي
وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهذا
على معنيين احدهما ان يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي
قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني
ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم
من به تقو واعتضاد من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله تعالى
وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب
لاني وامراتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا يرثني
ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس
والجحدري رضي الله عنهما يرثني وارث ال يعقوب وعن الجحدري اويرث على

تصغير ورث وقال غُلَيْم صغير وعن علي كرم الله وجهه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني
به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث
المال وقيل يرثني الحبورة وكان حَبْرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثه وورثت
منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء
وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا
وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود عليهما السلام يا زكريا
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا سميا لم يسم احد يحيى قبله وهذا
شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها
انبه وانوه وانزه من النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر
تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال
قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله تعالى هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل
سمي لان كل متشاكلين تسمي كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل
واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد
سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم
بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا قال رب انى يكون
لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا اي كانت على صفة العقر حين انا
شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين أفحين اختل السببان جميعا ارزقه
فان قلت لم طلب اولا وهو وامراته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد
واستعجب قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا
اولا وآخرا كان على منهاج واحد في ان الله تعالى غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو
اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر
والطعن في السن العالية اي بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب
وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابي ومجاهد عسيا
قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كذلك الكاف رفع
اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره
هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن
وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي
ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله تعالى لا الى قول زكريا عليه السلام
وقال محذوف في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم
تنوه لان الله تعالى هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله ؛ واذ اي غير شيء لانه
رجلا ؛ وقرأ الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك قال رب اجعل لي آية قال آيتك

يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لي غلام و
كانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم

الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه
ولم يكن جبارا عصيا اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان
تُمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر
الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر ثلاثة ايام ولياليهن اوحى
اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس رضي الله عنه كتب لهم على الارض سبحوا
صلوا وعلى الظاهر وان هي المفسرة اي خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد
الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما كحلم وهو الفهم للتورية والفقه في الدين
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن
الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه حنانا رحمة
لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه ؛ وقالت حنان ما اتى بك ههنا ؛
اذو نسب ام انت بالحي عارف ؛ وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم
استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة
الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا سلم الله عليه
في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان
الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة
العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت
المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض
محتجبة بحائط او بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها
فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب
امرد وضيء الوجه جعد الشعر فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا سويا سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية شيئا او حسن الصورة مستوي
الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة
الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من
تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا
لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا
عليه السلام اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها
فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل
قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان
النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل عليه السلام

الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا
وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا واذكر
في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن

لان الدين يحييه و يوحيه او سماه الله روحا على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك
انت روحي وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند
الله الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه
من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان
كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني
بشر ولم اك بغيا اردت ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به
فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين اي انما رسول من استعذت
به لاهب لك لاكون سببا في الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني
ان اهب لك او هي حكاية لقوله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح لانه كناية عنه كقوله تعالى
من قبل ان تمسوهن او لمستم النساء والزنى ليس كذلك انما يقال فجر بها وخبث بها وما اشبه
ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والاداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول
عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت
فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اية
للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا ولنجعله تعليل معلله محذوف اي ولنجعله اية للناس
فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين له قدرتنا ولنجعله اية ونحوه وخلق الله
السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض
ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لابد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقا
بان يكون ويقضى لكونه اية ورحمة والمراد بالاية العبرة والبرهان على قدرة الله تعالى وبالرحمة
الشرايع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير
بالتكوين فحملته فانتبذت به مكانا قصيا عن ابن عباس رضي الله عنهما فاطمانت الى قوله
فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة الشهر
وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
الا عيسى عليه السلام وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته
في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل
ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد
كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به
اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها
ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا
بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف
فلما قيل حملت من الزنى خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته
نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها فاجاءها

منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك
لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام
ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك
قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس
ورحمة منا وكان امرا مقضيا فحملته
فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها

المخاض

المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اجاء منقول من
جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان
واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره اتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم
يقل اتيت المكان واتانيه فلان قرا ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت
الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه
عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة
وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة
كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس
فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما ان يكون تعريف
الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها
منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على
البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جميع الايات فيها اختارها لها
والجاها اليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من
حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح
في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا
انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له
من شانه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك
لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله تعالى
او لشدة التكليف عليها اذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص
الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اعتبارك
بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا
تعاب به وتعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة
نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر
كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته وقرا
الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك
سريا من تحتها هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى عليه السلام وهي قراءة
عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تعالى تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها
تحت الاكمة فصاح بها الا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك وعيسى
وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن السري فقال هو الجدول قال لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها
وقيل هو من السرو والمراد عيسى عليه السلام وعن الحسن رحمه الله كان والله عبدا سريا فان قلت

المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل
هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها
الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا

ماكان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلي بالسري والرطب قلت لم يقع التسلية بهما
من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة
والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة من العادات
خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها
وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين
من البشر احدا تساقط فيه تسع قراآت تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين
وتساقط بطرح التاء الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط
وتُسقِط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراآت وعن المبرد جواز
انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك
الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير
من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا
بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احديهما الاكل والشرب والثانية
سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله تعالى فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا
ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقري وقري بالكسر لغة نجد ترين بالهمز
ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتآخ
بين الهمزة وحرف اللين في الابدال فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا
صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك رضي الله عنه مثله وقيل صياما
الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت
لانه نسخ في امته امرها الله تعالى بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين
لها في كلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها
والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن
اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل
سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فاتت به قومها تحمله قالوا
يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا
الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو
موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه
في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل
اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها
به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح
تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون

هذا

وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا

هذا وقرأ عمرو بن لجاء التيمي ما كان اباك امرؤ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى
غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى عليه السلام في
الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت
صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها فاشارت
اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني
مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا
شقيا فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكرياء
صلوات الله عليهما وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من
زناها ويروى انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاعة واقبل عليهم بوجهه واتكأ على
يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان
كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هنا لقريبه
خاصة والدليل عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر ان يكون نكلم حكاية
حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان تكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان
حتى نكلم هذا انطقه الله تعالى اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل
واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفولته اكمل الله عقله واستنباه طفلا نظرا في ظاهر
الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما
كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كنت وقيل معلما للخير قرئ وبرا عن ابي نهيك
جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة
وكلفنيها واحد والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا والسلام علي قيل
ادخال لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك
السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة
على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة
فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب
وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ذلك عيسى ابن مريم قول
الحق الذي فيه يمترون قرأ عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال
الحق وقال الله وعن الحسن رحمه الله قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول
والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل
او خبر مبتدأ محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى عليه
السلام كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله تعالى كن من غير
واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد

فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون

بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ونعضده
قوله تعالى الذي فيه تمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون
والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى
ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن ابي
ابي بن كعب رضي الله عنه قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ
من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على
انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ مر غير
المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اراد شيئا من
الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه
ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد
على المأمور الممتثل وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من
بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه
ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا واستاروا ابو عبيد
بالكسر على الابتدا وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه
الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية
ويعقوبية وملكانية وعن الحسن رضي الله عنه الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة
عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم
القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم
العظيم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال
او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه عليهما السلام اسمع بهم
وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون لا يوصف الله بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ
جدير بان يتعجب منها بعدما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهدد بما سيسمعون وسيبصرون
مما يسوؤهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد
من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين
اغفال النظر والاستماع قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ
بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله تعالى في ضلال مبين عن
الحسن رضي الله عنه وانذرهم اعتراض وهو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال
غافلين غير مؤمنين انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون واذكر في الكتاب
ابراهيم انه كان صديقا نبيا يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني

ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون واذكر في الكتاب

الارض ويذهب بها الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه
وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذه التصديق
للكتب والرسل اي كان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق
لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه
الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابراهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم
الرجل اخاك اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يجوز ان يتعلق
اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه
تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه
اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فالله تعالى وهو ذاكره ومورده في تنزيله التاء
في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا
لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه على الواو الساقطة
انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ والارتكاب الشنيع الذي
عصى فيه امر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه
في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب
الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك
ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي
واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطأيه طلب
منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا
على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه
بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة
والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ
انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو
الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره
وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا
عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور
فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا
ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيها يا ابت اني قد
جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا
به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من
العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني

ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا

وإياك في مسير وعنزي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه يا ابت
لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ثم ثلث بتثبيطه وتهنيه عما كان عليه من
الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك
الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وهو عدو ابيك ادم وابناء جنسك
كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر
عابد الشيطان الا ان ابراهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية
لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم
يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره
واطبق على ذهنه يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا
ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن
الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان
يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة
اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه
وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز
العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه
واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا
ما في لا يسمع وما لم يأتك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا
يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما
ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغنا ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين
والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك وقد جاءني فيه تجدد العلم عنده
قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا لما
اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة
مع تلك الملاطفات اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم
يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدأ في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم
عنده وهو عنده اعني وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان الهته
ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان
يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه
الرجم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل
الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني والهجران قبل
ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي بكذا اذا كان له مضطلعا به فان قلت
علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني

يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا

واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا
سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح
والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار
فان قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبة
عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث
والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله
واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار
للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفاء
به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه
الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر اي ما قال واغفر لابي
الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم الحفي
البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي
عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق
ويعقوب وكلا جعلنا نبيا اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه
منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما
اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء عرض لشقاوتهم
بدعاء الهتهم في قوله تعالى عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من
هضم النفس ما خسر على الله احد ترك الكفار والفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء ووهبنا
لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا
نبيا من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي
اوتوه لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد
وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم
استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان
كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه المخلص بالكسر الذي
اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله
الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب
كيوشع وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا الايمن من اليمين اي من ناحيته

قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا

اليمني او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير
واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التورية ووهبنا له
من رحمتنا اخاه هرون نبيا واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا
نبيا من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما في قوله تعالى
ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدله وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا
اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن
ابن عباس رضي الله عنهما ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره
من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب نحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف
من خصاله عن ابن عباس رضي الله عنهما انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره
سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله
من الصابرين وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس
انه كان صديقا نبيا كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم
ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم
نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة
وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب
فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك قيل
سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا
من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل
العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل
باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يتحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه
الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا
من الدرس ورفعناه مكانا عليا المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى وقد انزل
الله عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط
الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك رضي الله عنه يرفعه انه رفع في
السماء الرابعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الى السماء السادسة وعن الحسن رضي الله عنه
الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشعر الذي اخره بلغنا السماء مجدنا وسناءنا ❊ وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا ❊ قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين
من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى
عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى
ادريس عليهما السلام ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وعد الله

الذين

الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان
ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من
ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل
وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان
جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا
قرا شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل البكي جمع
باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا
القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرات القران على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا وقالوا
يدعو في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرا اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من
الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك
وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه
قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة
اياتك فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا
خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما
قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود
تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم ومجاهد
اضاعوها بالتاخير وينصر الاول قوله تعالى الا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه
في قوله تعالى واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة
رضي الله عنه هو في هذه الامة وقرا ابن مسعود والحسن والضحاك رضي الله عنهم الصلوات
بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ❊ ومن يغو
لا يعدم على الغي لائما ❊ وعن الزجاج جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي مجازاة اثام
او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وروى الاخفش يلقون
الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا قرئ يدخلون ويدخلون
اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر
لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة
اي شيئا من الظلم جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا لما
كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة
والعلالي وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن

ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا

فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا

لم يصرف اعلاما لمعنى الفتنة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك وهو علم لأرض
الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من
المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع
على الابتدا اي وعدها وهي غايب عنهم غير حاضرة او هم غايبون عنها لا يشاهدونها
او بتصديق الغيب والايمان به قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو
الجنة وهم يأتونها او من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه
ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها
وما احسن قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا
اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك
فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب ؛ او لا يسمعون
فيها الا قولا لا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثنا المنقطع او لان معنى السلام هو
الدعا بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعا بالسلامة اغنيا فكان
ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من يأكل
الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي
العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند
العرب من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان
صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك
الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نورث وقرئ نورث استعارة اي نبقي
عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقيا يلقون ربهم يوم القيمة
قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما
يورث الوارث المال من المتوفي وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل
النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسيا وما نتنزل حكاية قول جبريل عليه السلام حين استبطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل
عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجى ان يوحى
اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه
فلما نزل جبريل قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطأت حتى سآء ظني واشتقت
اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست
احتبست وانزل الله هذه الاية وسورة والضحى والتنزل على معنيين معنى
النزول

جنات عدن التي وعد الله عباده بالغيب
انه كان وعده مأتيا لا يسمعون
فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث
من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل
الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وما كان ربك
نسيا

النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله ؛ فلست لانسي ولكن لملاك ؛ تنزل
في جو السماء يصوب ؛ لانه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللايق
بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا
بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن
فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ
العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى
لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل
ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو
اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا
وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء
والارض والمعنى انه المحيط بكل شي لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف
نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك
نسيا وما كان تاركا لك كقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول
الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن
لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا
بان منّ الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة
والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا
لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان
والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم لحين
عرفته على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرأ
الاعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود رضي الله عنه
الا بقول ربك يجب ان يكون الخلاف في النسي مثله في البغي رب السموات والارض
وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا رب السموات والارض بدل من ربك
ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله ؛
وقائلة خولان فانكح فتاتهم ؛ وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من
كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت هلا عدي اصطبر بعلى التي هي
صلته كقوله تعالى واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك
للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة
تورد عليك شدايد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك
من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين
بك اي لم يسم شي بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم الهة والعزى اله واما الذي

رب السموات والارض وما بينهما فاعبده
واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

عوض فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها ويقول الانسان ايذا ما مت لسوف اخرج حيا يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق ⁂

فسيف بني عبس وقد ضربوا به ⁂ نبا بيدي ورقاء عن راس خالد

فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي فان قلت لم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قايم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم قالوا احقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض او من حال الفنا او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرا الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيا الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذاك ولا يتذكر حال النشاة الاولى حتى لا تنكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التاليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تاليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله تعالى وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشاتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي يتذكر من قبل

قبل

ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا

قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشان رسول الله ورفع منه كما رفع من شان السماء والارض في قوله تعالى فورب السماء والارض فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا الواو في والشياطين يجوز ان يكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى وخلاف الطمانينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي كانوا لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد

فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا

عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفرا فان قلت
بم يتعلق على والباء فان تعلقها بالمصدرين لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان
بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان
منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا وان منكم التفات الى الانسان تعضده قراة ابن
عباس وعكرمة رضي الله عنهما وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد
الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المومنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس
رضي الله عنهما يردونها كانها اهالة وروي دواية وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد
وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل عن
هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر
الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم عليه السلام حتى ان للنار ضجيجا
من بردها واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة
رضي الله عنهم هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قد يرد
الشي الشي ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن
قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح
جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار
خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير
اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم ان لا يكون غيره ثم ننجي الذين اتقوا
ونذر الظالمين فيها جثيا قرئ ننجي وننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر
وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار
لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى رضي
الله عنهم ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك وقوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد
بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة
في مكانهم جاثين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير
مقاما واحسن نديا بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما
محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات
الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان يكون حالا مؤكدة كقوله
تعالى وهو الحق مصدقا لان ايات الله تعالى لا تكون الا واضحة وحججا للذين امنوا يحتمل انهم يناطقون
المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم ومعناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا
للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل
والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم

وحيث

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا

وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الايات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من
الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالايات
والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة
والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون
بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي
كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل
النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث
متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي
: تقادم العهد من ام الوليد بنا : دهرا وصار اثاث البيت خرثيا : قرئ على خمسة
اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ورئيا على القلب كقولهم
راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم
ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف
همزته والقاء حركتها على الياء الساكن قبلها وزيا واشتقاقه من الزي لان الزي محاسن
مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا
ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا اي مد له
الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة
كالمامور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال ويقال لهم يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا
في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته في هذه الاية وجهان احدهما ان يكون متصلة
بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان
يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم
قتلا واسرا واظهار الله تعالى دينه على الدين كله على ايديهم اي المسلمين واما يوم القيمة وما ينالهم من الخزي
والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا
لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها والمعنى
ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف
لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول
الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة
ومقدماتها فان قلت حتى هذه ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة
الشرطية واقعة بعدها وهي قوله تعالى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف
جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس

وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا

الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والأعوان ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي ويزيد في ضلال الضلال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائي زندا فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخرتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا ❊ وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخبر كان لمفاخرهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول اوقد بلغ من عظم شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب او عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر وولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة رضي الله عنه هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا كلا ردع وتنبيه على الخطأ اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله ❊ اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ❊ اي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان

واستأخر

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا

واستاخر فجرد ههنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب اي نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزءون او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله تعالى نعوذ بالله من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل انا املك كذا فيقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله عز وجل يكذبه فيقول الله تعالى هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك اي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا

ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا

يعبدونها الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا
الأز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم
لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرًا والمراد تعجيب رسوله
صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم
للرسل واستهزاؤهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم
على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم
عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون
من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى
ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك
آخر العدد دخول قبرك وعن ابن سماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت
الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما ينفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به
الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم
يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك
منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق
رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة
واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده
الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال : ردي وردَ قطاة صما :: كدرية اعجبها
برد الماء :: فسمي به الواردون وقرأ الحسن رحمه الله يُحشَر المتقون ويساق المجرمون لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر
المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل
من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف
المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان
والعمل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز
احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني الى الشر
وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك
لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة

نادى

الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا

نادى منادٍ اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الى
فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل
وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا
قرئ إدًا وأدًا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الإد والأد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وأدني
الامر وآدني اثقلني وعظم علي ادًّا تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار
من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات
وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان
احدهما ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة
غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني
ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه
وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم
ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى
الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم
ما قالوه في ان دعوا ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله : على حالة لو ان في
القوم حاتما :: على جوده لضن بالماء حاتم :: او منصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي
هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها
دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق
هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال
بعضهم : فلينكشف عن بصرك غطاؤه :: فانت وجميع ما عندك عطاؤه :: فمن اضاف
اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى
المتعدي الى المفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا
او دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر
انا بني نهشل لا ندعي لاب :: اي لا ننتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في
السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا
انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت
الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس
المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا من موصوفة

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد احصيهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا

لأنها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رُبَّ في قوله رُبَّ من انضجت غيظا صدره وقرأ ابن
مسعود وابو حيوة آتٍ الرحمن على اصله قبل الاضافة الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم
بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين
كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في
عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات
ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن
الناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا
خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضُّلال
ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل
امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم
القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم براء منهم ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قرأ جناح بن حُبيش وِدا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في
القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها
الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع
منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب
والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون
حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا جاء الاسلام واما ان يكون
ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر في ديوان اعمالهم وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور
المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعني يحبهم الله ويحببهم
الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه
جبريل عليه السلام ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء
ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة رضي الله عنه ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب
العباد اليه فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا هذه خاتمة السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ ما انزل
وبشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه
لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من
المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تُحس من
حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوس وقرأ حنظلة تُسمع مضارع اسمعت والركز الصوت
الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ

ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك
لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم
اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم
من احد او تسمع لهم ركزا

من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى
وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسماعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من
دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله سورة طه مكية (١٣٥) آية

بسم الله الرحمن الرحيم طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى الا تذكرة لمن يخشى ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن
عامر على الاصل والباقون اما لوهما وعن الحسن رحمه الله طهْ وفسر بانه امر بالوطء وان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه
معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني
عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على
المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا
في يا هذا كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها
واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلائقكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين ... والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول
الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان
جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها
اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ والقرآن ظاهر اوقع موقع
الضمير لانها قرآن وان تكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب بفرط
تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك والشقاء
يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ
وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل
ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين ابائك فاريد رد ذلك بان
دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو
الشقاوة بعينها وروي انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام
ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه
مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع
اللام عنه ونصبه لاستجماع الشرائط فان قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى
كقوله تعالى ان تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه
واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول
وقوانين لغيرها فان قلت هل يجوز ان تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى قلت لا لاختلاف
الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون

بسم الله الرحمن الرحيم
طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
الا تذكرة لمن يخشى

المعنى انا انزلنا اليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم
وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون
تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى
الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية تنزيلا ممن خلق الارض
والسموات العلى الرحمن على العرش استوى في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل
حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا
لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى
مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل
بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل
لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة
له واما محذوفا فيقع صفة له فان قلت ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب قلت
غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه
الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد
المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فتضاعفت الفخامة من طريقين
ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه ووصف السموات
بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا
صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما
ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق فان قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها
اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وان
رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو
سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون
ملك وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك
في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد
فلان مغلولة بمعنى انه جواد وبخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط
يده قط بالنوال او لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه
قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو
جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق
العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما
تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين
عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك
واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو

تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى
الرحمن على العرش استوى له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى

ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله
تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء
الشرط قلت معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون
نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما
تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله تعالى وانما هو لغرض آخر الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
وهل اتيك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على
النار هدى الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة
الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر
الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية
في الحسن قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة
والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ
ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن
موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة
شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده
فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا في مكانكم الايناس الابصار البين
الذي لا شبهة فيه ومنه ايناس العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل
الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا
متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى
مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني
آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة
او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني
الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة رضي الله عنهما وذلك
لان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى
ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل
النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان
يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا
مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق قرأ ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح
اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون فلما اتيها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع
نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا
انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من
القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة

الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل
اتيك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله
امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او
اجد على النار هدى فلما اتيها نودي يا موسى
اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس
طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة
لذكري

بيضاء

واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك
وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني
اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى راى شجرة
خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما
فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او
بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما
راى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر
بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة رضي الله
عنهما وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف
السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول
منتعلا تصدق والقران يدل على ان ذلك احترام للبقعة لها وتشريف لقدسها
وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف
بتاويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثني اي نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد
كرة اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى او
للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي
ولتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لان ذكرتها في الكتب وامرت بها او
لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري
او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد غرضا آخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل
المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله
تعالى يا ليتني قدمت لحيوتي وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام
عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او بتقدير حذف
المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم للذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى اي اكاد اخفيها
فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف
لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف
لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف
اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه
اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله تعالى اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات

اخفاه

ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى

اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا
الحرب لا نقعد ⁂ واكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق باتية بما تسعى بسعيها اي
لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيمة ويجوز ان يكون للصلوة فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها
واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد
موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق به فكيف صلحت هذه
العبارة لاداء هذا المقصود قلت فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب
للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في
الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدة
والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد
الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان
من لا يؤمن بالاخرة وهم الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك
وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة
فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل
وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله تلك بيمينك كقوله
تعالى وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان تكون تلك اسما موصولا صلته
بيمينك انما ساله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة
وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة
ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد
ايام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد
قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قرا ابن ابي اسحق عصي على لغة
هذيل ومثله يا بشرى ارادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة
وقرا الحسن رحمه الله عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن
ابن ابي اسحق سكون الياء اتوكؤا عليها اعتمد عليها اذا عييت او وقفت على راس القطيع وعند
الطفرة اكلت حفا وابن لبون وجذع وهشة نخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من
غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطايف كثير السدر وفي قراءة النخعي اهس بالسين اي
انحي عليها زاجرا لها والهش زجر الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه
احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا
منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى
كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها
ويستعظمها ثم يريه عقب ذلك الاية العظيمة كانه تعالى يقول له اين انت عن هذه المنفعة
العظمى والمادية الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومآربة كنت تعتد بها وتحتفل بشانها

وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى

وقالوا انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب
فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب
كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين
واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان
في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاه
وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي
بها بطول البير وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت
عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه
ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قال القها يا موسى فالقاها فاذا
هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى السعي المشي بسرعة وخفة
حركة فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت اما الحية فاسم
جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان
العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية
تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها
وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله
تعالى فلما رآها تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون
ذراعا لما راى ذلك الامر العجيب الهايل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا تبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر
وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي ادم عليه السلام منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ
من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من السير كالركبة
من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة
وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا
وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عداء
فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها
بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد
ذهابها كما انشأناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى بمعنى سنعيدها
سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها واضمم يدك الى
جناحك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى قيل لكل ناحيتين
جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا
الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك
قوله تخرج السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوءة
وكان

قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى

وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم نفرة
عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز
للمفاصل من كنايات القران واداب يروى انه كان ادم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها
شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء اية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول
ابيضت من غير سوء وفي نصب اية وجه اخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه
ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ هذه الاية ايضا بعد قلب
العصا حية لنريك بهاتين الايتين بعض اياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى فعلنا ذلك
اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امر بالذهاب الى فرعون
الطاغي لعنه الله وعرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله
الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله
حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدايد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن
الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة
معاظم الشؤون ومقاساة جلايل الخطوب فان قلت لي في قوله تعالى اشرح لي صدري
ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي
ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان اكد لطلب الشرح والتيسير
لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى
الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي عن ابن عباس رضي الله عنهما كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى
ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال
الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انها لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في
قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها
لقوله تعالى واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله تعالى ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين
ابن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل
زالت لقوله تعالى ولقد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني
انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني
صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني الوزير من الوزر لانه يحمل عن الملك اوزاره
ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلجئ اليه اموره او من الموازرة وهي
المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان
فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق
ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر
واخواته والى الموازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية

اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي

بامر الوزارة اوُلي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون
وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسُنَ اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة
اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى قرأوا جميعًا اشدد واشركه على الدعآء وابن عامر وحده
اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه اخي واشدد وعن ابي بن كعب
اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعًا على
الابتدآء واشدد به خبره ويوقف على هرون الأزر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في
الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه يهيج الرغبات يتزايد به
الخير وينكاثر انك كنت بنا بصيرًا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون
نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول
كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول الوحي الى ام موسى عليه السلام اما ان يكون على لسان
نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث لها ملكا لا على وجه النبوة كما الى مريم
او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها
امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا
يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان اقذفيه في التابوت
فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني
ولتصنع على عيني ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقآء
والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن
يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضماير كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها الى
التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر هو التابوت
وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت
حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه
التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله تعالى وارادته ان لا تخطى جرية
مآء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز
امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي انها جعلت في التابوت
قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان
فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح
فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدًا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر
اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان المآء يسحله اي يقشره وقذف به ثمة
فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاها اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه
النهر الى حيث البركة مني لا يخلوا اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن

احبه

احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة
مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك روي انه
كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه على عيني لترحم
وتحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع
اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة
مضمرة مثل ليتعطف عليك وترأم ونحوه او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ
ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع بفتح التآء والنصب
اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله
فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا
العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا فان قلت كيف يصح
البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان
يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها
وانت في آخرها يروى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون
له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت
بالام فقبل ثديها ويروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له
المراضيع هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم
بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب
اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين فتونا
يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك
الاعتدآء بتآء التانيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد
ابن جبير ابن عباس رضي الله عنهما عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام
كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل
قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند
كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله
به عباده فتنة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت
على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا
الى فرعون انه طغى مدين على ثماني مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا
وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك
واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم
ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبيآء وهو رأس اربعين سنة
هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه

اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني

اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا الى فرعون انه طغى

بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصايص هلّا لئلا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف
محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه
ولا يأتمن على مكنون سره الا سوآء ضميره الوني الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف
المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا
تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى
لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات
وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله تعالى
اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك. فقولا له قولا
لينا لعله يتذكر او يخشى قرئ لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل
عِدَاه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح
الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى عليه السلام ولما
ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة
والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله
ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم
بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان
للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي
يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها
وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب
من شيطان او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من
قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه
وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة
او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه وان يطغى
بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على
الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة معكما اي
حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي
ونصرتي لكما فجائز ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجائز ان لا يقدر شيء وكانه قيل انا حافظ
لكما وناصر سامع ومبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة
وذهبت المبالاة بالعدو فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا

تعذبهم

او يخشى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر قالا ربنا
اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال
لا تخافا انني معكما اسمع وارى فأتياه
فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا
بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك

تعذبهم قد جئناك باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكاليف الاعمال
الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء
قد جئناك باية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسول ربك مجرى البيان والتفسير
لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله باية ولم يثن ومعه
ايتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة
وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت باية
ان كنت من الصادقين اولو جئتك بشيء مبين يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة
على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي
اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي
ولا ينسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى عليه السلام لانه الاصل في النبوة
وهرون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام
اخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى يدل عليه قوله ام انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون
اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة
به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع
وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه
او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة
والرجل والمراة فلم يزاوج منهما شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف
او المضاف اليه اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرفه كيف يرتفق
بما اعطى وكيف يتوصل اليه ولله دره هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى
الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء
من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا
هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب
عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء اذا اخطأته
في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من اضله اذا ضيعه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه
ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شيء وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال
ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم
وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز
عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت

باية من ربك والسلام على من اتبع الهدى
انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى
قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل
شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى
قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا
ينسى



ولا ينبغي كما تنسي يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها
سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في
ذلك لايات لأولي النهى الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب
على المدح وهذا من مظانه ومحازه مهدا قرآءة اهل الكوفة اي مهدها مهدا ويتمهدونها
فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي سلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في
قلوب المجرمين اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبوادي فاخرجنا
انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه
مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لأمره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيته لا يمتنع
شيء على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل
شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا
نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا فسميت بذلك لانها مزدوجة
مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للأزواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون
صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع
يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها
للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله
تعالى علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله اي قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير
فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان ياكلوا بعضها
ويعلفوا بعضها منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى اراد بخلقهم من الارض
خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي
يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم منها
انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر
يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها
لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت
فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم
التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض
فانها بكم برة ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى اريناه بصرناه او عرفناه صحتها
ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله
تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله تعالى اياتنا كلها
وجهان احدهما ان يجزى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها
اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة التي هي تسع

الايات

الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى

الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع
والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون موسى عليه السلام قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره
من الانبياء عليهم السلام من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد
به فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل وكذب الايات وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك يا موسى يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرائصه
كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال
لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل
وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر على ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه
بالسحر فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال
موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى لا يخلو الموعد في قوله تعالى
اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا في ان
قوله تعالى موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب
مكانا وان جعلته مكانا لقوله تعالى مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان
يطابق قوله تعالى موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرأ
يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل
الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله تعالى موعدكم يوم
الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع على المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى
وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك
اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن رحمه الله فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز
وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى
اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه
المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة
فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت
وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم
النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم
قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم منونا
وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك وعن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى
الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف قرئ وان تحشر
الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون
ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر
لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو

قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى

كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الأشهاد في الجمع الغاص لتقوى رغبة
من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر التحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر
ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد
وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا اياته
ومعجزاته سحرا وقرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول
الفرزدق الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال الركب تصطل في تسويته اعرابه عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة رضي الله عنه ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر
وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول
ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن
اتباعهما قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قرأ ابو عمرو
ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد
لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ أبي ان ذان الا ساحران وقرأ ابن
مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان
لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي اخرها الف كعصى وسعدى فلم يقلبوها
ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره
لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون
وقيل اراد واهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة
اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه
فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال
بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاجمعوا كيدكم يعضده قوله [illegible]
جميعا تعالى فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم
كالمسئلة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد
منهم حبل وعصى وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم
وصلاتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات
وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب ان ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر
مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه
وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى
صلوات الله عليه اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا
اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر
فمحقته وكانت اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها
انها الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها

فعلا

قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى

٣٢

فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم
ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه
السعي وقرئ عُصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دُلي ودِلي وقُسي وقِسي وقرئ تخيل على اسناده
الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على
كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل وتخيل على ان الله تعالى هو المخيل
للمحنة والابتلاء يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك
فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما
صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى ايجاس الخوف
اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية
وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه انك انت الاعلى
تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ
العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز ان يكون تصغيرا
لها اي تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله تعالى
يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة
الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره عنده فالقه يتلقفها باذن
الله تعالى ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستئناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف
صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع
فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في
سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه
وعلم نحو فان قلت لم وحّد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد
فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس فان قلت فلم نكر
اولا وعرف ثانيا قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي
دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر آخرة المراد تنكير الامر كانه قيل
ان ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي حيث اتى كقولهم حيث سير واية
سلك واينما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة
للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقاءين وروي انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب
اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال امنتم له قبل
ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل
ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت
قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى
لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني

فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى

كبيري وقال إلى كبيري كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شيء قرئ لأقطعن ولأصلبن
بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خلاف الآخر
بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ من
مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اي لأقطعنها مختلفات
لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء المدعى
في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل اينا يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام بدليل قوله امنتم
له واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغير الله تعالى كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة
باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام
واستضعاف له مع الهزء به لان موسى عليه السلام لم يكن قط من التعذيب في شيء والذي فطرنا عطف
على ما جاءنا او قسم قرئ تقضي هذه الحيوة الدنيا ووجهها ان الحيوة في القراءة المشهورة منتصبة على
الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي ان
السحرة يعني رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون
اكرههم على تعلم السحر انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل
الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء
من تزكى وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر
لان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه تزكى تطهر من ادناس الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لا اله الا الله قيل في هذه الايات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية
ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم
فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من
قولهم ضرب في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر ووصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم
والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا
ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا من اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا
كقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب
وقرأ ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده
ولا يلحقونك في ولا تخشى اذا قرئ ولا تخف ثلاثة اوجه ان يستأنف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شأنك
انك آمن لا تخشى وان يكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل
الفاصلة كقوله تعالى فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا
ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لم يعلم
كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشيهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه وتعالى
او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما
اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا
عليكم

انمن يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا

عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في
القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعد وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب
ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور
وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم
واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه طغيانهم في النعمة
ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي
وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا قرئ فيحل ومن يحلل
لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ
الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله
ان يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت امه
او سقط سقوطا لا نهوض بعده واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى
قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور
وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي
دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو واعني ان منزلة الاستقامة
على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار
وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به
بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا
الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان يراد
جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله تعالى هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو
ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا اولى بالقصر والاثر افصح من الاثر واما
الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب فان قلت
ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك والشوق
الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به
رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان
اهم الامرين الى موسى عليه السلام بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا
تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم
بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى
ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المترتب على
حدود الكلام قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم

عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري

[illegible]

مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا فان قلت في القصة انهم اقاموا
بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك
فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عليه السلام عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت قد اخبر الله تعالى
عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او افترض السامري غيبته فعزم على اضلالهم عند
انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا وقرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه
ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في
بعض دينهم وقيل كان من اهل ماجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر
الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري الاسف الشديد الغضب ومنه قوله
عليه السلام في موت الفجأة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين فان قلت متى رجع الى قومه قلت
بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التورية التي فيها هدى ونور
ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف اية تحمل اسفارها سبعون جملا
العهد والزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان
يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا
موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا
احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم اوارادوا بالاوزار انها اثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين
في دار الحرب وليس للمستأمن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري
التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده
مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل عليه السلام اوحى اليه وليه الشيطان
انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي فاخرج
لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار يخور كما يخور العجاجيل فان قلت
كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه وتعالى روح القدس بهذه
الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة
جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب فان قلت فلم خلق الله
العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن
من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم
السامري على الضلالة واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ان يطلبه هنا
وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا يرون الا يرجع اليهم
قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني

فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري

واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم
ضلوا الا تتبعن افعصيت امري يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى
انها الناصبة للافعال من قبل من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم
حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون عليه السلام
بقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا هو والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر
على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت
شاهدا او ما لك لا تلحقني قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين
بني اسرائيل ولم ترقب قولي قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى عليه السلام رجلا
حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله تعالى ولدينه فلم يتمالك حين
رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الايات العظام ان القى الواح التورية لما
غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه
فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه
اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستأنيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك
المتلافي برأيك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء
ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم
يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي الخطب مصدر خطب
الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت بما لم تبصروا
به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له قرأ الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم
المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول
بالمصدر كضرب الامير وقرأ ايضا فقبصت قبصة بالصاد فالضاد بجميع الكف والصاد باطراف
الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرأ ابن مسعود رضي الله عنه من
اثر فرس الرسول فان قلت لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل ميعاد الذهاب
الى الطور ارسل الله تعالى الى موسى صلوات الله عليه جبريل عليه السلام راكب حيزوم فرس الحيوة
ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا لشأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن
قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل قال فاذهب فان
لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا
لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع
من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته واذا اتفق
الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احد رجلا او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس
وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجي الى الحرم ومن الوحشي النافر
في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم

قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا

في الظبآء اذا وردت الماء فلاعباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للسنة والعبة والابة وهي الحرقة
من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض بجزه
لك في الاخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن
تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا
وعن ابن مسعود رضي الله عنه نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مرت في لاهب لك ظلت
وظلت وظللت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه لنحرقنه
ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القرآءتان من الاحراق وذكر
ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القرآءة الثالثة
وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال
ما فتنه به واهدار سعيه ومكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين انما الهكم الذي لا اله الا هو وسع كل شي
رحمة وعلما وقرأ طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شي علما وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهه
ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شي واما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى
التعدية الى مفعولين نصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت
زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا كذلك نقص عليك من انبآء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا
الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو
ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة
في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر
الذي اتيناك يعني القران مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر عظيم وقران
كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا
خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها
على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره ولانها جزاء الوزر وهو
الاثم وقرئ يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما
بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اي في ذلك الوزر
او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف
لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب ايوب الذي هو
المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام في لهم ما هي وبم
يتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون في ساءت ضمير الوزر قلت
لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شي بعينه غير مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس
وليكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه ان
يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة هذه اللام
وعهدة هذا المنصوب يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اسند النفخ الى الامر به فيمن
قرا

انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل
شيء علما كذلك نقص عليك من
انبا ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا
ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا
خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا
يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ
زرقا

قرا ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم
عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته تعالى وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر
باليآء المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن
وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القرآءة تدل
عليه والثاني انه القرن وقيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شي من الوان العيون الى العرب
لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق
العين والثاني ان المراد العمي لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا
نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما تخافتهم لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور
فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب
وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى
بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الاخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها
فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله تعالى اذ يقول
امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم فاسأل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم
في كتاب الله الى يوم البعث ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها
اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى ما ترك على ظهرها
من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في
الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن
بديع في وصف الارض بالاستوآء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو
عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصرآء من الفلاحة واتفقتم
على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس
الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى
الله عز وجل ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب
التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل
فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له
وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله تعالى
يومئذ اي يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا
هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون

يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم
بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم
الا يوما ويسئلونك عن الجبال فقل
ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا
يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا

لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته اي خفضت
الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل
هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما
من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة
الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع
ورضي قوله لاجله ونحو هذه اللام اللام في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما وعنت الوجوه للحي القيوم
وقد خاب من حمل ظلما المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء
الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله تعالى
فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله تعالى وقد خاب وما بعده اعتراض
كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا
هضما الظلم ان ياخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا كالوهم يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم
لانه لا يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون او يحدث لهم ذكرا وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك
هؤلاء الايات المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا بحيث
يراد منهم ترك المعاصي وفعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث
وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم التاء للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب
فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما فتعالى
الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة
بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القران وانزاله قال على سبيل
الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القران فتانّ عليك ريثما يسمعك ويفهمك
ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به وقيل معناه تبليغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله تعالى
رب زدني علما متضمن التواضع لله تعالى والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب
التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب
الزيادة في شيء الا في العلم ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما يقال في اوامر الملوك ووصاياهم
تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه وتعالى قصة ادم عليه السلام على قوله
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة
وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف

الى

يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم
وقد خاب من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك
انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد
لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى
الله الملك الحق ولا تعجل بالقران من قبل
ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما
ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له

الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني
ادم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فان قلت ما المراد بالنسيان قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو
نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى
تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها
وقرئ فنُسّي اي انساه الشيطان العزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك
تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان
يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى
اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه
له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده
حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى
كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة قلت كان في
صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما امروا بالسجود لادم عليه السلام والتواضع له كرامة
له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم كان
القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى انه لم يقم عنف به وقيل له قد قام فلان وفلان
فمن انت حتى تترفع عن القيام فان قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني من الملائكة قلت عمل على
حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة
لامراة بين الرجال ابى جملة مستانفة كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول
وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فقلنا يا ادم ان
هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما
فيها ولا تضحى فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما وانما اسند الى ادم وحده فعل الشقاء دون حواء
بعد اشتراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته
سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة او اريد بالشقاء التعب في طلب
القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه وروي انه اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه
ويمسح العرق من جبينه قرئ وانك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا تدخل
على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها قلت الواو
لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة
كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي تدور عليها
كفاف الانسان فذكر استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب
كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظما والضحو ليطرق
سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فوسوس اليه
الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فان قلت كيف عدي وسوس تارة باللام

عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو
لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما
فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم
هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى

في قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة
الذئب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوّت واجرس ومنه وسوس
المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي وسوس يدعو مخلصا رب الفلق
فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس اليه انهى اليه
الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها
خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحيوة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي
وابن عباس رضي الله عنهم الا ان يكونا ملكين بالكسر فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها
حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد للمشارفة
والدنو منه قرئ يخصّفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان
الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما
وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس
رضي الله عنهما لا شبهة في ان آدم لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان
ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى
آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر به
عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكانه قيل لهم انظروا
واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة
زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان
تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء
المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
فان قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبي الي كذا فاجتبيته ونظيره
جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك
فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع يقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه
لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى لما كان آدم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا
جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو
في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في
الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه
نجا من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم
حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا الضنك مصدر يستوي فيه في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على
فعلى

فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى
آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض
عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي
فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة
اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا

فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه
بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص
الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه
ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه
رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال تعالى وان لو
استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن رحمه الله هو الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد
الخدري عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره
بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق
بالعمى قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه
ولعذاب الآخرة اشد وابقى كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة
فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه
عن عينك لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات
الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش
المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون
في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول
ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشّون يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون
آثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى الكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم
الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم
وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من
ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين
لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد
لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات
اولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر
لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا
لها بصلاتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال تعالى
ان ناشئة الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس

قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى وكذلك
نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب
الآخرة اشد وابقى افلم يهد لهم كم اهلكنا
قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لآيات لاولي النهى ولولا كلمة
سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء
الليل فسبحه واطراف النهار لعلك ترضى

اشد واشق وللبدن اتعب وللنفس انصب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله تعالى وقد تناول التسبيح في اناء الليل صلاة العتمة وفي اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين في الايتين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على اناء الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان نظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطبايع وان من ابصر منها شيا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل لا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير في به والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخره له من ثواب الاخرة الذي هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وامر اهلك بالصلوة اي واقبل انت واهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك وفرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا

راى

وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير

راى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصابت اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الاية وقالوا لولا ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى اقترحوا على عادتهم في التعنت اية على النبوة فقيل لهم اولم تاتكم اية هي ام الايات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في ساير الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادة على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد والمستوي والسوء والسوى والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم

سورة الانبيا مكية (١١٢) آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تاكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا اباك لان اللام مؤكدة بمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمسماية عام قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا

وقالوا لولا ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون

وتنبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الايات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر
اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الاية بعد الاية
والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الاي والسور
وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو
الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية
قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم
خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا فهم في قلة جدوى
فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على راس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم فان قلت
النجوى وهي اسم من التناجي لا يكون الا خفية فما معنى قوله واسروا قلت معناه وبالغوا في اخفائها
وجعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا
اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب
المحل على الذم او هو مبتدأ خبره واسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع
المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا كله في محل النصب بدلا
من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا
على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا هذا الحديث
وبالغوا في اخفائه قلت كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل
المنصوبة في التثبط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوريهم ويتجاهدوا في
طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويجوز ان يسروا نجويهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا
بما اسررناه قل ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله
واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان اكد في بيان
الاطلاع على نجويهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر اكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك
بانه السميع العليم لذاته فكيف يخفى عليه خافية فان قلت فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله تعالى
قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن
يجيء بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا
ويجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الاية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم ههنا انهم
اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم
قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قالوا
اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر فليأتنا باية كما ارسل الاولون ما امنت قبلهم من قرية

اهلكناها

اهلكناها افهم يؤمنون وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا
الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم
في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث
صحة التشبيه في قوله تعالى كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال
الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين ان يقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة
افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الايات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما
جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث امرهم
ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم
يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما جعلناهم
جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين لا ياكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا
الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد
وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام فان قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا
ياكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا
يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة
لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء
واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا
بعدها قوما آخرين صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم
القتال وصدقني سن بكره ومن شاؤهم المؤمنون ومن في ابقائه مصلحة ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال تعالى
وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر
كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية
واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم قطع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم
الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا
قوما وانشانا قوما آخرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب
وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه الله على اهل بيت المقدس فاستاصلهم وروي انها لما اخذتهم السيوف
ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الاية
على الكثرة فلعل ابن عباس رضي الله عنهما ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الاية فلما
احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون

قال ربي يعلم القول في السماء والارض ... بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر فليأتنا باية كما ارسل الاولون ما امنت قبلهم

ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما آخرين فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون

فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب
الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين
من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين
الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فان قلت من القايل قلت يحتمل ان
يكون بعض الملايكة او من ثم من المؤمنين او يجعلوا خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل
او يقوله رب العزة ويسمعه الملايكة لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا
الى ما اترفتم فيه من العيش الوافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة لعلكم تسالون
تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسالون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم
فتجيبوا السايل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم
عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون وكيف نأتي
ونذر كعادة المنعمين المخدمين او يسالكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم
في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسالكم الوافدون عليكم والطماع
ويستمطرون سحايب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون
اموالهم رياء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ قالوا
ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين تلك اشارة الى ياويلنا
لانه دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعويهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعويهم
ان الحمد لله رب العالمين فان قلت لم سميت دعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال
ياويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما وخبرا وكذلك دعويهم الحصيد الزرع المحصود اي
جعلهم مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير
المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على
المفعولية فان قلت كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد
لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا
لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما
بينهما من اصناف الخلايق مشحونة بضروب البدايع والعجايب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم
وساير زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوايد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح
افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي
لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة
عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله
تعالى رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراة وقيل من لدنا
اي من الملايكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق

ولكم

قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا

ولكم الويل مما تصفون بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا
ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب
بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به
واهداره ومحقه فجعل كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه
ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف
قوله : ساترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا : وقرئ فيدمغه وله من في السموات
والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون من عنده هم الملايكة والمراد انهم مكرمون
منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم
على جميع خلقه فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم
ادنى الحسور قلت في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم
احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل دايم في جميع
اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر هذه ام المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة
قد اذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض هم
ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت
كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه
الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشاة الاولى
منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن
قدرة القادر كالثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا قلت
الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق
هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم
بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان
الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك
فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها
الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك
حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها
مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا
لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل
من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة
معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرئ ينشرون

ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون

يشرون وهما الفتان انشر الله الموتى ونشرها لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب
العرش عما يصفون وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل الهة غير الله فان قلت ما منعك من
الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في
الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وذلك لان اعم العام يصح
نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما
لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون
ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان
الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك
ابن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع
فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال
محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
لما كان عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في ملكهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون
من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب
الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله
كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون اي هم مملوكون مستعبدون
خطاؤن فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كرر ام اتخذوا من دونه آلهة
استفظاعا لشانهم واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على
ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله
وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه فيه اي هذا الوحي الوارد
في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة
للذين معي يعني امته وذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي
بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو
الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله تعالى غلبت الروم وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وروي من معي ومن قبلي على من الاضافية في هذه القراءة وادخال الجار
على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك
فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر
والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض
ومن هنالك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى
ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا
عبد الله الحق لا الباطل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون

لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يوحى ونوحي
مشهورتان وهذه الاية مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا
الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم
مكرمون مقربون عنده مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم
فذلك الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا وقرئ مكرمون ولا
يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى
يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله
بقولهم كما تقول سبقت فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون
عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون فلاحاطتهم
بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون
ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع
هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة
لا يأمنون مكر الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل ليلة المعراج
ساقطا كالحلس من خشية الله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك
نجزي الظالمين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
كل شيء حي افلا يؤمنون وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف
اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجا بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك
منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا
لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد قرئ الم ير
بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين
فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير
موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء
بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها
وقيل ففتقناها بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات
وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر
فان قلت متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت فيه وجهان احدهما انه وارد في
القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض
والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو
القديم سبحانه وتعالى وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد
فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون

٤٤

من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل وان تعدى
الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام
ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب
او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالباس كما تزاد لذلك في نحو قوله تعالى
لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا
سبلا لعلهم يهتدون الفج الطريق الواسع فان قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل
ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا قلت لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله
لعزة موحشا طلل قديم فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى قلت احدهما اعلام بانه جعل فيها
طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون
محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين
على سكانه من الملائكة عن آياتها عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات
ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القديم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة
واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على
عظم شأن من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف
كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة
على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة
بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على
الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس
والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها
بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو
السباحة فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد
بها دون الليل والنهار بنصب الحال عنها قلت كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك
اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها فان قلت لكل واحد من القمرين فلك على حدة
فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك قلت هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد
منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة
على الجنس وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله تعالى
عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا
كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل ∴∴∴

فقل

وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون

∴ فقل للشامتين بنا افيقوا ∴ سيلقى الشامتون كما لقينا ∴ اي نختبركم بما يجب فيه
الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم
من الصبر او الشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه واذا رآك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون الذكر يكون بخير
وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك
فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
وقوله تعالى اهذا الذي يذكر آلهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان
تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوؤهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله
وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان
يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن
الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن
والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر
بالله تعالى خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد
نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها
ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو
طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه اراد بالانسان آدم وانه لما بلغ الروح
عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار
يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال
شاعرهم ∴ والنخل ينبت بين الماء والعجل ∴ والله اعلم بصحته فان قلت لم نهاهم
عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله تعالى وكان الانسان عجولا
اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها
لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان
جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعلمون عنه
بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام
فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك
الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم

واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون

ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين
وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم
هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر
اي غلب ابراهيم الكافر وقرأ الاعمش بل يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد والحين فان قلت فالام يرجع
الضمير المؤنث في هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على
تأويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى الضمير
للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت
التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزءون قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم
آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى
طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق
بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا من الرحمن اي من بأسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه
ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد
انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم
اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ام لهم آلهة تمنعهم من العذاب يتجاوز منعنا وحفظنا ثم
استأنف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله تعالى بالنصر
والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع
يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما
متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمأنينة
فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ
وامل كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها
واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام فان قلت اي فائدة في قوله تعالى نأتي الارض قلت
الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو
ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء
اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين قرئ ولا يسمع الصم
ولا تسمع بالتاء والياء ولا تسمع انت ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من
اسمع فان قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا
ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل
ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم
اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجرأة والجسارة على التصام من آيات

الانذار

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم
عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم
من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم
ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم
حتى طال عليهم العمر افلا يرون انا نأتي
الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون
قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء
اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب
ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين

الانذار ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا بانهم
ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى
القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء
المرة ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة
كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيمة
مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة :
: ترسمت آيات لها فعرفتها ... لستة اعوام وذا العام سابع : وقيل لاهل يوم القيمة
اي لاجلهم فان قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد الحساب
السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل
ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن
بها الاعمال عن الحسن رحمه الله هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام
سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان
يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فان قلت
كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض قلت فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال
والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود
مظلمة وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وقرأ ابن
عباس ومجاهد رضي الله عنهم آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة
لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا
بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة لقولهم ذهبت بعض اصابعه ولقد آتينا
موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من
الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون اي آتيناهما الفرقان
وهو التورية وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او آتيناهما
بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما الفرقان الفتح كقوله
تعالى يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس
رضي الله عنهما ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون
اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف محل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه
وهذا ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره ولقد آتينا ابراهيم
رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق
ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين

ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم
نفس شيئا وان كان مثقال حبة
من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرى للمتقين الذين يخشون ربهم
بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا
ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون
ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به
عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل
التي انتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا
لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال
مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين
قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا
على ذلكم من الشاهدين

الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
وقرئ رشده والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شأن من قبل اي
من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد
رضيها واحمدها حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان
فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف
اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت وقوله تعالى ما هذه التماثيل تجاهل وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر
شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك
فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على اصنام
لهم قلت لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم
كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلدوا اباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم
وهم معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة
ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل
ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى
على من به ادنى مسكة لاسناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون
ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم وحسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والملاعبة لا على طريق
الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل
وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه
بها كما يصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم
فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه اباءكم وتالله
لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا
انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون
قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون قرأ
معاذ بن جبل رضي الله عنه بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين فان قلت
ما الفرق بين الباء والتاء قلت ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها
وان التاء المبدلة فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه
لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في
كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة
دينه ولكن اذا الله سنى عقد شيء تيسرا روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت
الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان يرجع بركة
الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما
مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان

بالليل

وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين
فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم
اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه
لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له
ابراهيم قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم
يشهدون قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا
يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم ان كانوا ينطقون

بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة رضي الله عنه
قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ
جذاذا بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في
ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم
بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي الى كبيرهم ومعنى هذا
لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك
صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم
لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء
بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه في حل كل مشكل
فان قلت فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي
فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا قلت اذا رجعوا
اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم اي ان من فعل هذا
الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير
والاعظام واما لانهم راوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها فان قلت ما حكم
الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو
يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما
الثاني فليس كذلك فان قلت ابراهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدأ محذوف اي
منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل الحال بمعنى
معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت
هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب
وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له
روي ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره هذا من معاريض الكلام
ولطائفه هذا النوع لا يتغلغل فيها الا الاذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان
قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما
قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة
وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن
الخط ءانت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة
فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء
لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز
منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين
ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما رأى من زيادة تعظيمهم

له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته لها وحطمه لها والفعل كما يسند الى
مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويز مذهبهم كانه قال
لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد
منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان يعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها
وقرا محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فاعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم فقالوا
انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون فلما
القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم
من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس انقلب اي
استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة
فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصرها عن حال الحيوان الناطق الهة
معبودة مضادة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين
نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما
بهتهم به ابراهيم عليه السلام فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا
على لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤسهم قرا به رضوان بن عبد المعبود اف صوت اذا
صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح
الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اي لكم ولالهتكم هذا التافف اجمعوا
رايهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق
ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن
المعارضة قالوا احرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين والذي اشار باحراقه نمروذ عن ابن عمر رضي الله عنهما
رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بنيانا كالحظيرة
بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله
لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم
وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة
فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطلع عليه نمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه
جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم
عليه السلام وكان ابراهيم عليه السلام اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة
بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها

ومن

فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا
ينفعكم ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون قالوا حرقوه
وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا
يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين

ومن ثمة قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول
المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير
امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله تعالى وارادته
كمامور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام
والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها فان قلت كيف بردت النار وهي نار قلت نزع الله عنها
طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال
كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم عليه السلام اذى
حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله تعالى على ابراهيم
وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله
ولقنه بالمبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه ولوطا الى الارض التي
باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين نجيا من
العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في
العالمين شرائعهم واثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة
الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان رضي الله عنه انه
خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب
الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة النافلة ولد الولد وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي
زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله
فالهداية محتومة عليه مامور بها من جهة الله تعالى ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها
واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي
اميل فعل الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ولذلك اقام الصلوة وايتاء
الزكوة حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم والقرية سدوم اي في اهل رحمتنا
او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه
واهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين
ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين
من قبل من قبل هؤلاء المذكورين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على
سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من
تكذيب قومه اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه اراد هما

ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات
واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين
ولوطا اتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي
كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وادخلناه في رحمتنا انه من الصالحين
ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه
واهله من الكرب العظيم ونصرناه
من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وداود وسليمان
اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم
وكنا لحكمهم شاهدين

والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في فهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها
حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين
فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها
واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان
فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك فان قلت احكما بوحي ام باجتهاد قلت قيل
حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما السلام وقيل اجتهدا
جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين
قلت اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال
ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه
في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان
انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول الضرر والنقصان
مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب
منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قلت فلو وقعت هذه الواقعة
في شريعتنا ما حكمها قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة
سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب
كان مع سليمان وفي قوله تعالى وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما كانا على الصواب يسبحن حال
بمعنى مسبحات او استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف
على الجبال او مفعول معه فان قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب
وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر بالجبال
مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح
قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى عليه السلام وجواب اخر وهو ان
يسبح من رآها تسيير بتسيير الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين
على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء وعلمناه صنعة لبوس
لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي
باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا
لهم حافظين اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة رضي الله عنه
كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم
قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله تعالى والتاء للصنعة
او اللبوس على تاويل الدرع والياء لداود عليه السلام او للبوس قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب
فيهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال فان قلت وصفت هذه الرياح
بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة

كالنسيم

وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين

كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان
جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان عليه السلام
وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم اية الى اية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء
وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على
ما يقتضيه علمنا وحكمتنا اي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك
الى الاعمال والمهن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في جملة
ما هم مسخرون فيه وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي ناداه
باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول ولتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في
كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين
الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب
ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي
على العصي فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان
ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهما السلام وقد استنباه الله وبسط
عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة
فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم
عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة رضي الله عنه
ثلاث عشرة وعن مقاتل رضي الله عنه سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له
امراته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال
انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيى
ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا
العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا
كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين
وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين قيل في ذي الكفل الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون
صلوات الله عليهم وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وكان له ضعف
عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب
الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد صلوات الله عليهم وذا النون اذ ذهب
مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين النون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول
ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله تعالى

وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين

وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي
ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها
وقرأ ابو شرف مغضبا قرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه
عقوبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن
البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك فقال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية
وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر
على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن
ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه
بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس
اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين في الظلمات اي في
الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
وقوله تعالى يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع
حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن رضي الله عنه
ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم وقرئ ننجي ونجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته
فجعله فعل يفعل وقال نجي النجاء المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء
فمتعسف بارد التعسف وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا
له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره
الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك
خير وارث اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة
الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا
لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرئ
رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن
رحمه الله ذللا لامر الله وعن مجاهد رحمه الله الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين
وسئل الاعمش فقال اما اني سألت ابراهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله
اذا ارخى ستره واغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى انه ان يأكل خشنا ويلبس خشنا
ويطأطئ رأسه والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين
احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا
فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل

ع

وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين

على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار
نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا
وهو جبريل عليه السلام لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل آيتين كما
قال وجعلنا الليل والنهار آيتين قلت لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير
فحل ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون الامة الملة وهذه اشارة الى
ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها
ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه
ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدأ والخطاب للناس كافة
والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه
الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر
دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا
لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون
فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور
وقد نفي نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك
السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضايع ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق
فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين استعير الحرام
للممتنع وجوده ومنه قوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ
حرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها
ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله على اهلاكهم
غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون قد كنا في غفلة من
هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب الاليم
وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية
اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم
علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم
لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلاث
هي قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى
التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف
المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من
جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس

ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين

المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من
الارض وقرا ابن عباس رضي الله عنهما من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية
تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في
المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا
على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة اوفهي شاخصة كان سديدا هي
ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كافسر الذين ظلموا او اسروا ياويلنا متعلق بمحذوف تقديره
يقولون ياويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها
زفير وهم فيها لا يسمعون ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه
لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما
فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم
وما تعبدون من دون الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم
خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله اما والله
لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى ءانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك
ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة
فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت لم قرنوا
بالهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم بسببهم
والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الاخرة
ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم
منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت اذا كانوا
هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام
للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي
وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا
وعن ابن مسعود رضي الله عنه يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله
تعالى كما يعميهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها
وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي
كنتم توعدون الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما
البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه قرا هذه الاية
ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف

ثم

انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون

ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي
يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة
لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن الانصراف
الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي
تستقبلهم الملائكة مهنين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل
يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين العامل في
يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل
بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة
اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع
فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا
رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة
المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي تفسيره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى
نعيد اول الخلق كما بداناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء
فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه قلت اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده
اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت ما بال الخلق منكرا قلت هو كقولك اول
رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا
فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه
آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر تفسيره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل
الذي بداناه نعيده واول خلق ظرف لبداناه اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول
الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان قوله تعالى نعيده عدة
للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين عن الشعبي
رحمه الله زبور داود والذكر التورية وقيل اسم للجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام من الكتب
والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله تعالى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه
وسلم الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة
والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي انما
الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد
ما توعدون ارسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه

يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون

ومن خالف ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان
يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمايها فيفلحوا ويبقى ناس
مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين
ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث
ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شي او لقصر
الشي على حكم كقولك انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية
لان انما يوحي الي مع فاعله بمنزلة يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم
وفايدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار
الله بالوحدانية وفي قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان
تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان تكون طريقها
السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة آذن منقول من اذن
اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله
وقول ابن حلزة ❊ آذنتنا ببينها اسماء ❊ والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول
ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدايه
هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء
اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحايها وما
توعدون من غلبة المسلمين عليكم كاين لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار
وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه انه يعلم الجهر من
القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن
المستعان على ما تصفون الله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الاسلام
وما تكتمون في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير
هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد
في وقت هو فيه حكمة قري قل وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورب احكم على
الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام امر
باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال
اشدد وطاتك على مضر قري تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت
عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله تعالى ظنونهم وخيب آمالهم
ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه
في القرآن ❊❊❊ بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا
ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات

انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

سورة الحج ... بسم الله الرحمن الرحيم (٧٨) يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل

حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الزلزلة
شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا
تخلو الساعة من ان يكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز
الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع
في الظرف واجرايه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة
في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون
يوم القيمة وعن علقمة والشعبي رضي الله عنهما عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم
بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك
الصفة ببصايرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدايد
ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من
تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الايتين نزلتا ليلا في غزوة بني
المصطلق فقراهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما
اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا
وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة
وقري تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة
والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت
المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر
الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجيت به هذه
وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها
او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن رحمة الله عليه تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام
وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام قري وترى بالضم من اريتك قايما والناس منصوب ومرفوع
والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة وقري سكرى وبسكرى وهو
نظير جرحى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش
سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على
التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في
نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من
الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة
فجعل الناس جميعا رايين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل
واحد منهم رايا لساير هم ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب
عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان
جدلا يقول الملايكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين والله غير قادر على احيا من بلي

حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير

وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عاتٍ علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله ولياله لم تثمر له ولايته الا اضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال الا تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عَنَى من قال

ويا رُبَّ مقفو الخطى عن قومه ❊ طريق نجاة عندهم مستو نهج
ولو قرؤا في اللوح ما خط فيه من ❊ بيان اعوجاج في طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير الحسن من البعَث بالتحريك ونظيره الجلَب والطرد في الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وفتح

وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضده هذه القراءة قوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة بانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت البهيج الحسن السار للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ابو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر عن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها فان قلت ما كان غرضه من جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو

يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج

وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد

الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب
من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق
واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر
واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه
مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا
الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا
من اليهود اسلم فاصابته مصايب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال
ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله تعالى والخروج الى ما يسخط الله
جامع على نفسه محنتين احديهما ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين
وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدأ محذوف واستعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه
ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته فان قلت الضرر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها
في الآيتين هذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه
يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال
يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها
ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال
يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا
لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله تعالى فبئس القرين ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن
ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ هذا كلام
قد دخله اختصار والمعنى ان الله تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه
ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في
ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر
وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق
يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على
غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب
لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين
لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون
اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله تعالى
لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضى بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه وليس به صبر واستسلام
فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك انزلناه آيات بينات

يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب
من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا
والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع
فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك
انزلناه آيات بينات

وان الله يهدي من يريد ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد اي مثل ذلك الانزال انزلنا
القران كله آيات بينات ولان الله تعالى يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين امنوا
ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا
فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان
وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي
بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول
جرير ؛ ان الخليفة ان الله سربله ؛ سربال ملك به ترجى الخواتيم ؛ الم تر ان الله يسجد له من في
السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق
عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء سميت مطاوعتها له فيما يحدث
فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخل افعال
المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت فما تصنع بقوله
تعالى وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته به
لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في
الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة قلت لا انظم كثيرا في
المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله تعالى
يسجد اي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة
والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين
او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه
العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون
والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين العذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم
العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي
حق عليهم العذاب حقا ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد
بقي مهانا لن تجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام
والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين هذان خصمان
اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في
بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا
عذاب الحريق هذان خصمان الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او
فريقان يختصمان وقوله تعالى هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس
رضي الله عنهما رجع الى اهل الاديان الستة في دينهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب

وان الله يهدي من يريد ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل
شيء شهيد الم تر ان الله يسجد له من في السموات
ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق
عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل
ما يشاء هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا
قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم
يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها
وذوقوا عذاب الحريق

قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق
بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم
تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني
بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرئ
قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع
الثياب الملبوسة ويجوز ان يظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة
على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس
رضي الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها يصهر يذاب وعن الحسن
رحمه الله بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن
نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله تعالى
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها
في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها وقرأ الأعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون
الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن
ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين
خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب
ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد يحلون عن ابن
عباس رضي الله عنهما من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله تعالى
وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم تقلب الثانية ياء كادل
ولول كادل فيمن جر ولولو وليليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس رضي الله عنهما وهداهم الله والهمهم
ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة يقال فلان يحسن الى الفقراء
وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه
والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب اليم ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم
اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتان وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة
قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي رضي الله عنه
لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وقال نسب
الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من
مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني
مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان

الحال

ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم

الحال العدول عن القصد واصله الحال الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول
يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما
نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق
السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن
سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان
يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل
لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما
وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل
ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان
الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا
فهو كذلك واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج
عميق واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة
رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام
مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة
فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة
مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي
من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن
في الناس ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي
انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا
بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعلى كل ضامر حال معطوفة
على حال كانه قيل رجالا وركبانا ياتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ ياتون صفة
للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام
فكلوا منها واطعموا البائس الفقير نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية
لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه كان يفاضل بين العبادات
قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح
بذكر اسم الله تعالى لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه
على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا

واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير

ان جمع بين قوله تعالى ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات
بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة في ايام معلومات والايام المعلومات ايام
العشر عند ابي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه ايام النحر البهيمة مبهمة في كل
ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة
لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة
الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته
مقدار الثلث وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق
وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وابتجروا البائس الذي اصابه بؤس
اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت
العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم
فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور قضاء التفث قص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ فليوفوا بتشديد
الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة
وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف
الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من
جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق
وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد
التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رحمه الله فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط
عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة
من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل
هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع
تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد
الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة
المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه
وذلك قوله تعالى في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها
الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان
البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا ما حرم الله كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك
لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله
تعالى نفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران
واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه
قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه

ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور

في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك
الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه
فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله تعالى
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من
الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم
يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور
والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور
قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه
وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان
وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك
تملكه وما ملك حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء
فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها
من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق يجوز في هذا
التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك
بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة من خر من السماء
فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض
المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان
واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان
الذي يطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي
المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها
تختطفه وقرئ الرياح تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها
عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا
يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن
ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل
اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في
انفه برة من ذهب وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسوق البدن مجللة بالقباطي
فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته
امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها

حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق

من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها
لانه لابد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي
اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها
ويؤكل منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا
منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض
الدنيا والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت اي
وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد
نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا
البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها
الى البيت العتيق يأباه ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام
فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم
والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون شرع الله تعالى لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه
على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك وقرئ
منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله اسلموا
اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتون
المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا
ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
والمقيمين الصلوة على الاصل والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها
صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون
البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق
البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة
في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة رضي الله عنه واصحابه والا فالبدن هي الابل
وعليه تدل الاية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد
النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله تعالى والقمر قدرناه من شعائر الله اي من
اعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى واضافتها الى اسمه تعظيما لها لكم فيها خير كقوله تعالى
لكم فيها منافع ومن شأن الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله وعن
بعض السلف انه لا يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت
ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس رضي الله عنهما دنيا وآخرة وعن ابراهيم من احتاج
الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله
والله اكبر اللهم منك واليك قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من
صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة

ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله
على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم
اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين
على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون والبدن جعلناها
لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا
اسم الله عليها فاذا وجبت جنوبها
فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك
سخرناها لكم لعلكم تشكرون

تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله تعالى وعن عمرو
ابن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف وعند بعضهم صوافي
نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء وجوب الجنوب وقوعها على الارض من
وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس وجبة غربت والمعنى فاذا وجبت
جنوبها وسكنت نسايسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه
وكنعت اذا خضعت وسألته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال وقرأ الحسن
والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير
يقال قنع فهو قنع وقانع من الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي
رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها
ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي
اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة لن ينال الله لحومها ولا
دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين
ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور اي لن تصيب رضى الله اللحوم المتصدق
بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضي المضحون والمتقربون
ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير
ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب
وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال الله ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية
اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك
فنزلت كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك
حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته خص
المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال تعالى انهم لهم
المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم
وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها
ومن قرأ يدفع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء
اقوى وابلغ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من
ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع
وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي
عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
ولله عاقبة الامور اذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى
اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله
على ما هداكم وبشر المحسنين ان الله يدافع
عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان
كفور اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين
اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا
ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي
عزيز [illegible]

مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا
وكانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول
لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول اية اذن فيها
بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين
فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم
عدة منه بالنصر وارادة على سنن كلام الجبابرة ومامر من دفعه عن الذين امنوا
موذن بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير
موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج
والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله دفع الله بعض الناس ببعض
اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى
المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا
للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او
لغلب المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في
ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت
الكنيسة صلوة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوتا من ينصره
اي ينصر دينه واولياءه هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه
سيرة المهاجرين رضي الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف
يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد
ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على
صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة
العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن رحمه الله
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله تعالى من ينصره والظاهر انه
مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه
تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين
ثم اخذتهم فكيف كان نكير يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست باوحدي في
التكذيب فقد كذب الرسل اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت لم قيل وكذب موسى
ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى عليه السلام ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما
كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم
وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره النكير بمعنى الانكار
والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا فكاين من

قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في
الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش
والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله
وخوى بطن الحامل وقوله تعالى على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها
ساقطة على سقوفها اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت
فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا
بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف
سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة
على السقوف الساقطة فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية
قلت الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوف على اهلكناها وهذا
الفعل ليس له محل قرا الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها
الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها
والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها
وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على
عروشها بمعنى مع اوضح وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع اربعة الاف نفر ممن
آمن ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا عليه السلام
حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح عليه السلام وامروا عليهم
جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان
نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا
على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا اثارهم فيعتبروا وان يكونوا
قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم
قلوب بالياء اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي
فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى ان ابصارهم
صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة
الى عمى القلوب فان قلت اي فائدة في ذكر الصدور قلت الذي قد تعورف واعتقد ان
العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب
استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب
حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف
ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك

فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

الذي بين يديك فقولك الذي بين يديك تقرير لما ادعيته للنشاط وتثبيت لأن
محل المضاء هو هو لا غير فكانك قلت ما نعيت المضاء عن السيف واثبته
للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا ويستعجلونك
بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين
من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب
العاجل والآجل كانه قال ولم تستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك
على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو
بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره تعالى واستقصاره المدد الطوال
ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم
واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدايد مستطالة
او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن
يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ تعدون بالياء والتاء ثم قال وكم من اهل
قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت
لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله تعالى فكيف
كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدم من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله تعالى ولن يخلف
الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين
اولئك اصحاب الجحيم يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه وعاجزه سابقه
لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى
سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير
ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم
للاسلام يتم لهم فان قلت كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين
بعده قلت الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل
فيهم افلم يسيروا في الارض ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء عليهم السلام فقال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من
الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما
امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفته عشيرته ولم يتابعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من

اعراضهم

وبستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله
وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون وكاين من قرية امليت
لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق
كريم والذين سعوا في آياتنا
معاجزين اولئك اصحاب الجحيم وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم
الله اياته والله عليم حكيم

اعراضهم وتمنيا لكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى
استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم
وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرأها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة
الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه
على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي
الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام
او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي
وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون
به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت
هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في
امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف
المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى
قرأ وانشد ؛ تمنى كتاب الله اول ليلة ؛ تمني داود الزبور على رسل ؛ ؛ ؛
وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي
الذين آمنوا الى صراط مستقيم والذين في قلوبهم مرض المنافقون الشاكون والقاسية
قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين يريد ان هؤلاء المنافقين والمشركين
واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم انه الحق من ربك
اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة وان الله لهادي الذين
آمنوا الى ان يتأولوا ما تشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل
منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل
اقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم
الساعة بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين الضمير
في مرية منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد
النساء يقتلون فيه فيصيرون كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب
فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم
اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك
انه يوم القيمة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة

يجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في
قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم
الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا
به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين
آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه حتى تاتيهم
الساعة او ياتيهم عذاب يوم عقيم
الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم
والذين كفروا وكذبوا باياتنا
فاولئك لهم عذاب مهين

وكانه قيل حتى تأتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير فان قلت التنوين
في يومئذ عن اي جملة ينوب قلت تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله تعالى
ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او
ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله
لعليم حليم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور لما
جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل
تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم
بفضله وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء
الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا
معك فانزل الله تعالى هاتين الآيتين تسمية الابتداء بالجزاء للملابسة له من حيث انه
سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان قلت
كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال
بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح
ان اثر ما يدب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في
قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته
الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي
ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو
المغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون
من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات
قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار والنهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما
فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون
بصير بما يفعلون فان قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر قلت تحصيل ظلمة هذا
في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء
السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات
وقرئ تدعون بالتاء والياء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى
ما لانه في معنى الآلهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك
كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه
لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة
ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في

الارض

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا
او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان
الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا
يرضونه وان الله لعليم حليم ذلك ومن
عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه
لينصرنه الله ان الله لعفو غفور ذلك
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وان الله سميع بصير ذلك
بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
هو الباطل وان الله هو العلي الكبير
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح
الارض مخضرة ان الله لطيف خبير
له ما في السموات وما في الارض وان
الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم

الارض والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس
لرؤف رحيم وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور قرئ مخضرة اي ذات خضر
على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه
وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له
ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام
قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار
مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك
تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم
في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم ما في
الارض من البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات
وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيئته وهو الذي احياكم بعد ان
كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا
منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك
فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت
الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنازعة في
الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين
وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له
عن منازعتهم كما تقول لا يضاربك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين
الاثنين في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا
لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يهيج
حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله تعالى ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين
فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد
على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب قال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي
لا يغلبنك في المنازعة فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه
قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها
واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا وان جادلوك وقد بانت الحجة للمجادلة بعد
ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم وقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء
فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله تعالى للمؤمنين
والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى
منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض

ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره
ويمسك السماء ان تقع على الارض الا
باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم
وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
ان الانسان لكفور لكل امة جعلنا
منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في
الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى
مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم
بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما
كنتم فيه تختلفون الم تعلم
ان الله يعلم ما في السماء والارض ان
ذلك في كتاب ان ذلك على الله
يسير

وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات
لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به
علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس
المصير ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها
علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم
المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش
وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على
الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة
والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استئناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدا ووعدها خبرا وان
يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت
قد سميت الصفة او القصة الرايعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال
المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم قرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن
اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم
مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو اجتمعوا له قلت النصب على
الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من
ابلغ ما انزله الله تعالى في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه
حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن اخرها صورا
وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله تعالى واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك
وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا
فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين
الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب
وذلك مغلوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون
عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى
لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله
قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس ان الله
سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله تعالى
على ضربين ملايكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما

ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها ... وبئس المصير يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب ... ضعف ... ما قدروا الله حق قدره ... الله يصطفي من ... ان الله ... ايديهم وما ... ... تفلحون

وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسال عما يفعل
وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله لما ذكر ان ليس لغيره من الطاعة في هذه
السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة
بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو ثم ختم بالحث على ساير الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا
يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا
ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وافعلوا
الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح
طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت
يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي فراى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة
واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة
صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم
ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير وجاهدوا امر بالغزو و
بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته
فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله في ذات الله ومن اجله تعالى هو حق عالم
وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق
الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص
فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان
يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته ما جعل
عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والارش
ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة
الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة
ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اعني بالدين ملة ابيكم
كقولك الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن ابراهيم صلوات الله عليه ابا للامة كلها قلت هو ابو رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده وهو سماكم الله تعالى
وقيل الى ابراهيم عليه السلام ويشهد للاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي من قبل
القران في ساير الكتب وفي القران اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول
شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه
الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر

وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير

فيما مضى وفيما بقي

بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلوتهم يحافظون اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك
ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما
دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح
كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قرآءة طلحة بن مصرف افلح على البناء
للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو وجزاء
بها عنها كقوله فلو ان الاطبا كان حولي فان قلت ما المؤمن قلت هو في اللغة المصدق واما
في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطيا قلبه لسانه
فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الخشوع في الصلوة خشية
القلب والباد البصر عن قتادة رضي الله عنه وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الاية رمى ببصره نحو مسجده وكان
الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشأن
من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستوفي الآدابه فيتوقى كف
الصوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل
والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا
يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى
وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث فان قلت لم اضيف
الصلوة اليهم قلت لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي
عدته وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو
ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاءه واطراحه يعني ان بهم من
الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم
الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم مشترك بين
عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي
هو التزكية وهو الذي اراده الله تعالى فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه
ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل
فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث
من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق

بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وانشد لامية
ابن الصلت المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة
العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على ازواجهم في
موضع الحال اي لا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات
عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان
ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم
او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون
على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك
احفظ علي عنان فرسي تضمنه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا
فعلك فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء
وهم الاناث جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد
مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون
في العدوان المتناهون فيه فان قلت هل فيه دليل على تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة
نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه
امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال تعالى وتخونوا اماناتكم
وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ
واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في
كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات
الناس وعهودهم وقرئ على صلاتهم فان قلت كيف ذكر الصلوة اولا وآخرا قلت هما ذكران مختلفان
فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها
ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان يتم به اوصافها
وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة
وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل اي اولئك الجامعون
لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله
الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة
مريم انث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر وروي ان الله عز
وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية
ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين
السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء القلة كالقلامة والقمامة

بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلوتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين

وعن الحسن رحمه الله ما بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت الاول للابتدآء
والثاني للبيان كقوله من الاوثان فان قلت ما معنى جعل الانسان نطفة قلت معناه
انه خلق جوهر الانسان اولاطينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم
وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقوله طريق سائر او مكانتها في نفسها لانها
مكنت بحيث هي واحرزت قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما وكسونا العظام
وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة
خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان
جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره
بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف
الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله فيمن غصب بيضة
فاخرجت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك
الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر
المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون
لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله
تعالى خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي
سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله اكتب هكذا
نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم
اسلم يوم الفتح قرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت
كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا
كقولك يموت ونحوها ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة
التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على
اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع فان قلت فاذا لا حياة الا حياة الانشاء وحياة
البعث قلت ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثيها عند
وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه
الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة
الطرائق السموات لانها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله
فهو طريقه او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب
فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين
وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها
فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا
عنهم وعما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة وما

ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وانزلنا من السماء ماء بقدر

بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض
وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة
والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها
الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله
فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واجزها للفصل والمعنى
على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعالى
عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم
بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا
نفارها اذا لم يشكر خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع
ووصف النخل والعنب بان ثمرها جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه به وطعام يؤكل رطبا
ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ
جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة
يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعني انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال
وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون وشجرة تخرج من
طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم في الانعام لعبرة وشجرة عطف على
جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين
لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما
للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سيناء
فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث
كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين
وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى عليه السلام وقرأ الاعمش سينا على القصر بالدهن في
موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تُنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد
لزهير ؛ رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ؛ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل ؛
والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء
وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن
وبعض الحروف الى تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما
دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله
بالبركة في قوله يوقد من شجرة مباركة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها
وعلى الفلك تحملون قرئ تسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اي تتعلق
بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها
منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي

فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون

المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفاين لانها سفاين البر قال ذو الرمة ؛
سفينة بر تحت خدي زمامها ؛ يريد صيدحه غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ
والجملة استيناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا
عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم
تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء فقال الملأ الذين كفروا من قومه
ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في
آبائنا الاولين ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء
في الارض بهذا اشارة الى نوح عليه السلام الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا
بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال
لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا
في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم
وبما عن لهم من غير تمييز بين صدق وكذب ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين
الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن اي به
جن يخبلونه حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان
افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرني بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور في نصرته اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب
تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى
ابدلني من غم تكذيبهم سلوة بالنصر عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه
فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلائتنا كان معه من الله
حفاظا يكلؤنه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين
كالية ووحينا اي نامرك كيف تصنع ونعلمك روي انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال
جؤجؤ الطاير روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت
ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم
عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح عليه السلام واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد
الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عليه السلام عمل السفينة وسط المسجد وقيل
بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس رضي الله عنهما التنور وجه الارض
وعن قتادة رضي الله عنه اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور
طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول
هو الاول فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا
من القوم الظالمين يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال

حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ؛ من كل زوجين من امتي زوجين وهما امة الذكر
وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة
والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة
زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع
قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي
فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الاية من كونهم ظالمين
وايجاب الحكمة لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد
ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا
ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على
اهلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ثم امره ان يدعوه بدعاء هو اهم وانفع
له وهو طلبه ان ينزله في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه
ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته
وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن
معك لانه في معنى فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه
من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة
لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله تعالى
ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ثم انشأنا من بعدهم
قرنا آخرين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى
وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد
او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية
فهل من مدكر قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس رضي الله عنهما وتشهد له حكاية
الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر
قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فارسلنا فيهم رسولا منهم
ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فان قلت حق ارسل ان يعدى
بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي في القرآن بالى تارة وبفي اخرى
كقوله تعالى كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا
اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم
يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ؛
ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام ؛ وقد جاء بعث على ذلك في قوله تعالى ولو

شيئا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا
الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا
ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون فان قلت ذكر مقال
قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وقال الملأ الذين كفروا
من قومه انا لنريك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فاي
فرق بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فماذا قال قومه فقيل له قالوا
كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول
هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب
والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشروبكم
او حذف منه لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون اذن واقع في
جزاء الشرط وجواب للذين قاولهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ثني
انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل
انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم
مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية
خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ايعدكم اذا متم قرئ هيهات بالفتح والكسر
والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت ما توعدون هو
المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام
قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة
المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة
الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به ان هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة
الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل
ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحيوة لان ان النافية
دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها
نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ان هو
الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل
ليصبحن نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم قالوا
ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن
بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي
معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها الصيحة صيحة جبريل عليه السلام
صاح

وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين

صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك
فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل
مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا
في قول امرئ القيس ⁂ من السيل والغثاء فلكة مغزل ⁂ بعدا وسحقا ودفرا ونحوها
مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت
بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد
رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون
ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون ثم ارسلنا
رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث
فبعدا لقوم لا يؤمنون قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله
عنهما بني اسرائيل اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب تترى فعلى الالف للتانيث لان
الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور متواترين
واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول
يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك
وجعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه
احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة
والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا
قوما عالين فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان تراد العصا لانها كانت
ام ايات موسى عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية
وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا
وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت
به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز ان تراد الايات
انفسها اي هي ايات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون
علوا في الارض او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم
يهتدون والبشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل
وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن
ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما
يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى

ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون

للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة موسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم
يعملون بشرايعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملايهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم
وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملايه لان التورية
انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملايه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين فان قلت
لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح
من الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات آخر فكان آية من غير وجه
واللفظ يحتمل للتنبيه على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها الربوة والرباوة في رايها الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض
المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية
عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل مصر
والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة رضي الله عنه ذات ثمار وماء
يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض
وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من
عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره
وجريه من الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم
هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما كيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما
المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع
الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات
الرزق حلاله وصافه وقوامه فالحلال الذي لا يعصى الله تعالى فيه والصافي الذي لا ينسى الله
فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه
ويشهد له مجيئه على عقب قوله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا
الاعلام عند ايواء عيسى ومريم عليهما السلام الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما
هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وان
هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون
فذرهم في غمرتهم حتى حين قرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة
وامتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وزبرا
قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة
من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق الغمرة
الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا

بالاعبين

بالاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال :: كانني ضارب في غمرة لعب ::
وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا سلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره ايحسبون انما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل
الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى
ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه
مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد
في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله تعالى ايحسبون
يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج
ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذ لم يستكن فيه ضمير قلت
هو محذوف تقديره يسارع به ويسارع به ويسارع الله به كقوله تعالى ان ذلك من عزم
الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس ان الذين هم من
خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون يؤتون ما آتوا يعطون
ما اعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها يأتون ما أتوا
اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب
الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق
وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون
يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة
فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا
سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان
فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون
السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى
قوله انت لها احمد من بين البشر ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق
وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون يعني ان
هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه
عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح
او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤون منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة
فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم احد واراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ المكلف

وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى
ربوة ذات قرار ومعين يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم
وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون

ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم
بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون
بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك
هم لها عاملون

حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون

ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته
فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه
دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون
من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية كذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها معتادون
وبها ضاوون لا ينفطمون عنها حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا
اليوم انكم منا لا تنصرون حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها
الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فابتلاهم الله تعالى بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد
والاولاد الجوار الصراخ باستغاثة قال: جاء رساعات النيام لربه: اي يقال
لهم حينئذ لا تجأروا فان الجوار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا اي
من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون
مستكبرين به سامرا تهجرون قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر
علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن
لهم معجزة الا انهم ولاته والقايمون به ويجوز ان يرجع الى اياتي الا انه ذكر لانها في معنى
كتابي ومعنى استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا ضمن معنى مكذبين فعدي تعديته
او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او يتعلق الباء بسامرا
اي يسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت
عامة سمرهم ذكر القران وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او يهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون
من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى
والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين القول القران
يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يات
اباءهم فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون
او ليخافوا عند تدبر اياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن
ما لم يات اباءهم حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه واباؤهم اسمعيل واعقابه
من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين
ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا الاسد بن خزيمة ولا تميم
ابن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شي فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما
وروي في ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود عليهما السلام ام لم
يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام لم يعرفوا محمدا وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه
ونبله

ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم

وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو
طالب في نكاح خديجة بنت خويلد بر غابها مناد با ام يقولون به جنة بل جاءهم
بالحق واكثرهم للحق كارهون الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بري منها وانه ارجحهم
عقلا واثبتهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشاوا
عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجد واله مردا ولا مدفعا لانه الحق
الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون
والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان
فيهم من يترك الايمان انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبأ وترك
دين ابائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت زعم بعض الناس ان ابا
طالب صح اسلامه قلت يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى اسلام ابي طالب
ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن
ذكرهم معرضون دل هذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا
من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى
له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام لو
اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة
رضي الله عنه ان الحق هو الله تعالى ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم
ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكن شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات
والارض بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي
كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ
بذكراهم ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم وقرئ خراجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى
الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت
به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج
القرية وخرج الكودة زيادة لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ
خرجا فخراج ربك خير يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق
فالكثير من عطاء الخالق خير فقد الزمهم الحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم
وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه
خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل
هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء
اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز

المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء
الضُّلّال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله
بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في
طغيانهم يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا
فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم
لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله تعالى
الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب لما اسلم ثمامة
ابن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين
حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله
والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف
والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم
برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين
يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك بانا اخذناهم بالسيوف وبما جرى عليهم يوم
بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا
عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة
وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم
كل محنة من القتل والجوع فما روي منهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار
جهنم فحينئذ يبلسون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه
مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن استكان
قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى
حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت
هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب
المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب
العذاب الشديد وقرئ فتّحنا وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا
ما تشكرون انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية
والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات
الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها
كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون
بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند وشريك
اي

وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط
لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد
اخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا
عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم
فيه مبلسون وهو الذي انشأ
لكم السمع والابصار والافئدة قليلا
ما تشكرون

اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقا وهو الذي ذرأكم في الارض واليه
تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون بل قالوا مثل
ما قال الاولون ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وله اختلاف
الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون
بالياء عن ابي عمرو قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن
وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار
عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون اي قال اهل مكة كما قال الكفار
قبلهم الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة ∴ اني واسطار سطرن سطرا ∴
وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق اي اجيبوني عما استعلمتكم
منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات
ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا
تتذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق
وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرئ الاول باللام لا غير
والآخران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام
وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة باللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو
في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت
في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان
اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من شاء ممن شاء ولا يغيث احد منه
احدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى بل اتيناهم
بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون
وقرئ اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل وانهم
لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من
الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم كل واحد منهم متميزا من ملك الآخر ولغلب
بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين
لم تروا اثر التمايز للممالك وللتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء فان قلت
اذا لا تدخل الا على كلام هو جواب وجزاء فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه
شرط ولا سؤال سائل قلت الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما
حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من

وهو الذي ذرأكم في الارض واليه
تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله
اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون
بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا
ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا
الا اساطير الاولين قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون
لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون
لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت
كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه
ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
فانى تسحرون بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون
ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض [illegible]
عما يصفون عالم الغيب [illegible]
[illegible]

المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر
مبتدأ محذوف قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ما والنون مؤكدتان اي ان كان لابد من ان
تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم
عن الحسن اخبره الله تعالى ان له في امته نقمة ولم يخبره افي حياته او بعد موته فامره ان
يدعو بهذا الدعاء فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى
يطلب ان لا يجعله معهم قلت يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ
به ما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره
صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول
الحسن في قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم
ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما ترئني بالهمز كما قرئ فاما ترئن من البشر ولترؤن
الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع
وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم
ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتي هي احسن السيئة
نحن اعلم بما يصفون هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه
قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا
اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة
وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة ان لا اله الا الله
والسيئة الشرك وعن مجاهد السلم يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح
وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء
بمروة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم
بذلك منك واقدر على جزائهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين
يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز
في قوله تعالى تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لنداية القران
وعن عكرمة عند النزع حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون حتى يتعلق بيصفون اي لا يزالون
على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء
عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله على الحلم ويغريه على الانتصار منهم او بقوله
وانهم لكاذبون خطاب الله تعالى بلفظ الجمع للتعظيم كقوله ؛ فان شئت حرمت النساء سواكم
وقوله ؛ الا فارحموني يا اله محمد ؛ اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على

مازد

قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا [illegible]

ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا في الايمان
الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي ابني على
اس تريد اسس اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين
المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله
واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة
الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها
لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده
لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة
الى يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة
يوم البعث الا الى الاخرة فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون الصور
بفتح الواو عن الحسن رحمه الله والصور بالفتح والكسر عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع
الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين
ولا يكون التواصل بينهم والتألف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب
لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه وعن ابن مسعود رضي الله عنهما ولا يتساءلون بادغام التاء في السين فان قلت
قد ناقض هذا ونحو قوله تعالى ولا يسأل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله
يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون الف
سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها
لا يفطنون بذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت
الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون عن ابن عباس
رضي الله عنهما الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر
عند الله تعالى من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم
ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف
تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان
وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة
عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ
وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى
عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا

فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا

فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا
اذا اخذه منك واملكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم
قرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسؤا فيها اذلوا فيها وانزجروا كما
تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب
فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق
والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون
حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي
الله وحده فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون
الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم
نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها وفي حرف ابي انه كان
فريق بالفتح بمعنى لانه فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون
السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل
كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزؤ والمضموم من
السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم
الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم
ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان
تذكروني فتخافوني في اوليائي اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون
قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال
ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون وقرئ انهم بالفتح والكسر استينافا اي قد فازوا حيث
صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال
في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير لله تعالى
او للمأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار استقصروا
مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام
محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها ولانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار
او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله تعالى في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم
على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا
نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل
من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمال
العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول
وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس

رضي

فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري
وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم
... انهم هم الفائزون قال
... في الارض عدد سنين
... او بعض يوم فاسئل
... الا قليلا لو انكم

رضي الله عنهما انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون عبثا حال اي عابثين كقوله تعالى لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم
يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم الشاق من الطاعات وترك
المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون
معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولنترككم غير مرجوعين وقرئ
ترجعون بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر
لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه
وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال
بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد لا برهان له به كقوله تعالى
ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان
يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء
كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة
ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان
من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة
قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان
وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش
من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل الوحي عليه يسمع عنده دوي كدوي
النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا
واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال انزلت علي عشر آيات
من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون سورة خبر مبتدأ محذوف
انزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها
وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك
سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض
القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها
فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض وكثرة المفروض عليهم من السلف
ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما

افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق
لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع
مع الله الها آخر لا برهان له به فانما
حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
بسم الله الرحمن الرحيم
سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا
فيها آيات بينات لعلكم تذكرون
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما

مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على
معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء
لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى
فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة
انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه
ورأسه فان قلت اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم قلت بل حكم من ليس
بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة رضي الله عنه ست
الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا
احصان وعند الشافعي رضي الله عنه الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت
اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله تعالى الزانية والزاني عام في الجميع
يتناول المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف
والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه
كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا يأخذكم ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان
الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم
اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث
قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
من باب التهييج والهاب الغضب لله تعالى ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى
لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت
ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى
النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة حد بارض خير لها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام
ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا
ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها يستثنى منها ثلاثة الوجه
والرأس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة
ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان الجلد حد غير
المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة رضوان الله عليهم انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنه وعند
اصحابه بالآية او محمول على التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي رضي الله عنه في تغريب
الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة
ولا

ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والأذى في قوله تعالى فامسكوهن في البيوت
وقوله تعالى فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من
المعاودة كما سمي نكالا الطائفة من المؤمنين الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة
واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن رحمه الله
عشرة وعن قتادة رضي الله عنه ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رضي الله عنه رجلان فصاعدا
وعن مجاهد رحمه الله الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس رضي الله عنهما لان الاربعة هي
الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله تعالى
بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال تعالى
ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا
الزنى فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب
البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود
في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه
القتلة المهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة
للتشهير فوجب ان يكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة
واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول
ابن عباس رضي الله عنهما الى اربعين رجلا من المصدقين بالله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او
مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين الفاسق الخبيث
الذي من شأنه الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف
صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة
كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها
من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه
بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور
موقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها
من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله
تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من
بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية
واذا باشرها كان زانيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه اجازه وشبهه بمن سرق ثمر شجرة
ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح
والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة

مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين

الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين

اينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك
الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرمًا
في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك
عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت
معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية
صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان
فان قلت كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها قلت سيقت تلك الآية
لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة التي نشأت منها الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم
تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما
الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدو الطلب
وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد
كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على ان معناه ان عادتهم
جارية على ذلك وعلى المؤمن ان يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ
وحرم بفتح الحاء. والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
فان الله غفور رحيم القذف يكون بالزنى وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنى
شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف
بغير الزنى يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنى ان يقول الحر العاقل البالغ للمحصنة
يا زانية وللمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنى لست لابيك لست لرشدة
والقذف بغير الزنى ان يقول يا آكل الربوا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث
يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه
وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة
وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ
باربعةٍ شهداء بالتنوين وشهداء صفة فان قلت كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين
قلت الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا
قذفة وعند الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين فان قلت هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة
واحدا منهم قلت يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي فان قلت كيف يجلد القاذف قلت
كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو والقاذفة
ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنى ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب
القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة
للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت فاذا لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف

والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم

ولا حد الا انه يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير ورد شهادة القاذف معلق
عند ابي حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته
فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي
رضي الله عنه يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه
عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة جعل جزاء الشرط الذي
هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده
في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله تعالى واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير
داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة
الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله تعالى فان الله غفور
رحيم والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا
وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا
لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن
جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا
لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون
غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل
شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة
رضي الله عنه كان القذف مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعبأون
بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر
من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا
عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القذف قلت لهما
ذلك قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا
يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا
ودعه لوجه الله تعالى قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه
خالص حق الله تعالى ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث الحد
قلت عند ابي حنيفة رضي الله عنه لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث ويورث عند
الشافعي رضي الله عنه واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه
الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها والذين يرمون
ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه
لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها
العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله

والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين

عليها ان كان من الصادقين قاذف امرأته اذا كان مسلماً حراً عاقلاً بالغاً غير
محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنى
وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبداً او
محدوداً في قذف والمرأة محصنة حُدّ كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام
لم يجب اللعان واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
فيما رماها به من الزنى ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فيما رماها به من الزنى وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماني به من الزنى ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
فيما رماني به من الزنى وعند الشافعي رضي الله عنه يقام الرجل قائماً حتى يشهد والمرأة قاعدة
وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف
ان لم تكن صادقاً ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة
على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم
يكن له دين ففي مساجدنا الا المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة رضي الله عنه
واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلاً وعند الشافعي
رضي الله عنه تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند
ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك بحد جاز ان يتزوجها
وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريماً مؤبداً
ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى
الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد
رجل مع امرأته رجلاً فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابداً وفسق وان ضربه بالسيف
قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته
ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال وما وراءك قال شر وجدت
على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع
ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري
الغيرة ادركته ام بخلاً على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته
على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها
ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت
الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار
وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو
لشريك وان جاءت به اورق جعداً حماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت

به قال ابن عباس رضي الله عنهما فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال عليه السلام
لولا الايمان لكان لي ولها شأن وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم
في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل
فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة
احدهم اربع شهادات بالله وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع
ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى
وتشهد الخامسة فان قلت لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله قلت تغليظاً
عليها لانها اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية
الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم
لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم
له عذاب عظيم الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه
ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به الافك ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء
وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن
وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله تعالى عنها والعصبة الجماعة من العشرة
الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي رأس النفاق
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلاً الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث
الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله
لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال
من هذه فقالوا عائشة قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع
رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله تعالى هو خير لكم لمن ساءه ذلك
من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل
ومعنى كونه خيراً لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبيناً ومحنة ظاهرة
وانه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل
لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة
وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على متأمليها لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين
والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ولولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين

قال لأم أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك فإن قلت هلا قيل لولا
إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى
الظاهر قلت ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على
أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها
قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه أن يبني
الأمر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا
إفك مبين هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة
الحال وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم المحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت
ولا يشيع ما سمعه بأخوات لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك
عند الله هم الكاذبون جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة
الشهود الأربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضي الله تعالى عنها لم تكن لهم بينة
على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله أي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ
وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر
مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به إذا قذف امرأة
محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا
والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم لولا الأولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود
غيره والمعنى ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها
الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على
ما خضتم فيه من حديث الإفك يقال أفاض في الحديث واندفع وهضب وخاض
إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
إذ ظرف لمسكم أو لأفضتم تلقونه يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه
قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقرئ على الأصل تتلقونه وإذ تلقونه
بإدغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من إلقائه بعضهم على بعض
وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضي الله عنها
وعن سفيان سمعت أمي تقرأ إذ تثقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
فإن قلت ما معنى قوله بأفواهكم والقول لا يكون إلا بالفم قلت معناه أن الشيء المعلوم يكون
علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في
أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم
أي تحسبونه

أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت
فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم
لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم
بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقي الإفك بألسنتهم
وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع
وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث
استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم فإن قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم
قلت للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها
لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فإن قلت فأي فائدة في تقديم
الظرف حتى وقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن ينقادوا
أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم ولولا إذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم فإن قلت فما معنى
يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح
أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق
وسبحانك للتعجب من عظم الأمر فإن قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت الأصل
في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه
أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن قلت كيف جاز أن تكون
امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما السلام ولم يجز أن تكون فاجرة قلت لأن
الأنبياء عليهم السلام مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم
ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات يعظكم الله أن
تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين أي كراهة أن تعودوا من قولك وعظت فلانا في
كذا فتركه وأبدا ما داموا أحياء مكلفين وإن كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير
بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الآيات
والله عليم حكيم إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا
والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم
ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة
ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة والمعنى
يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد
ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان
لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله تعالى والذي تولى كبره
منهم والله يعلم ما في القلوب من الأسرار والضمائر وأنتم لا تعلمون يعني أنه قد علم محبة

لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم

من احب الاشاعة وهو معاقبة عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا
جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في
التواب والرؤف والرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات
الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه وقال ابو ذويب
ضوابر جرمي تفاحش عارها ؛ اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه
ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكي بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا
ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد اخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر
التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمايرهم واخلاصهم ولا يأتل اولوا
الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا
وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم هو من ائتلى اذا حلف افتعال من
الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم تدخر منه شيا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال
والمعنى لا يحلفوا على ان يحسنوا المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت
بينهم وبينهم شحناء الجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان
يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر رضي الله عنه ينفق عليه فلما فرط
منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة
للمسيء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان
يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب
ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم ان الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو
الحق المبين الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء
ولا مكر لانهن لا يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال
؛ ولقد لهوت بطفلة ميالة ؛ بلهاء تطلعني على اسرارها ؛ وكذلك البله من الرجال
في قوله عليه الصلوة والسلام اكثر اهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة
للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القران كله وفتشت عما اوعد به العصاة
لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عايشة رضوان الله عليها ولا انزل من
الايات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام
ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه من طرق مختلفة واساليب مفتنة
كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين

في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة وبان السنتهم وايديهم
وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي
هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل
واجمل واكد وكرر بما لا يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة
وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال
عن تفسير القران حتى سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت
توبته الا من خاض في امر عايشة رضي الله عنها وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك
ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من
اهلها وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاقه
ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عايشة رضي الله عنها بهذه الايات
العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر
كم بينها وبين تبرئة اوليك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم عليه السلام وخيرة الاولين والاخرين
وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب
السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من ايات الافك وليتامل كيف غضب الله في
حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عايشة هي المرادة فكيف
قيل المحصنات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان يخصص بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعايشة كبراهن
منزلة وقربة عند رسول الله كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة
لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال
؛ قدني من نصر الخبيبين قدي ؛ اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان
اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم
وذاك في الصفة فان قلت ما معنى قوله هو الحق المبين قلت معناه ذو الحق المبين اي
العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه
صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب
محارمه الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم اي الخبيثات من
القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات
من القول وكذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن
عما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعايشة رضي الله عنها
وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون

يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين ... وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ... والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا ... ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون

الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم

اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقوله اهل الافك وان يراد بالخبيثات
والطيبات النسآء اي الخبايث يتزوجن الخباث والخباث الخبايث وكذلك اهل الطيب
وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله تعالى واعتدنا لها رزقا كريما وعن عآيشة رضي الله عنها
لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي
وان رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملآيكة في بيتي وان الوحي
لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وانه كان لينزل عليه وانا معه في لحافه
واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السمآء ولقد خلقت طيبة
عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا
غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون تستانسوا
فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش من خفآء
الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تعالى لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس
يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام
والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا
وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست
فلم ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة ؛ على مستانس وحد ؛ ويجوز
ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا
يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن
اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن
ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر رضي الله عنهما فقال السلام عليكم ءادخل قالها ثلاثا ثم
رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلاثا واستاذن رجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ءالج فقال عليه السلام لامرأة يقال لها روضة قومي
الى هذا فعليه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام عليكم ءادخل فسمعها الرجل
فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم
صباحا وحييتم مسآء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله
عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة
قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك اذا رعف عليك الباب
بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا الاسلام ولا الجاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله تعالى
فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اين الاذن الواعية وفي قرآءة عبد الله
حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم انما هو
تستاذنوا

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون

تستاذنوا فاخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قرآءة ابي رضي الله عنه حتى
تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول
بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب
وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال
للنبي صلى الله عليه وسلم ءاستاذن على امي قال نعم قال انها ليس لها خادم غيري
ءاستاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذنه
لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم
به في باب الاستيذان فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل
لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من
الاذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من ياذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا
من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع
لئلا يطلع الدامر على عورة ولا يسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا
يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع
احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد ان يكون برضاه والا اشبه الغصب
والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلحوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا
على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا
ذوي مروة ومرتاضين بالاداب الحسنة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب
الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير
ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد رحمه الله ما قرعت
بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك
من ورآء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن
لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع
فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه
مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض امر في دار من حريق او هجوم
سارق او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذلك مستثنى بالدليل اي الرجوع اطيب لكم واطهر
لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك
بانه عالم بما ياتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه ليس عليكم جناح ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون استثنى
من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو
الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان
من الحر والبرد وايوآء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه

فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون

يا رسول الله ان الله قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل
في هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما
يصنعون من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش
ان تكون مزيدة واباه سيبويه فان قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج
قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن
وثديهن واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات
والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر الفرج فمضيق
وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان
يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنى الا هذا فانه اراد به الاستتار
ثم اخبر بانه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر
حواسهم وجوارحهم فعليهم اذ عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة
وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من
الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون النساء
مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى
ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المراة الا الى مثل ذلك وغضها
بصرها من الاجانب اصلا اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت
عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب
فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا قال افعمياوان انتما الستما
تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلت لان النظر بريد الزنى
ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت
به المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب
فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل
والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة
في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر

اليها

قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا

اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والاذن
فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل
ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا
في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها
ويتقين الله في الكشف عنها فان قلت ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها
قلت نعم فان قلت اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد
الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن امر
القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب
الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا
يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت ما المراد بموقع الزينة
ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه الزينة منه قلت الصحيح انه العضو كله كما
فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في
عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف
والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحنا فان قلت لم سومح مطلقا في
الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من
مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة
والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن
وهذا معنى قوله تعالى الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل
فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من
الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع
من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول
والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن
وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها
من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها
ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي
على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت نساء خيرا من
نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل
فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن
بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المؤمنات
لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس رضي الله
عنهما والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن

من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت
ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها
لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد
ابن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح
لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل
الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت
يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله تعالى وعند ابي حنيفة رحمه الله
لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف
امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه خصي فقبله قلت
لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من
الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم
ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيا من امرهن او شيوخ صلحاء اذا
كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء
او الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الخبر وبين ما بعده انه
يراد به الجمع ونحوه نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي
لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا
قوي عليه وظهر على القران اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطي وقرئ
عورات وهي لغة هذيل فان قلت لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل
الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان
سائر القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناهما فاذا
رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها
وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت
المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت
تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي
بعدما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ اذ
اوامر الله تعالى ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان
ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة
والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان قلت
قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها
ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه

التوبة

التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ أيُّهُ
المؤمنون بضم الهاء ووجهها انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما
سقطت الالف لالتقاء الساكنين تبعت حركتها ما قبلها وانكحوا الايامى منكم
والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم
الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمراة وقد آم وآمت وتايما
اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة
والكزم والقرم والمراد انكحوا من تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح
من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح
امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المراة ذلك وعند
اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وسلم
من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم
يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن ادم مني
ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث
فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والاثار كثيرة وربما كان واجب الترك
اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة
وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي
الحديث ياتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا
كان ذلك الزمان حلت العزوبة فان قلت لم خص الصالحين قلت
ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين يشفقون
عليهم مواليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة
للتوصية بشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم
عند مواليهم على عكس ذلك واريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان يكون
شريطة الله تعالى غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء
الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله تعالى
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم
ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره
النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكى اليه رجل الحاجة فقال عليك
بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل

وانكحوا الايامى منكم والصلحين من عبادكم واماتكم ان يكنوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم

زاد حالي ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول
امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر
فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فاصبحت الى
ما ترى والله واسع عليم اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله
والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله
الذي آتيكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم وليستعفف وليجتهد في العفة
وظلف النفس فان المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا
اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين
وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا بهم في استعفافهم
وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن
ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو
غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل
على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق
القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم
كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب
والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه
كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك
او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند ابي حنيفة حالا او مؤجلا او منجما
وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي لا يجوز الا
مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول
الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في
مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض
وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما يبني به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها
عتق وان كاتب على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة
واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا
الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن رحمه الله ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب
وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه عزمة من عزمات الله تعالى وعن ابن سيرين
مثله وهو مذهب داود خيرا قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن
سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرني ان آكل
غسالة

وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى
يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون
الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم
فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتيكم
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن
تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن
غفور رحيم

غسالة ايدي الناس وآتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين
واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال لقوله تعالى وفي الرقاب
عند ابي حنيفة واصحابه فان قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان ياخذ
ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل
وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة
ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت
له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية
وعند الشافعي رحمه الله هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة
وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر رضي الله عنه كاتب عبدا له
يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه
عمر رضي الله عنه وقال استعن به على مكاتبتك قال لو اخرته الى آخر
نجم فقال اني اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة رضي الله عنه
على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع
وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا
كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له
الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانت اماء اهل الجاهلية
يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست جوار معاذة
ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن
ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى
بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي
ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي فان قلت لم اقحم قوله تعالى ان اردن
تحصنا قلت لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية
للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان
بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد
من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم
ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما لهن غفور رحيم
فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنى بخلاف المكره
عليه في انها غير آثمة قلت لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من
اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره
حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة

ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين
مبينات الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام
والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع فيها وقرئ بالكسر اي بينت
هي الاحكام والحدود وجعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل
قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم
كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به
في الايات والمثل من نحو قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله لولا اذ
سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا الله نور السموات
والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها
كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله
الامثال للناس والله بكل شيء عليم نظير قوله الله نور السموات مع قوله تعالى
مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس
بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض
الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد
معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض
واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة
نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير
النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي
ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة
والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتدا ثقوبه من شجرة الزيتون
يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي
بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام وعن
النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور
لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى
ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا
خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط
بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفاء
والوبيص لانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي
شبهت

ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم

شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكوة والمصباح والزجاجة
والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك
ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكوة كان اضوء له واجمع لنوره
بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء
على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب
من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف
من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى
الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله
نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به
وعن ابي بن كعب رضي الله عنه مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة
بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلالي ودريء بوزن سكيت
يدرأ الظلام بضوئه ودريء كمريق ودرئ كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى
تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح
الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان
التانيث ليس بحقيقي والضمير فاصل في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
يسبح له فيها بالغدو والاصال في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت الله
وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها
كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك
زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله تعالى في تسع ايات اي سبحوا في بيوت
والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله تعالى بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي المساجد امر الله ان
تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن
بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة
اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء
وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والاصال
على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان والمراد
وحشهما والاصال جمع أصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد

في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار

لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان
التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبة الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه
شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين وذاك مظنون
واما ان يسمى الشراء تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة
رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا
جلبه التاني اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما
اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر
الذي وعدوا وتقلب القلوب والابصار اما ان يتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب
من الهول والفزع وتشخص كقوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه
وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من
فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله
سريع الحساب احسن ما عملوا اي من جزاء اعمالهم كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسجون
ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى
وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما
ثواب واما عوض والله يرزق من يشاء ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب
فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت
الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع
وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة
كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعات بتاء مدورة كرجل
عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها
تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب
يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد
زبانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال
الله تعالى فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس
المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم
يجعل الله له نورا فما له من نور اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر
وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يراها اي لم يقرب ان يراها

ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله

فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة: اذا غير النأي المحبين لم يكد
رسيس الهوى من حب مية يبرح: اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه
اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من
بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده
الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظماه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها
لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج
والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمات
الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف
الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقوله تعالى ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة
وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى
الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته
وتسبيحه والله عليم بما يفعلون صافات يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في علم
لكل او لله تعالى وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله
الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا تكاد العقلاء
يهتدون اليها ولله ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله
يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل
من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد
سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب
يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم
بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله: بين الدخول
فحومل: والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع
خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع
برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة
فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع
من قولك سني للرفيع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من
في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه
سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه
يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في

الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار

البرق الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلايل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر فان قلت متى راى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار الله تعالى اياه بذلك على طريق الوحي فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من السماء من جبال فيها من برد قلت الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه معنيان احدهما ان يخلق الله تعالى في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوايم فان قلت لم نكر الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهايم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان قلت فما باله معرفا في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسايط قالوا خلق الملايكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوايم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي الزحف على البطن مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول

واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القايلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله تعالى بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله تعالى بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون معنى الى الله ورسوله الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله ؛ غلسته قبل القطا وفرطه ؛ اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وايل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون اليه صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا ينتزعه من احداقهم بقضايك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خايفين الحيف في قضايه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يأبون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا

وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فان قلت الى م اسند يحكم ولا بد له من فاعل قلت
هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله لقد تقطع بينكم فيمن
قرا بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا ومن
يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون قرئ ويتقه
بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف
وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله: قالت سليمى اشتر لنا سويقا
ولقد جمع الله سبحانه في هذه الاية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله
عنهما في تفسيرها ومن يطع الله في فرايضه ورسوله في سننه ويخش الله
على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سال عن اية
كافية فتليت له هذه الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن
قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون جهد يمينه من جهد
نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها
ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال بالله فقد جهد يمينه واصل
اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه
مضافا الى المفعول كقوله تعالى فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال
جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي امركم
والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من
المؤمنين الذي طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم
على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة
امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرا اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على
معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير يعلم ما في ضمايركم ولا يخفى عليه شيء من سرايركم
وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان
تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا
البلاغ المبين صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ
في تبكيتهم يريد فان تولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس
عليه الا ما حمله الله تعالى وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج عن عهدة
تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا
وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله تعالى وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم
نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما
الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في توليكم ولا عليه ضرر
في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ والاداء بمعنى التادية ومعنى المبين مقرونا
بالايات

ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين

بالايات والمعجزات وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في اخر سورة
الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء
كما فعل ببني اسرايل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن
الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل
عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا
بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح
ويمسون فيه حتى قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه
الصلوة والسلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا
ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد
المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا
ثم خرج الذين على خلاف سيرهم فكفروا تلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه الصلوة
والسلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا
ثم يصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما
استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى
باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم
ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم كانه
اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن
له محل كان قايلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان
جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب
ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون
اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها
فان قلت هل في هذه الاية دليل على امر الخلفاء الراشدين قلت اوضح دليل
وابينه لان المستخلفين الذين امنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين
في الارض وماويهم النار ولبيس المصير واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله
واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل
وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول
تاكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض

وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماويهم النار ولبيس المصير

هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا
هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في
قوله تعالى واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف
الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما
كانت لشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأويهم النار على
لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأويهم النار
والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم
من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح
بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم
امر بان يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار
ثلاث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام
فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقايلة
وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم
وسمي كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة
الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين ثم عدرهن في ترك الاستيذان
وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة
الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم
الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج وروي ان مدلج بن عمرو وكان
غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه
ليدعوه فدخل عليه وهو نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان
الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن
ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية وهي احدى
الايات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرشد قالت
انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام
كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا
وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو والحلم بالسكون وقرئ ثلاث
عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اي اوقات ثلاث عورات وعن الاعمش عورات
على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلاث عورات كان
ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان
واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال
خاصة

خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طايف
على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا
لتلك الدلالة واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم
كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين
من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم
في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية
والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث
فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولية بان يحتلموا او يبلغوا السن
التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان
يستاذنوا في جميع الاوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول
عليكم الا باذن هذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اية لا يؤمن بها اكثر الناس اية الاذن
واني لامر جاريتي ان تستاذن علي وساله عطاء استاذن على اختي
قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلاث ايات
جحدهن الناس الاذن كله وقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال
ناس اعظمكم بيتا وقوله تعالى واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود رضي الله عنه
عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة
فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه
يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت
ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام
وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه
انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله
ما زال مذ عقدت يداه ازاره ✤ وسما فادرك خمسة الاشبار ✤
واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل عن غلام فقال
هل اخضر ازاره والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن
جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله
سميع عليم القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا
لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي
فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية
التي ارادها في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات
بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن

يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم
ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين
تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد
صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس
عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون
عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله
لكم الايات والله عليم حكيم

واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا
كما استاذن الذين من قبلهم
كذلك يبين الله لكم اياته
والله عليم حكيم والقواعد من النساء
اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة
وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم

لما ذكر الجابر عقبه بالمسح بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله تعا
وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج
قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها
والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شي الا انه
اختص بان تتكشف المراة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبرا وبرز
بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا
على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباىكم او بيوت امهاتكم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم
او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم
الايات لعلكم تعقلون كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى
بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين
ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى
من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة
فكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس
ومواكلتهم لما عسى ان يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت
عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على
جليسه والمريض لا يخلو من رايحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل
كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح وياذنون
لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكي عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك
ابن زيد في بيته وماله فلما رجع راه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شي ولم يحل
لي ان اكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا
من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو
ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان كل واحد منهما منفي عنها الحرج
ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق
على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر
فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله تعالى من بيوتكم لان ولد الرجل
بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه
ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات
فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى او
ما ملكتم

١٧ ان تاكلوا

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا
على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا
من بيوتكم او بيوت اباىكم او بيوت امهاتكم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم
ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا
او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على
انفسكم تحية من عند الله مباركة
[illegible] كذلك يبين الله لكم الايات
[illegible] تعقلون

ما ملكتم مفاتحه قلت اموال الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر
بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك
لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه فان قلت ما معنى او صديقكم قلت معناه
او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو
يحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت
سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه
سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من
البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غايب فيسال جاريته كيسه
فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد
من عظم حرمة الصديق ان جعله الله تعالى من الانس والثقة والانبساط وطرح
الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصديق
اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام
ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام
فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين
نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد
منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار
اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف
الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا
فابدؤوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة
بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه
والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها
من الله تعالى زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس رضي الله عنه قال خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشي
فعلته لم فعلته ولا قال لي لشي كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه
اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها
قلت بلى بابي وامي يا رسول الله فقال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه
يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى
فانها صلاة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام
علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت
ورحمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا

وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما
كقوله قعدت جلوسا انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على
امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم
الله ان الله غفور رحيم اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب
عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع
فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما
كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين
مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده
توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله تعالى ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيا آخر وهو انه جعل الاستيذان
كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله
تعالى لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه وياذن لهم الا تراه كيف
علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر
الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو
او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك
او الامر الذي يعم بضرره او نفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على
امر جامع انه خطب جليل لابد لرسول الله فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه
عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة
احدهم في مثل تلك الحال يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق
عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض
ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله تعالى لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين
دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه
وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي
ان يكون الناس مع ايمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم
في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان
شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم اذا احتاج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا
تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي

انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم

٨٣

او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به
ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت
المخفوض والتواضع ويحتمل ان لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثلما يدعو صغيركم وكبيركم
غنيكم يساله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله مسموعة
مستجابة يتسللون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة
وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية
على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين
وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن
له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه
قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه
دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين
وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في
امره لله سبحانه او للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة
في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما فتنة قتل
وعن عطاء رحمه الله زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان
جائر الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم
بما عملوا والله بكل شيء عليم ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين
والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع
كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله
فان تمس مهجور الفناء فربما ۞ اقام به بعد الوفود وفود
ونحو قول زهير ۞ اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ۞ ولكنه قد يهلك المال نائله
والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما
فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجهدون في سترها عن
العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم
حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون
اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون
ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن
ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيرا البركة كثرة الخير وزيادته ومنها قوله

الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا

تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته
وافعاله والفرقان مصدر وفرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله
بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه
وبعض في الانزال الا ترى الى قوله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث
ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ❊ ومشركي كافر بالفرق ❊ ❊
وعن ابن الزبير رضي الله عنهما على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كما قال
تعالى لقد انزلنا اليكم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان
ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي
مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر
الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء
فقدره تقديرا الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه
فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل
منه صلته نزل وليكون تعليل له وكان المبدل لم يتم الا به فان قلت في الخلق
معنى التقدير فما معنى قوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره
قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهياه
لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره
للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به
على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا
لما قدر له غير متجاف عنه او سمي احداث الله تعالى خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا
على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد
من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا
وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون
شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا الخلق
بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم
آثروا على عبادة الله سبحانه وتعالى عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على
شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم
يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب
نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر
عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله تعالى اعجز
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما
وزورا قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار

مولى

الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا

مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار
جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى ورد فظلما
كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي
يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان
بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه
بكرة واصيلا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار
جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها لنفسه واخذها كما يقول اسكب الماء
واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها
كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام
فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله تعالى واختار موسى قومه
ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا
منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف
قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما
اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه او كتب له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه
يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه
قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى
الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله ❊ افرح ان ارزأ الكرام وحق الحسن ان يقف
على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون
الى مساكنهم قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما
اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله
مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت
كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في
معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا
القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب
عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل وقالوا
مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا او يلقى اليه كنز او يكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا
رجلا مسحورا وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط
العربي وخط المصحف سنة لا يغير وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته
بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحو قول

وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا

وزعمون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل
حالنا ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان
يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا
الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا
فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به
ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان ياكل منه
ويرتزق كالدهاقين والمياسير او ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به
في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر
ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء وناكل بالنون
فان قلت ما وجه الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا
وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا تراك تقول
لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في
حكم الواقع بعد لولا ولا يكون مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله
ابن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو
الرئة عنوا انه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار
ويجعل لك قصورا ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك
تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء
كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون
عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا
خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور وقرئ
ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله
وان اتاه خليل يوم مسألة ۞ يقول لا غائب مالي ولا حرم ۞ ويجوز في ويجعل
لك اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه
جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا بل كذبوا
عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز
ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب
وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يؤمنون بالاخرة السعير
النار الشديدة الاشتعال وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم اذا راتهم من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك
ثبورا راتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما

انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا
فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات
تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا
بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن
كذب بالساعة سعيرا اذا راتهم
من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا
هنالك ثبورا

كان بعضها ترى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد
سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا راتهم
زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق
كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله تعالى الجنة بان عرضها السموات والارض
وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا كذا ولقد جمع الله على
اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه
تراصا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق
الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم
الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم
الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي يقال يا ثبور هذا
حينك وزمانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير ام
جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم
احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعنى ادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس
ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها
ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم
الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه وانما قيل كانت لان
ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم
بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت لهم
جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه
كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم
للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب
يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك
ذكر المصير مع ذكر الجزاء لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسؤولا
والضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على ربك
انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله الناس
والملائكة في دعواتهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي
الاخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم وما يعبدون من
دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل يحشرهم فيقول كلاهما بالنون
والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح
وعزير وعن الكلبي الاصنام وينطقها الله تعالى ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا فان قلت
كيف صح استعمال ما في العقلاء قلت هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك

لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد
التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا
لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على
ربك وعدا مسؤولا ويوم يحشرهم
وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم
اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل

اذا رايت شخصا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو وبذلك قولهم من
لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الاتراك تقول اذا اردت السؤال عن
صفة زيد ما زيد تعني طويل ام قصير افقيه ام طبيب فان قلت ما فايدة انتم ام هم
وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السؤال عن الفعل ووجوده
لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف
الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول عنه قلت فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت
عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخزلوا ويزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من
غضب الله تعالى وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك
وليكون حكاية ذلك في القران لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل
عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين ءانتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤن من
اضلالهم ويستبعدون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة
على هؤلاء وابائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر
ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة
الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد
تبرئة منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان
الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله تعالى
الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان
يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى ءانتم وقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام ضلوا عنه
بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه
في هداية الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا
اي ضايعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل
اضله سواء كان منه فعل ام لم يكن قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك
من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا سبحانك تعجب منهم
قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي
هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون
الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن
الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم
ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا
دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم
الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت وقرا ابو جعفر المدني نتخذ على البنا للمفعول وهذا الفعل اعني

قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا

٨٦

اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا
وليا قال الله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا
فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء والاصل ان نتخذ اولياء
فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له
الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء
من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به
والقران والشرايع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع باير
كعايذ وعوذ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم
نذقه عذابا كبيرا هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رايعة وخاصة اذا انضم
اليها الالتفات وحذف القول ونحوه قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير
ونذير وقول القايل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جينا خراسانا
وقرئ تقولون بالتاء والياء فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم الهة ومعنى
من قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من
اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء مع الياء والتاء قلت اي والله هي مع التاء
كقوله تعالى بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما
تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالتاء والياء ايضا
يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من
قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وان يحتالوا
لكم الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا
انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
وكان ربك بصيرا الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك
احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور واعني من
المرسلين ونحوه قوله عز وعلا وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد
وقرئ ويمشون على البنا للمفعول اي تمشيهم حوايجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان
اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في
الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر
الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى

فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا

انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد
الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك
من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله تعالى
ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك
ولا تستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين
وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له
جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيته
يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا
صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم لك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا
فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله تعالى
من غير طمع دنياوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل
ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان
وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض وقال الذين
لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم
وعتوا عتوا كبيرا اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا
بالشر والرجاء في لغة تهامة هو الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت
الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الايات ان
ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة
فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة
الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان
لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح ايات سوى الايات التي نزلت
وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى عليه السلام حين قالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار عن
الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال تعالى ان في صدورهم
الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتى علينا فلان وقد
وصف العتو بالكبر فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم
الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف
وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي اسلوبها قول القايل

وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد

استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون الملائكة لا بشرى
يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما
دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها
ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى
يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد
تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة
بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا
يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع
الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا
وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا
يلحقه فكان المعنى اسال الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على
فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان
قعدك وعمرك كذلك لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر
فان قلت فاذ ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور قلت جاءت هذه
الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذايل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى
في الاية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت
او يوم القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا
عند رويتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة
وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي
عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير
ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم
الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها
اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم
اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده تعالى وانه
لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته
قد تناثر وذهب كل مذهب ونحو قوله تعالى كعصف ماكول لم يكف ان شبههم
بالعصف حتى جعله موصوفا بالاكل ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا
او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله تعالى
كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسو ولام الهباء واو بدليل الهبوة

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا

يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا

اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا المستقر المكان الذي يكونون فيه
في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي ياوون اليه
للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا
يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب من نصف ذلك اليوم
فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وجل ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل
افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا
على طريق التشبيه وفي لفظه الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه
وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين ويوم تشقق السماء بالغمام
ونزل الملائكة تنزيلا وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيرهم ادغمها
ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء
كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به فان قلت
اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت
به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند
طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف
الاعمال وروي تتشقق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق
مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ ونزل الملائكة وننزل ونزل الملائكة
ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون
الذي هو فاء الفعل من ننزل قراءة اهل مكة الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على
الكافرين عسيرا الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه ويوم
يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا عض اليدين
والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات
عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع
الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان
ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد
شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل
وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبة قال لا ولكن ابى
ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في

نفسي

اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا

نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطاه وتبزق في وجهه
وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه
بقتله فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال
الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام في الظالم
يجوز ان تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره
تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق
الضلالة والهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في
صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته
وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى
فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى
ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا
كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله او القران او موعظة
الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى
خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد
ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل
من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان
يكون كلام الله تعالى اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار والادغام اكثر وقال الرسول يا رب
ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا
ونصيرا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه
الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم
حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصرة عليهم فقال
كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار
منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من تعلم القران وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به
يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر
اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان
وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا
لهذا القران والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى
اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى
وقال الرسول يوم القيمة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك

وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا

به هو ادل ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا
الذين يحشرون الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا نزل ههنا بمعنى انزل
لا غير كخبّر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم
الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلّا انزل عليه دفعة
واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة وماله انزل على التفاريق
والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته
لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله
تعالى كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه
فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم
شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا
بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى عليهم السلام حيث كان وداود وعيسى
اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ
فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وايضا فكان ينزل على
حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا
يتأتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة
الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك انزلناه
مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل عليه مفرقا والدليل على
فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا ان يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة
واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة
وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلّا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى
يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال
كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره آية بعد آية ووقفة عقب
وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل
القرآن ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في
صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها
واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر مرتل ورتل ويشبه بنور
الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في
مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا يأتونك
بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان الا اتيناك نحن
بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم
ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا

تفسير

ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا

تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ولا يأتونك بحال وصفة
عجيبة يقولون هلّا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر
معك او يلقى اليك كنز او يكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك
نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا
لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان يأتوا ببعض تلك
التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور في الحجة من ان ينزل كله جملة ويقال
لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم ان حاملكم
على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم
بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من
مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف
والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله تعالى اي الفريقين خير مقاما واحسن
نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث
على اقدامهم ينسلون نسلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون
وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا الوزارة
لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر
بعضهم بعضا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله تعالى اضرب بعصاك
البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها وآخرها
لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير
بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد
بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا
للظالمين عذابا اليما وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا كانهم كذبوا نوحا
ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا
وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية واعتدنا للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا
لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه وعادا عطف على هم في جعلناهم
او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمودا على تأويل القبيلة وثمود على
المنصرف على تأويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة
الاصنام اصحاب آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في
طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت
بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود

ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا

وقوم صالح وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء
وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ
وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها
الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود
وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي
دسوه فيها بين ذلك اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير
اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى
المحسوب او المعدود وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ضربنا له الامثال بينا له
القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى
عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب
والفضة والزجاج وكلا الاول منصوبا بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا
او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء
افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت
خمسا اهلك الله تعالى اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني
ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة
من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى اثار عذاب الله تعالى ونكاله
ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء
موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا
بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول
الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا
هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها
وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ان الاولى نافية والثانية
مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والا
اتخذه موضع هزؤا او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار بعث
الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار
سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله
رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات
عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم
بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة
مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان

وان

(في الهامش بالحمرة:) وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا

طالت مدة الامهال ولابد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب
عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث
لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله ارايت من
اتخذ الهه هويه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه
في كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله
الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه
الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت
ولا اكراه في الدين وهذا كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر
ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ آخر
ومنهم الحارث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه
المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم
مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره
عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة
منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت ما هو الا
تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل
عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معنى ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده
عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا فان قلت
كيف جعلوا اضل من الانعام قلت لان الانعام تنقاد الى اربابها التي
تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب
ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون
احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدو وهم لا يطلبون الثواب الذي
هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا
يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك كيف مد الظل
ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد
وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل
من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع به احد سمي انبساط الظل وامتداده
تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون
بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا
ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك

(في الهامش بالحمرة:) ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا

وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير
شيا بعد شي من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت
اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين كيف
موقعها قلت موقعها البيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني اعظم من
الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بين
الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة
ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما في اديمه جوب
لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها
على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في
الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا
سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه
وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه
بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال
حشر علينا يسير وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا
شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت
لانه مقطوع الحيوة وهذا كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل فان قلت هلا
فسرته بالراحة قلت النشور في مقابلته ياباه اباء العيوف الورد وهو مرنق
هذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب
بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوايد دينية ودنيوية والنوم واليقظة
وشبههما بالموت والحيوة اي عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني
كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما
واناسي كثيرا قرئ الريح والرياح نشرا احياء نشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف
نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام
المطر طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره
فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شي والطهور
على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كذلك والاسم قولك
لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت
طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا
بطهور اي بطهارة فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن مخالطة

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا

النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير او استعماله في
البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك بن انس ما لم يتغير احد
اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول في قوله عليه السلام حين سيل عن بير
بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شي الا ما غير لونه او طعمه او ريحه
قلت قال الواقدي كان بير بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال
ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله تعالى فسقناه الى بلد ميت وانه غير
جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى
لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه
ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ
بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم فان قلت انزال
الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط
في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش قلت
لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما
للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة وارادهم عليها
ان يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات
كلها كما ربأ بهم ربهم فان قلت لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان
الشارب قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب
بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان
الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير
الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة قلت معنى ذلك ان علية الناس وجلهم
منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء فبهم غنية عن سقي
السماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا
سمائه وكذلك قوله تعالى لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هولاء
المتبعدين من مظان الماء فان قلت لم قدم احياء الارض وسقي الانعام
على سقي الاناسي قلت لان حياة الاناسي بحياة ارضهم وحياة انعامهم
فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا
ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر
الناس الا كفورا يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القران وفي
ساير الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال
القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم
الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم

ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا

في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من
وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا
بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عام
اقل مطرا من عام ولكن قسم الله ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه
الاية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه
لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير البلدة
والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض
الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر من ينسب المطر الى
الانواء قلت ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء
من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله تعالى خالقها وقد نصب الانواء
دلائل وامارات عليها لم يكفر ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع
الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم
ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قرية نبيا
ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك
على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك
عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقران او لترك
الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع الكافرين والمراد ان الكفار يجدون
ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك
على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من
المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا
لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم
بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي
مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا
سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب
الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو
بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم
وبحران احدهما مع الاخر ممزوج ⁂ وماء العذب منها بالاجاج ممزوج ⁂
برزخا حائلا من قدرته عز وعلا بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو
قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا

بردا يريد باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد
فسرناها وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول
له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي
هاهنا كالتعوذ هناك جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه
وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة وهو الذي خلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي
ذكورا ينسب اليهم يقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا
يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك
قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى ويعبدون من دون
الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا الظهير والمظاهر كالعوين
والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على
ربه بالعداوة والشرك روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعة
كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر
الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله تعالى وقيل معناه
وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا
من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك ولا تلتفت اليه وهذا نحو قوله تعالى
اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا مثال الا من شاء
والمراد الا فعل من شاء واستثنائه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعى
لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا
تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة
الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احديهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله
كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية
اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا
ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه
وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة
في سبيل الله وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده
خبيرا امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة
التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه
ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتوكل على غيره من الاحياء

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا
وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا

وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما ارسلناك الا
مبشرا ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل
على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا

الذين يوتونه وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها
بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شي امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف
في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
العرش الرحمن فاسال به خبيرا في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه
لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة والظاهر
انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها الاحد واخرها يوم الجمعة ووجهه ان يسمي الله
تعالى للملائكة تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب
امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني
الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا
بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة
الذين هم اصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات
سبعا والارض كذلك والصلوة خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات
وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب
هو الايمان وقد نص عليه في قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض
والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وهو
الجواب ايضا في انه لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما
خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت
وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله تعالى عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره
او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ
الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل
بعذاب واقع كما يكون عن صلته في نحو قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
فسل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش
عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا
عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا
كقولك رايت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا او تجعله
حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في
الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل
الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي
باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن

العرش

الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن

قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى
به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن
معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم
انكروا اطلاقه على الله تعالى لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده على قوله
امرتك الخير او لأمرك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد
او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول
تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا البروج منازل الكواكب
السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية
لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره وسراجا
الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها
وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان
الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه
وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان: بردى يصفق بالرحيق السلسل
يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا الخلفة من
خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر
والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة اي يعقب هذا ذاك وذاك هذا
ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله تعالى واختلاف
الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه
وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب رضي الله عنه يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما
الناظر فيعلم ان لا بد من انتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل
بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف
بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده
من العبادة قام به في الاخر وعن الحسن رحمه الله من فاته عمله من التذكر والشكر
بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة
كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة
ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا

قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما

وقرئ وعُبّاد الرحمن وقرئ يمشّون حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا
هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين
ومنه الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون
لينون والمثل اذا عز اخوك فهُن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم
يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم
اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون
في الاسواق سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر
اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون
فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله
⁘ الا لا يجهلن احد علينا ⁘ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ⁘ وعن ابي العالية
نسخها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك
المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل
نمت اولم تنم وقالوا من قرأ شيأ من القران في صلاة وان قل فقد بات ساجدا
وقايما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف
لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صايما ويبيت قايما والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما
غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال ⁘ يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما
⁘ وقال ⁘ ان يعاقب يكن غراما ⁘ وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ⁘ ⁘ ⁘
ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقايمين ثم عقبه بذكر
دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خايفون مبتهلون الى الله تعالى في صرف العذاب
عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ساءت في حكم بئست وفيها
ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما
هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان تكون ساءت
بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا
متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قرئ يقتروا بكسر التاء
وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق
الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد
الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق

والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت
مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما

في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف
فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان
حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء
بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعد لهذا المقام فسكت عبد
الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله
فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال
لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا
ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم
ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل
شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين
واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما
بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل
عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جايز ان يكونا خبرين معا
وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما
حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته
الى غير متمكن كقوله ⁘ لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ⁘ وهو من جهة الاعراب
لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة
فليس في الخبر الذي هو معتمد الفايدة فايدة والذين لا يدعون مع الله الها آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما
حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف
او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة
في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل
والذين برأهم وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان
تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل
معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقه
وقرئ يلق فيه اثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام
جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال ⁘ جزى الله ابن عروة حيث امسى
عقوقا والعقوق له اثام ⁘ وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرأ ابن
مسعود رضي الله عنه اياما اي شدايد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب

والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن
يفعل ذلك يلق اثاما

يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله ∴ متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ∴ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ∴ وقرئ يضعّف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سياتهم فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال السيات حسنات قلت اذا ارتكب المشرك المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا يضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا يريد من يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تايب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تايب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهد الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى فيه وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى ابن مريم صلوات الله عليه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كفوا عنه والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول

لا

يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ... تعالى الله متابا ... مروا باللغو ... بايات ربهم ...

لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على المذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما وقرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سألوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الولد اذا راه يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم اراد ايمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصايم وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة فان قلت من في قوله تعالى من ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله تعالى من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق فيها اثاما والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم

والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما

او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد والسلامة
من كل افة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا
ما ترزقهم في دار رضوانك قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم
فسوف يكون لزاما لما وصف عباده العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم
واثنى عليهم من اجلها وعددهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه
انما اكترث لاوليك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم
فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند ربهم
انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى اخر ولولا عبادتهم لم يكترث بهم البتة
ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة
لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي
عبأ يعبؤ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيا من العبأ بكم لولا عبادتكم
وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبأ
علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كراديثي ومما يهمني وقال
الزجاج في تاويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان يكون ما
نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم
فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار
ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان
احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف تعلم ما احل بك بسبب
عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل
ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب
قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون
فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون
وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى
لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان
ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام
وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة
آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات
الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين طسم بتفخيم الالف

قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما
بسم الله الرحمن الرحيم
طسم تلك آيات الكتاب المبين
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين

وامالتها واظهار النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله
تعالى والمراد به السورة او القران والمعنى ايات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة
تلك ايات الكتاب المبين البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار
وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة
على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا والامتناع ايمانهم
او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة ان نشا ننزل
عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اراد اية ملجئة الى الايمان
قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان
صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدقه وقد قرئ لو شئنا لانزلنا
وقرئ فتظل اعناقهم فان قلت كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق
قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع
وترك الكلام على اصله كقوله ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما
وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لي ساجدين
وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم
الرؤس والنواصي والصدور قال ۔ في محفل من نواصي الناس مشهود ❊
وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت
اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية
فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة
ويلحقهم هوان بعد عزة وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اي وما يجدد لهم الله بوحيه
موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به فان قلت كيف خولف
بين الالفاظ والغرض واحد وهي الاعراض والتكذيب والاستهزاء قلت انما
خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد
كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء
والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة
ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسيأتيهم وعيد لهم
وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله تعالى يوم بدر ويوم القيمة ما الشي الذي
كانوا يستهزءون به وهو القران وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم
اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكريم
والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله

ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت
اعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر
من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون
اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج
كريم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

وكتابه كريم مرضي في معانيه وفوايده وقال ؛ حتى يشق الصفوف من كرمه ؛ ؛
اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع
ان في انبات تلك الاصناف لاية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم
الله تعالى ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه
من الكفرة الرحيم لمن تاب وامن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل
كم انبتنا فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل
وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته
فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين
نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار
والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفها جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت
شيا الا وفيه فايدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل
عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فان قلت فحين ذكر الازواج ودل
عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان
في ذلك لاية وهلا قال لايات قلت فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى
مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات لاية اي اية وان يراد ان في كل واحد من
تلك الازواج لاية وقد سبقت لهذا الوجه نظاير واذ نادى ربك موسى ان ايت
القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم
عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما
عبارتان تعتقبان على مودى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين
وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم
بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم وقرئ الا يتقون
بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذف النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء
بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله تعالى الا يتقون قلت هو كلام مستانف اتبعه
عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم
التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من
ايام الله تعالى ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون
غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا يتقون
على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم
كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع
في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه
ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فان قلت فما فائدة

هذا

واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون

٩٧

هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون
قلت اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه
مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من
اية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها
وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون كقوله
تعالى الا يسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون ويضيق وينطلق بالرفع لانهما
معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع
يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان
والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة فان قلت في النصب تعليق الخوف بالامور
الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان
لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم
وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زايدة على ما كان به على ان
تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة
فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر
غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان
يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من
الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان
بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون هو افصح مني
لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد
به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار
حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة
والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث
اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على
ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الزام
الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم فان قلت كيف ساغ لموسى
عليه السلام ان يامره الله بامر فلا يتقبل بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث وتعلل
وقد علم ان الله من ورائه قلت قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده
باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما
التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف
في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل اراد

قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون

بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة الذنب
وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلوني به فحذف المضاف او سمي تبعة الذنب ذنبا
كما سمي جزاء السيئة سيئة فان قلت قد ابيت ان تكون تلك عللا وجعلتها تمهيدا
للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الربعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة
وفرق من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاءت بعده من
كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون
جمع الله تعالى له الاستجابتين معا في قوله تعالى كلا فاذهبا لانه استدفعه
بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله
تعالى اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف قوله
تعالى فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن
فاذهب انت وهرون وقوله تعالى معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما
ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما
وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون
مستقرا ومعكم لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز
والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سامع وسميع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع على
الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من المستمع بمنزلة النظر
من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا
عجبا ويقال استمع الحديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه بحاسة السمع ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الآنك
فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فان قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله
تعالى انا رسولا ربك قلت الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثمة بمعنى
المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه
اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم
وزور قال: الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول
بمعنى الجماعة قوله: لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما
لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا
ان ارسل معنا بني اسرائيل ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة
والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل
البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما
انطلقا

قال كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل

انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه
رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف
موسى عليه السلام فقال له الم نربك حذف فاتيا فرعون فقولا له ذلك لانه معلوم
لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل قال الم نربك فينا وليدا ولبثت
فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين الوليد الصبي
لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين
قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة سنة وفر
منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة
القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت
وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما
جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي
فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت كذلك من
الكافرين بنعمتي وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل
امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وجل عاصم من يريد ان يستنبئه
من كل كبيرة ومن بعض الصغاير فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين
حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل
خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته او من
الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونهم يشهد لذلك
قوله تعالى ويذرك والهتك وقرئ والاهتك قال فعلتها اذا وانا من الضالين
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي
ان عبدت بني اسرائيل فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت
منه وهو من الضالين الجاهلين وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه من الجاهلين
مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف عليه السلام لاخوته
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ
من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله تعالى ان تضل
احديهما فتذكر احديهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه
وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوة
عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله من
سنخه وابى ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه تعبيد بني
اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته
فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم

قال الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل

عبدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال
علام يعبدني قومي وقد كثرت   فيهم اباعر ما شاؤا وعبدان
فان قلت اذن جواب وجزآء معًا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزآء
قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت
فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة
بان تجازى بنحو ذلك الجزآء فان قلت لم جمع الضمير في منكم خفتكم مع افراده
في تمنها وعبدت قلت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه
المؤتمرين بقتله بدليل قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما
الامتنان منه وحده وكذلك التعبيد فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان
عبدت ما محلها من الاعراب قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة
لايدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره
قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك
بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج يجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى
انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي
ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب اباءكم الاولين
قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لما قال له
بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين
يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لايخلو اما ان يريد به اي شيء هو من
الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله
الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه
شيء مخالف لجميع الاشيآء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على
الاطلاق تفتيشا عن حقيقة الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل
وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة
على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول
فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق
بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون
للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى عليه السلام بما اجاب
عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله
جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد

قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب اباءكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين

واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير
فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجع اليه مجموع قلت اريد وما
بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجاء جمالين فان قلت
ما معنى قوله تعالى ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملائه الايقان قلت
معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا
الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به
لظهوره وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه قيل كانوا
خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت ذكر السموات
والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر اباءهم
بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان
انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما
شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال
الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان
طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير مستقيم في فصول
السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج
به خليل الله عن الاحتجاج بالاحيآء والامانة على نمرود بن كنعان فبهت
الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة
فان قلت كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين
اولا فلما راى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن
وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك
اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤد مؤداه قلت اما اخصر فنعم
واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني
وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض
بعيدة العمق لايبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد قال
اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين الواو في قوله تعالى
اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه افتفعل بي ذلك
ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين
انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله تعالى
لمدعي النبوة والحكيم لايصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف
عليه مثل هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى

قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين

حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين
في دعواك ائت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان مبين
ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة
والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك
بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصى للناظرين دليل على ان
بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان
بياضا نورانيا روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها
فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها
ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم
فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب
في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو
النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الايتين وبقي لا يدري اي
طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية
وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه
الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره
منه وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله ان
هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين
يأتوك بكل سحار عليم تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي
هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش
والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله
امرتك الخير ارجه وارجئه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته
اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون
هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل
احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر
بقولهم بكل سحار فجاؤوا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من
نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم
الغالبين اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه
الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة

قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين

في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي
حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء
لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه
هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له
ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا ... او عبد رب اخا عون بن مخراق
يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان غلبوا
موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلي
ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم
يكونوا متبعين لموسى عليه السلام فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان
ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم
اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذا مارة في مكانها
الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي
قدروا انهم يغلبون به موسى عليه السلام القربة عنده والزلفى قال لهم موسى
القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح
في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك بالله والرحمن
وربي ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت
ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في
هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد
منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم
براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف
لحالف فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين
ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون
في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم تسمية لتلك
الاشياء افكا مبالغة روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن
يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا
به علموا انه من الله تعالى فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء
وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق

فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين

المشاكلة وهو ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا ان رموا انفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجز الباهر ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعوا اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم الضر والضير واحد اراد والا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه ارجاها او لا ضير علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مومنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجي به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله وان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده اثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبح الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري فارسل فرعون في المدائن حاشرين ان

هولاء

قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون
قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير
انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر
لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم
متبعون فارسل فرعون في المدائن

١٠١

هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون ارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جمع قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا لا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج اسرعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المودي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال ؛ احب الصبي السوء من اجل امه ؛ وابغضه من بغضها وهو حادر ؛ اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر على انه وصف لمقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الاخرة قال الحسن رحمه الله جهلوا علم الاخرة وفي معناه بيت الحماسة ؛ ابعد بني امي الذين تتابعوا ؛ ارجي الحيوة ام من الموت اجزع ؛

حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون
وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون
فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم واورثناها بني اسرائيل
فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان
قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا
ان معي ربي سيهدين

والمعنى انا متابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد واوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم
وازلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الفرق الجزء
المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء
وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او
ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ
وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله ⁂
⁂ تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ⁂
ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم
فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين ال
فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول
رويدكم ليلحق اخركم فلما انتهى موسى عليه السلام الى البحر قال له مؤمن ال فرعون وكان
بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون قال امرت
بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه
فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروي ان يوشع قال يا كليم الله
اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى عليه السلام هاهنا فخاض
يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي ان موسى قال عند ذلك
يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا
البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لاية
اية اية واية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم ولا تنبه عليها
اكثرهم ولا امن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى عليه السلام المخصوصين
بالانجاء قد سالوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك
لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه كان ابراهيم صلوات الله عليه يعلم انهم
عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين ان ما تعبدونه ليس من استحقاق
العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له
الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس
ان يقولوا اصناما كقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم
قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا قلت هؤلاء قد جاؤوا بقصة ابراهيم عليه السلام
كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه

واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين

من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا ترى هم كيف عطفوا على قولهم نعبد
نظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار
ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا
نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم
او يضرون لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم
وقرا قتادة يُسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب من دعائكم وهل يقدرون على ذلك
وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا
الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا واسمعوا قط وهذا
ابلغ في التبكيت قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين لما اجابوا بجواب المقلدين
لابائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين
من ابائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا
بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغوي على عبادتها
اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسالة في نفسه
على معنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واثرت
عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها
تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا
ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه
عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ
التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى
التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت
بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا
بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال ⁂
⁂ وقوم علي ذوي مئرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ⁂ ومنه قوله تعالى
وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب
العالمين استثناء منقطع كانه قال ولكن رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين
فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة
التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم
في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة

قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين



مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد
وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيراً من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان
في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم
لقالوا التخم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقرئ خطاياي والمراد
ما يبدر منه في بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين
وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا
معاريض كلام وتخيلات وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم
يبدر منهم الا الصغاير وهي تقع مكفرة فما باله اثبت لنفسه خطيئة او خطايا
وطمع ان يغفرله قلت الجواب ما سبق ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم
وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم
وليكون لطفاً لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم
فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت
لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين
واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر
لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا
من اتى الله بقلب سليم الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي صلى
الله عليه وسلم ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله تعالى والالحاق بالصالحين ان
يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال
تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن
الخزاية وهي الحياء وهذا ايضاً من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون
ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه
يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله الا حال من اتى الله
بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف بيانه
ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد
نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلاً عن ذلك وان شئت
حملت الكلام على المعنى وحملت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع
غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان
غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعاً ولا بد مع ذلك
من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس
المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع
سلامة القلب ولو لم يتقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد

جعل

والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين
واجعل لي لسان صدق في الآخرين
واجعلني من ورثة جنة النعيم
واغفر لابي انه كان من الضالين
ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم

١٠٣

جعل من مفعولاً لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث
انفقه في طاعة الله تعالى ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز
على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته
من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان
حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله تعالى وان
من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم
السليم باللديغ من خشية الله تعالى وقول آخر هو الذي سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم
وما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سالهم اولاً عما
يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على الهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع
ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة
فضلاً ان يكون حجة ثم صور المسالة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله
عز وجل فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع
ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين
وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما
يدفع اليه المشركون يومئذ من الحسرة والندم على ما كانوا فيه من الضلال
وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها
هم والغاوون الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون
بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم
يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير
بعيد وقال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات
فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غماً في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم
اين الهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم
والهتهم وقود النار وهو قوله تعالى فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون وجنود
الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلاً على
التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها
اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في
ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وجنود ابليس
شياطينه او متبعوه من عصاة الجن والانس يجوز ان ينطق الله الاصنام

وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم
للغاوين وقيل لهم اينما كنتم تعبدون
من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون
فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود
ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين وما اضلنا
اذ نسويكم برب العالمين
الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا
صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون
من المؤمنين ان في ذلك لآية وما
كان اكثرهم مؤمنين وان
ربك لهو العزيز الرحيم

حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين
والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله تعالى ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم
وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي
فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق
كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار
فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء
لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله تعالى وكان لهم
الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء
والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من
النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو
الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق فان قلت
لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق
الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل
بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق
وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن
بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل
فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون
على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال
لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة
ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود
وماله الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون
يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة : لا يسألون اخاهم حين يندبهم : في النائبات على
ما قال برهانا : كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلوات الله عليه وسلامه في
قريش واطيعوا في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه
يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده
عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه
امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون

قال

كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم
اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين
فاتقوا الله واطيعون قالوا انؤمن
لك واتبعك الارذلون

قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين ان انا
الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح
بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد
او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع
الارذلون على الصحة وعلى التكسير في قوله تعالى الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة
والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل
الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا
قريش كانت تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء
عليهم السلام كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سأل
ابا سفيان عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال
ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة
رضي الله عنه الحاكة والاساكفة وعن مقاتل رحمه الله السفلة وما علمي اي واي شيء
علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله تعالى واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما
قال هذا لانهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما
آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى الذين هم اراذلنا بادي الرأي
ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده
من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابهم
على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق على
قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب
ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد
بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم
نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من
شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في
ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من
الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة
اعلم ولكنه اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل
دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة
والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات فانجيناه ومن
معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك
فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا

قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم
الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد
المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا
لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
قال رب ان قومي كذبون فافتح
بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم

على فُعل لانهما اخوان في قولك العُرب والعَرب والرُشد والرَشد فقالوا أُسْد وأَسَد وفلك وفُلك وبطرح بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوّ يقال شحنها عليهم خيلاً ورجالا كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس

في الآل يرفعها ويخفضها ❊ ريع يلوح كانه سحل

ومنه قولهم ريع ارضك وهو ارتفاعها والاية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالاً فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أُبَيّ كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن رحمه الله تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله تعالى حيث اجملها ثم فصلها مستشهداً بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرّفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها فان قلت لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلاً من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس من قديم

الدهر

كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

الدهر وما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين وجنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيراً بالنعمة في تخليه الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخل كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم الخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله تعالى في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصاب جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخراً وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين وقرا الحسن تنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا ربكم الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فأت باية ان كنت من الصادقين فان قلت ما فائدة قوله ولا يصلحون قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه

كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما ههنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم

الصخرة فتمخض سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة
فصل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رايت
مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة رضي الله عنه اذا كان يوم شربها شربت
ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم
لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم
بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وروي
ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت
ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون
على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت
لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا
على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر
كندامة الكسعي او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة
العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية وقيل كانت
ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم
قوم عادون اراد بالعالمين الناس اي تاتون من بين اولاد آدم على فرط تفاوتهم
وكثرة اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث
قد اعوزتكم او تاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران
يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول
كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون
للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود رضي الله
عنه ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم
العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اتركبون هذه المعصية
على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم
قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا
لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين لئن لم
تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا
وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال من

تعنيف

فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين

١٠٦

تعنيف واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه
وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة ومن القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم
قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه
معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين
في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم
المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله
حتى يقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين مما يعملون من عقوبة عملهم
وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة فان قلت فما معنى قوله تعالى فنجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها
كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية
في حكم العاصي فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف
استثنى الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل في هذا الاسم لها معهم
شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها
كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه
الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم
من الحجارة والمراد بتدميرهم الايتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة رضي الله عنه
امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض
بالايتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما
باعيانهم وانما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم كذب اصحاب الايكة المرسلين
اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على
الاضافة ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط
المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة صاد بغير الف وفي المصحف
اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على
حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف
وقد كتبت في سائر القران على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي ان اصحاب
الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب
كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان

رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين

شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا
بالقسطاس المستقيم الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب الذي
هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزايد وكان تركه عن الامر
والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه وقرئ بالقسطاس
مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل
وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في
كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه
ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثى في الارض وعثي وعاث وذلك نحو
قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع
الفساد فنهوا عن ذلك وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن
واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما
انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فان قلت هل اختلف المعنى في ادخال
الواو هنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف
للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان
يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه
بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن
وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان تتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق
فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك
بالبابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط علينا كسفا من
السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون وقرئ كسفا بالسكون والحركة
وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة
وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود
والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه
والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم
بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد
ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشية
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة
ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى

اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
وزنوا بالقسطاس المستقيم
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا
تعثوا في الارض مفسدين واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين
قالوا انما انت من المسحرين وما
انت الا بشر مثلنا وان نظنك
من الكاذبين فاسقط علينا
كسفا من السماء ان
كنت من الصادقين قال
ربي اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظلة انه كان
عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء
ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما
فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين
اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب
يوم الظلة فان قلت كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر كل قصة
منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلي بحق
في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا
للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد
ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من
النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره
فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق
ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ وانه لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين
وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل
والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل
الله الروح نازلا به على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى
كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان عربي مبين اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون
من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام واما ان يتعلق
بنزل فيكون نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا
ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي
لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا
لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد
يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن
قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير
تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه
نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين وانه وان القرآن يعني ذكره
مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة في جواز القراءة
بالفارسية في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر
الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه
وليس بواضح اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين
فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه

٣ قلت

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين
اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل
ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه
عليهم ما كانوا به مؤمنين

هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة
اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في يكن ضمير القصة
وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان
يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية تانيث يكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
ومنه بيت لبيد : فمضى وقدمها وكانت عادة : منه اذا هي عردت اقدامها
وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم
قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان قلت كيف خط في المصحف علمؤا
بواو قبل الالف قلت خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة
والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة
ياء النسبة زيادة تاكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بغير لسانهم لا يفقهون كلامه
قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهايم والطيور
وغيرها اعجم قال حميد : ولا عربيا شاقه صوت اعجما : كذلك سلكناه في قلوب المجرمين
لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون
افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القران على رجل عربي بلسان
عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى
ذلك اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه
وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير
كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه
ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم
هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك
سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها فعلى مثل هذه الحال وهذه
الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم
فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة
التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته
فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن
الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به
اليهم على عقبه وهو قوله تعالى لا يؤمنون به فان قلت ما موقع لا يؤمنون به من قوله
سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا
مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون

ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن فتاتيهم بالتاء يعني الساعة
وبغتة بالتحريك وفي حرف أبي ويروه بغتة فان قلت ما معنى التعقيب في قوله فياتيهم
بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة فيه
في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقران حتى تكون
رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سؤالهم
النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك
الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين
وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين
فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا
يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض
لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب
اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون
على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم
بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار
طوال وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا
على الامل الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد
بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن
مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة
هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف وما اهلكنا
من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما
ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون منذرون رسل ينذرونهم ذكرى
منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما
لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له
على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا محذوف
بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى او جعلوا
ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة
باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم
الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا
مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول
فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون

واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم
كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين
ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء
وقرا الحسن الشياطون ووجهه انه راى آخره كاخر يبرين وفلسطين فتخير
بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين
والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون
وفلسطين وحقه ان تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل
وعن الفرا غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون التي على هجاءين
فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان
يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به
الا وقد سمعا فيه فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وانذر
عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل اني
انا النذير المبين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون قد علم ان ذلك لا يكون
ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر
المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب ويبدا في ذلك من
هو اولى بالبداية ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه
عليه السلام انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي
هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا ياخذه ما ياخذ
القريب للقريب من العطف والرافة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه
صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني
هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم
من الله شيا سلوني عن مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ
اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب
لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم
ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف
افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر
ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن
من النار فاني لا اغني عنكن شيا الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر
جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل

فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني انا النذير المبين فقل اني بريء مما تعملون

جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم
وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع
فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله تعالى
لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين
لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق
واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا
منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من
عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك
وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على
العزيز الرحيم الذي يريك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم
وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل
امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقال المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول
دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سال
غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله
وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرا نافع وابن عامر وله محملان في
العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته
وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر
ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من
اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله
وكيف يعملون لاخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت
اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير
الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة
والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة
وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم
وعن مقاتل انه سال ابا حنيفة هل تجد الصلوة في الجماعة في القران فقال لا يحضرني
فتلا له هذه الاية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين
في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره
فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف
ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على
كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة
كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان حجبوا بالرجم

وتوكل على العزيز الرحيم الذي يريك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون

يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون
به الى اوليآيهم من اوليك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل
يلقون الى اوليايهم السمع اي المسموع من الملايكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون
وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على
الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة
يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت
كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى
الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم
دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل أمن فحذف حرف
الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال :
أهل راونا بسفح القاع ذي الأكم : فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة
قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين كقولك اعلى
زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال
اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل
بان يستانف كان قايلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت
كيف قيل واكثرهم كاذبون بعدما قضي عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون
الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان
هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت
وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبيكم على من تنزل الشياطين
لم فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن بايات ليست في معناهن
ليرجع الى المجي بهن وتطريه ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي
نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله تعالى لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل
بحديث وفي صدره اهتمام بشي منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك
عن الرجوع اليه والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم
يقولون ما لا يفعلون والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على
باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في
الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا
يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل
الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن
الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن مناف وابو عزة الجمحي
ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه

ويجتمع

والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم
في كل واد يهيمون وانهم يقولون
ما لا يفعلون

١١٠

ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق
والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها
لبعه بعضد ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم
وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس
على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمان
ابن عبد الملك سمع قوله : فبتن بجانبي مصرعات : وبت افض اغلاق الختام :
فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون
ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين
يكثرون ذكر الله وتلاوة القران وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه
في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والاداب الحسنة ومدح رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة وما لا باس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها
بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم
قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا
زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وعن عمرو بن عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما
يمنعك منه فيما لا باس به والقول ان الشعر باب في الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح
الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن
مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون
هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي
نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان صلى الله عليه وسلم يقول لحسان قل وروح
القدس معك ختم السورة باية ناطقة بما لا شي اهيب منه واهول ولا انكا
لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله تعالى وسيعلم وما فيه من الوعيد
البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر
رضي الله تعالى عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها
وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تامن فتبلغ الخوف وقرأ ابن
عباس رضي الله عنهما اي منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان
ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو
النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية بين عينيه فلم يغفل عنها واعلم ان من عمل
سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب

الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا
الله كثيرا وانتصروا من بعد ما
ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون

وصالح وابراهيم وبعده من كذب بعيسى وصدق محمد صلوات الله عليهم اجمعين

سورة النمل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب مبين طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القران وابانتها انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرايع وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الايات الى القران والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت ما وجه عطفه على القران اذا اريد به القران قلت كما يعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القران هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه وكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الايات ايات المنزل المبارك واي كتاب مبين وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وايات كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتاخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وبالاخرة هم يوقنون هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الايات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها ايات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زايدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالاخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالاخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله تعالى وزين لهم الشيطان

اعمالهم

بسم الله الرحمن الرحيم
طس تلك ايات القران وكتاب مبين
هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة وبالاخرة هم
يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالاخرة
زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون

اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله تعالى بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم فعموا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رايت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله تعالى لتلقى القران لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ قال موسى لاهله اني انست نارا سآتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون اذ منصوب بمضمر وهو اذكر قال على اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم وروي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امراته وقد كنى الله تعالى عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت سآتيكم منها بخبر ولعلي اتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والاخر تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة فان قلت فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له

اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة
هم الاخسرون وانك لتلقى القران من لدن
حكيم عليم اذ قال موسى لاهله اني انست نارا
سآتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون
فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها
وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم

بورك فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير
الشان قلت لا لانه لابد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة لا تحذف
ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حولها ومكانها البقعة
التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الواد الايمن
في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار
والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله
موسى واستنباؤه واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله
تعالى بركة ذلك الخير في اقاصيها وتبث اثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك
الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة
الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليها
من ارض الشام ولقد جعل الله تعالى ارض الشام بالبركات موسومة في قوله تعالى
ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث
الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت
فما معنى ابتداء خطاب الله تعالى موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه
قد قضي امر عظيم ينتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب
لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على
ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير
الشان والشان انا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا
الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان
للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على
ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك فلما راها
تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم
ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم فان قلت علام عطف قوله تعالى والق عصاك قلت
على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي
والمعنى قيل بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى والق عصاك
بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر
وان شئت ان حج واعتمر قرا الحسن جان على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين
فيقول شابة ودابة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضالين لم يعقب لم يرجع يقال
عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال ؞ فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ؞ ولا نزلوا يوم الكريهة
وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا
بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة

فاستدرك

والق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم

فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي
فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى عليهم السلام بوكزه القبطي ويوشك
ان يقصد بهذا التعريض ما وجد من موسى عليه السلام وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها
وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب
وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا وادخل يدك في جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين في تسع
ايات كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع ايات الى فرعون
ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم ؞ فريق نحسد الانس الطعاما ؞ ويجوز ان يكون المعنى
والق عصاك وادخل يدك في تسع ايات اي في جملة تسع ايات وعدادهن ولقائل ان
يقول كانت الايات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في
مزارعهم فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين المبصرة الظاهرة البينة جعل
الابصار لها وهو في الحقيقة لمتامليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم
فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار
فرعون وملائه لقوله تعالى واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمى
لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة
الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرا علي بن الحسين وقتادة رضي الله عنهما مبصرة
وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة
والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى لقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين
فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ
عتيا وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان
ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن
انها ايات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة
فيه ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين علما طائفة
من العلم او علما سنيا غزيرا فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته
فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما
ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد اتيناهما علما
فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل
عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الاية

وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع ايات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين

وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون

دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال تعالى والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود عليه السلام اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله وقال يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علم سليمان عليه السلام من منطق الطير وهو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحداء يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعا الى غزارة في العلم واستكثاره منه ومنه قوله تعالى واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقول فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيم واظهار آبهته وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا

حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عين عدو الا ترى كيف امر العباس بان يحبس ابا سفيان حتى يمر عليه الكتائب روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها خير مما اوتي آل داود يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قيل هو واد بالشام كثير النمل فان قلت لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب واشد ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله تعالى فقالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ ولا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم فان قلت

لا يحطمنكم ما هو قلت يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان
يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا ارينك ههنا اراد لا يحطمنكم
جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها فتبسم ضاحكا من قولها وقال
رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز
حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء عليهم السلام واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي ولا
فبدو النواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرا ابن السميفع ضحكا فان قلت
ما اضحكه من قولها قلت شيآن اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده
وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون تعني
انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله بما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به
الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع
الله شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني
اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما
ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه
اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن
والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام
الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين واجعلني من اهل الجنة وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه
عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره
فقال ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب
عن ذلك ثم اخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من
قصة الهدهد ان سليمان عليه السلام حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام
ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم
عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر
فراى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه
وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجي الشياطين فيسلخونها كما يسلخ
الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فراى هدهدا
واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شي وذكر له صاحبه ملك بلقيس
تحت يدها اثنا عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر
وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على راس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير

فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
وان اعمل صالحا ترضيه وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال
ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين
لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني
بسلطان مبين

وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت
فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته
وقالت ثكلتك امك ان نبي الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني
بعذر مبين فلما قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ
براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله
وتعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان عليه السلام
للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تاكله
وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم
اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب
الهدهد قلت يجوز ان يبيح الله له ذلك لما راى فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهائم
والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتاديب والسياسة
جاز ان يباح له ما يستصلح به وقري ليأتينني وليأتين والسلطان الحجة والعذر فان قلت
قد حلف على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد
ومن اين درى انه ياتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة
باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان
بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه
يجوز ان يتعقب بالفعلين وحي من الله تعالى بانه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله
او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وايقان فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك
من سبأ بنبأ يقين فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقوله عن قريب
ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان عليه السلام وليعلم كيف كان الطير مسخرا له
ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل احطت بادغام الطاء في
التاء باطباق وبغير اطباق الهم الله تعالى الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي
من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها
على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر
اليه علمه ويكون لطفا في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة
بالشي علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم وقالوا فيه دليل على بطلان قول
الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شي ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وسبا قرئ
بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم
ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم
يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف قال الشاعر
من سبا الحاضرين مارب اذ ... يبنون من دون سيله العرما

فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط
به وجئتك من سبا بنبا يقين

وقال اخر: الواردون وتيم في ذرى سبأ ❊ قد عض اعناقهم جلد الجواميس

ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن
اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذي له شأن وقوله من سبأ بنبأ من جنس الكلام
الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا
او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على
الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو
كما جاء اصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت
من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض
ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان
ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت
هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبأ فان اريد به القوم فالامر ظاهر
وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في
ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بانواع
الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل
بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان عليه السلام
قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان
لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف
شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من
يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها
يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله تعالى
فان قلت كيف قال واوتيت من كل شيء مع قول سليمان واوتينا من كل شيء كانه
سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو
تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب الدين وعطفه
الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين
بون بعيد فان قلت كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين
بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب قلت لعل الله عز وجل اخفى
عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب فان قلت من اين للهدهد
التهدي الى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته
الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله تعالى ذلك كما الهمه وغيره من الطيور
وسائر الحيوان من المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون

اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموت والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم

لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور
وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرأ بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا
فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرأ
بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف نداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال ❊
الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ❊ وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين
هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون
لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو
النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وجل من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف
والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار رضي الله عنهما
ووجهها ان يخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي اجرى
الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ
تخفون وتعلنون بالياء والتاء وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل
كلام رب العزة وفي اخراج الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته
الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه
ولا تكاد تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه
ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله تعالى عليه رداء عمله فان قلت اسجدة
التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في احديهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع
السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم
للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي على ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة
ص فهي عند ابي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما
ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه فان قلت
هل يفرق الواقف بين القراءتين قلت نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ الا
يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم
فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله تعالى في الوصف بالعظيم
قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش
ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم بالنسبة الى سائر ما خلق من
السموات والارض وقرئ العظيم بالرفع قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب
بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون سننظر من النظر الذي هو التأمل
والتصفح واراد صدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا
بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر
به فلم يوثق به تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه

قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون

بسمع منك ويرجعون من قولهم يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة
فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع قلت لانه
قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين
واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع قالت يا ايها الملا اني القي الي
كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين كريم حسن
مضمونه وما فيه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال عليه السلام
كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا عليه خاتم
فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل
مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استيناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت
اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت
وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ انه من سليمان وانه
بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان ويجوز ان يريد لانه
من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ ابي
ان من سليمان وان بسم الله على ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا
لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة
الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام
على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء عليهم السلام
جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد
راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح
تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت
فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى
رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل
الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين
او مؤمنين قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون الفتوى
الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتا في السن والمراد بالفتوى ههنا
الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع
الى استشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها
قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم
وقيل كان اهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الاف قالوا نحن اولوا
قوة واولوا باس شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين اراد بالقوة قوة الاجساد
وقوة الالات والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك

ونحن

قالت يا ايها الملؤا اني القي الي كتاب
كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن
الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين قالت
يا ايها الملؤا افتوني في امري ما كنت قاطعة
امرا حتى تشهدون

ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال
او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير
فانظري ماذا ترين نتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا
اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون لما احست منهم الميل الى المحاربة رات من الراي
الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه وارتهم
الخطأ فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم
قالوا للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم
عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة
الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورات
ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات من الراي السديد وقيل هو تصديق من
الله تعالى لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الاية ويجعلونها
حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقران على وجه التحريف
فقد جمع بين كفرين واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء
سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون
مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون
منه حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري
وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم
والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف
لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر
وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف
قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان
والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان
نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي
فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في
ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب
والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره
على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره
والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ
والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا
وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم
ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره

قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة
بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان
قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم
بل انتم بهديتكم تفرحون

جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الأرضة فاخذت شعرة
ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت
فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في
الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام ياخذه فيضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال
للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف
قيل تحت كل قيل الوف وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلما جاؤا اتمدونني
قرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله تعالى اتحاجوني وبنون
واحدة اتمدون الهدية اسم المُهدَى كما ان العطية اسم المُعطَى فتضاف الى
المُهدِي والمُهدَى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت
اليه والمضاف اليه هنا هو المهدي اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك
ان الله اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع واتاني من الدنيا
ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا
من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف
حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية فان قلت ما الفرق
بين قولك اتمدونني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو
فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا
قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج معه الى امداده
كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله تعالى فما اتاني الله
فان قلت فما وجه الاضراب قلت لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الى
بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم
حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون
المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم
على اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم
وتفرحوا بها ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون
قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين ارجع خطاب الرسول وقيل
للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون
ان يقابلوهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبأ والذل
ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر
بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا يروى انها امرت عند خروجها الى سليمان
عليه السلام فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور
سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام

باستيثاقها

ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين

باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به
من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام
ويصدقها وعن قتادة رضي الله عنه اراد ان ياخذ قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت
لم يحل له اخذ مالها وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا
لعقلها قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين
وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر
الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله
امين آتي به كما هو لا اختزل منه شيا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك
به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام
اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم الذي عنده علم من الكتاب رجل
كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا
انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب
سليمان عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل عليه السلام
وقيل ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال انا اريك
ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب
المنزل وهو علم الوحي والشرايع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل والطرف واتيك
في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع
موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا ❊ لقلبك يوما اتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك
ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان
عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش
في مكانه بمارب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله قبل ان يرد طرفه
ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة
وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لانه يحط عنها
عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر
قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار
وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم
الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر
كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عند رؤية العرش شاكرا لربه
جري على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون

قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم

النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها ننظر
اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه منكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر
الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقرئ
ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف اتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب اذا سئلت
عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان عليه السلام اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها
وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت
كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه
واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه
هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا
العلم من كلام سليمان وملائه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما
كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان
وملأه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها
وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة
بالايات التي تقدمت عند وفدة المنذر بن عمرو وبهذه الاية العجيبة من امر عرشها عطفوا على
ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على
دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها ما كانت
تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس
ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو
والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه
الحالة تعني ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر بن عمرو ودخلنا في الاسلام ثم قال
الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله
تعالى او سليمان عليه السلام عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ انها
بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت
عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب
العالمين الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير ساقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤوقا فاجرى
عليه الواحد والممرد المملس وروي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني له على طريقها
قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع
سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها
استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها
فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع
له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له

قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين

ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح
ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف
بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين
فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان
وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع
ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع
ولم يزل اميرا حتى مات سليمان عليه السلام ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل
حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني لسليمان عليه السلام
ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون
وقرئ ان اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل
اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي
السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة
وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احديهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون
لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا
مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم
صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب
لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا بك وبمن
معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر
فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير
لما كان سببهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة
ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طائرك
الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بك اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا
قال طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته
ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم
ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله تعالى قالوا طائركم معكم وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بك على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه
نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة
وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون المدينة الحجر وانما
جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق
بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة

ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون

[illegible]

والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهزيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب
ابن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن
صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكان عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء
اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى
بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن
لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال
باضمار قد اي قد قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون
فتقاسموا مع التاء والنون يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا
والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا
وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ
مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر
والمكان والزمان فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر
على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين
البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين
جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع
ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا
كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ومكروا مكرا ومكرنا
مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين مكرهم
ما اخفوه من تدبير الفتك في صالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه
بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه
فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى
الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى
صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم
ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل
جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملأ دار صالح فدمغوهم
بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استيناف ومن قرا بالفتح رفعه
بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على
انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية
لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة
وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون
خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ

المحذوف

قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون

المحذوف واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول
ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها
وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة
لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل
على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرو
بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين لا يتستر بعضهم من بعض
خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله
وبح باسم ما تاتي وذرني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر
او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فان قلت فسرت تبصرون بالعلم وبعده
بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت اراد تفعلون فعل الجاهلين
بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة
التي كانوا عليها فان قلت تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا
طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون
قلت اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من
الغيبة فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن
يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا
انكارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين
كقوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى وقل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتلو
هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان
يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف
على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول
ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع
ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله تعالى
وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي
مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني
وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على
الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو
خطاب للوط عليه السلام وهو ان يحمد الله تعالى على هلاك كفار قومه ويسلم على من

فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير اما يشركون

اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لاخير فيما اشركوا اصلا
حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت
وتهكم بحالهم وذلك انهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عاقل
شيأ على شي الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم
بانه لاخير فيما اثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا
على الخطأ المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان
الايثار يجب ان يكون للخير الزايد ونحوه ماحكاه عن فرعون ام انا خير من هذا
الذي هو مهين مع علمه انه ليس لموسى عليه السلام مثل انهاره التي كانت تجري تحته
ثم عدد سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله كما عددها
في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شي وقري تشركون
بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال بل الله
خير وابقى واجل واكرم امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء
فانبتنا به حدايق ذات بهجة ماكان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم
قوم يعدلون فان قلت ما الفرق بين ام وام في اما تشركون وامن خلق
قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال
الله تعالى آلله خير ام الالهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان
من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شي وقرأ الاعمش امن بالتخفيف
ووجهه ان يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير اما تشركون
فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار من الغيبة الى التكلم عن ذاته في قوله تعالى
فانبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدايق
المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروايح والاشكال مع حسنها وبهجتها
بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله
ماكان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال من
غيره وكذلك قوله تعالى بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رأيهم والحديقة البستان
عليه حايط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذلك لان المعنى جماعة حدايق
ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به ءاله
مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقري ءالها مع الله بمعنى اتدعون
او اتشركون وذلك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية
بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امن جعل
الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا
ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء

امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء
ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان
لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم
يعدلون امن جعل الارض قرارا وجعل
خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل
بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهم
لا يعلمون امن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض

١٢٠

ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون امن جعل وما بعده بدل من
امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله تعالى
برزخا الضرورة الحالة المحوجة الى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا
والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه فقر او مرض او نازلة من نوازل الدهر
الى اللجا والتضرع الى الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي الذي
لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله امن يجيب
المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان
يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر
فتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد
قام الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء
الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد
بالخلافة الملك والتسلط وقري يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام
والحذف وما مزيدة اي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في
معنى النفي امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء
والارض ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين يهديكم بالنجوم في السماء
والعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر فان قلت كيف قيل لهم
امن يبدؤ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين
من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار من السماء الماء ومن الارض النبات
ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون فان قلت لم رفع اسم الله والله يتعالى
ان يكون ممن في السموات والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في
الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم
وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي
الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج
المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك
ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب
في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت
اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها من الانيس فان قلت هلا
زعمت ان الله تعالى ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان

ءاله مع الله قليلا ما تذكرون امن
يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته ءاله مع الله
تعالى الله عما يشركون امن يبدأ الخلق ثم يعيده
ومن يرزقكم من السماء والارض ءاله مع الله
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله وما
يشعرون ايان يبعثون

على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب تميم قلت
يابى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم
بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض
وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة
عنه وعن صفاته تعالى الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى
بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد
فقد اعظم على الله تعالى الفرية والله يقول قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد
من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولانصرف
وقرئ ايان بكسر الهمزة بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون
قرئ بل ادرك بل ادارك بل ادرك بل تدارك بل اادارك بهمزتين بل
آادارك بالف بينهما بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى اادارك ام
تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت
التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع
واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيمة كائنة
لا ريب فيه قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو
قوله تعالى بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات
والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا
وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الاية سيقت لاختصاص الله تعالى بعلم
الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة
الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم
البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد
لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان
هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو
انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون
مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان
وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك
على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه
مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك
علمهم وادارك علمهم وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك

ادرك

بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم
منها عمون

ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن رحمه الله اضمحل علمهم
وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة
من قرأ بل اادرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك
علمهم وكذلك من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة
فان قلت فمن قرأ بلى ادرك وبلى اادرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون
كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل
التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون
كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى اادرك على الاستفهام
فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم
شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة
في شان الآخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت
ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون
ان القيمة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية ولا يزيلونه والازالة
مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم
لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق
والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه
وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشاه
فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم
لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون العامل
في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي
همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد
الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على
اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير
في انا لهم ولابائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم واباءهم لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا
من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين فان قلت قدم في هذه الاية هذا على نحن واباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن
واباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان
الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد
بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد لم تلحق علامة التانيث
بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين
الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم

وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل
ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين

وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله تعالى مما
خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه وقريش
كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا
ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون في ضيق في حرج صدر من مكرهم
وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله تعالى يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء
ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله
تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم استعجلوا العذاب
الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام
للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف
لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال ۞ فلما ردفنا من عمير وصحبه ۞
تولوا سراعا والمنية تعنق ۞ يعني دنونا من عمير وقرأ الاعرج رَدَفَ لكم بوزن
ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على
صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم
وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم
وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده ان ربك
لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما
يعلنون الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه
انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة
فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب وهم قريش قرئ
تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما
يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك
بما يستوجبونه وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين سمي الشيء
الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية
والعاقبة ونظائرها النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز
ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء
كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في
اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القران يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم
بحكمه وهو العزيز العليم قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر
في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران ببيان ما اختلفوا فيه

لو

ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم
بعض الذي تستعجلون ان ربك لذو
فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون
وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب
مبين ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو
العزيز العليم

لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى المؤمنين لمن انصف منهم
وامن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم بينهم بين من آمن بالقران ومن كفر به
فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه قلت
معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما او اراد بحكمه
وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له
ومن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين
المحقين فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون امره
بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج
الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق
بصنع الله تعالى وبنصرته وان مثله لا يخذل فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه
ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا
عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب
من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل
بتوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه ولم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم
واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا
سمعوا ما يتلى عليهم من ايات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه اذانهم وكان سماعهم
كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع
وكذلك تشبيههم بالصم الذي ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون
الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل
فان قلت ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين قلت هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن
الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما انت
بهاد العمي على الاصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود رضي الله عنه وما ان تهتدي العمي
وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال
بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اي يصدقون
بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا
له واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه
حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة ودابة الارض
الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها

٧ الموتى ولا تسمع

فتوكل على الله انك على الحق المبين انك
لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون
واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون

راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون
نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثني عشر ذراعا بذراع
آدم عليه السلام وروي لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب
وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن
الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله تعالى عنه انها تخرج ثلاثة
ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين
تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج
ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا
الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء
دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة
وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا
باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان خروجها من الايات
وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين
الاسلام وعن ابن عمر رضي الله عنهما تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل
المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا
عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك
القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم
سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة
بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه او فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب
بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها
وجهه وتكتب بين عينيه كافر فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم
ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقرئ تكلمهم
من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا
على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على ان
المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي كرم الله وجهه لنحرقنه وان يستدل
بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة
بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول
الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك فان قلت اذا كانت حكاية لقول
الدابة فكيف تقول باياتنا قلت قولها حكاية لقول الله تعالى او على معنى بايات ربنا
او لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى
نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده

وقرئ بالفتح على حذف الجار اي تكلمهم بان ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا
فهم يوزعون فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه
عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان عليه السلام بذلك وكذلك
قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة
يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار
فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض والثانية
للتبيين كقوله تعالى من الاوثان حتى اذا جاءوا قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما
اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون الواو للحال كانه قال اكذبتم
بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة
بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم
لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه
ولا يدع مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون
بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا
قد صدقنا وليس بها الا التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته
رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل ما ابتديت به وتجعله اصل كلامك واساسه
هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه
لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان
يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك او اراد ما كان لكم عمل في الدنيا
الا الكفر والتكذيب بايات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انهم لم يكونوا
على عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون
بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم يريد ان
العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله تعالى فيشغلهم عن
النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ في الصور ففزع
من في السموات ومن في الارض الا ما شاء الله وكل اتوه داخرين جعل الابصار
للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله تعالى ليسكنوا ومبصرا
حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم
المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب
فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع
وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على

ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب
باياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاءوا قال
اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما
اماذا كنتم تعملون ووقع عليهم
القول بما ظلموا فهم لا ينطقون الم يروا
انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الارض الا ما شاء الله وكل
اتوه داخرين

وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقرئ اتوه واتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كانوا يعملون جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة

بارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله تعالى وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى آخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا المصادر اذا جاء عقيب كلام كان كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله تعالى صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة لا يخلف الله الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف لان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند

الاحساس

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون

الاحساس بشدة تقع وهول تفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والاثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله وقيل السيئة الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القران فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القران من التلاوة او التلو كقوله تعالى واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اعلم انك احب بلاد الله الى الله تعالى ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجي اليها آمن وجعل كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك هذه البلدة عظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر لا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي حرمها واتل عليهم هذا القران عن ابي وان اتل عن ابن مسعود رضي الله عنه فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة والرسالة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما

٣ دخول

انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القران فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

سيريهم الله من اياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها ايات الله وذلك حين
لا تنفعهم المعرفة يعني في الاخرة عن الحسن رحمه الله وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر
وما حل بهم من نقمات الله تعالى في الدنيا وقيل هو كقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم الاية وكل عمل تعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على
عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين قرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان
وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية (٨٨) اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون
من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلوا اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تعالى
تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء
دون غيرهم ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير
للجمل كان قائلا قال وكيف كان نبأهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مملكته قد
طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك
احدهم ان يلوي عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يتسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث
وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم
بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا
قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل على حماقة فرعون
فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال
من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح بدل من يستضعف وقوله
انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل
تحته صدق الكاهن او كذب فان قلت علام عطف قوله تعالى ونريد ان نمن ونمنه على
نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها
نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية
ويجوز ان تكون حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم
فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم وخلاصهم من فرعون قريب
الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقتدى بهم في الدين
والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قادة يقتدى بهم في الخير وعن
مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون

بسم الله الرحمن الرحيم
طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلو عليك
من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون
ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها
شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح
ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان
من المفسدين ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض ونجعلهم
ائمة ونجعلهم الوارثين

ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين

واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى وقت اخر فلذلك لما كانت منة الله عليهم

فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد
فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر
والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة
وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم قرئ ويري فرعون وهامان وجنودهما
اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي
ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اليم البحر قيل هو نيل مصر
فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الاخر قلت اما
الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته
فينموا عليه واما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد
بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من
المخاوف فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق
الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت
عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها
ويملأها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه
ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت
بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني اليوم حبك
فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها
ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا
ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته
في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي
لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه
بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته في اليم وقد روي انها
ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت بردي مطلي بالقار من داخله فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اللام في ليكون
هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى
التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط
ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم
له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة
المجيء والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان

ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت
عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين

هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه
الاسد وقرئ وحُزنا وهما لغتان كالعُدْم والعَدَم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم
في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله تعالى بان ربّى
عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين
الصواب الى الخطأ وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا
او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا
عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرات في جوف التابوت نورا فعالجته
ففتحته فاذا صبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون
بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها
ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرئت وقيل لما نظرت الى وجهه برئت فقالت
ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي
الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهمّ بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك
فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله
كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال
مثل قولها ولأسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروي انها
قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى
ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه
دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان
فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام
وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه
فانه اهل للتبني ولأن يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت وهم لا يشعرون حال فما ذو
حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم
عدوا وحزنا وقالت امراة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه
ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين
المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض
بعلم محاسن النظم واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا
على قلبها لتكون من المؤمنين فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه
في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء
اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان ❊ الا ابلغ ابا سفيان عني ❊
❊ فانت مجوف نخب هواء ❊ وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله
تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وتدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ فزعا

وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك
لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
وهم لا يشعرون واصبح فؤاد ام موسى
فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان
ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين

اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم
فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها لتبدي
به لتصحر به والضمير لموسى عليه السلام والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا
على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين
من المصدقين بوعد الله وهو قوله تعالى انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغا
من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها
لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي
حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني
فرعون وتعطفه وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها
فهمزت كما تهمز واو وجوه وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون
وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون
قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن
جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى
جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها
اخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا
ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا وكان لا يقبل ثدي
مرضع والمراضع جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي
انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت
وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فرددناه الى امه كي تقر
عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون فانطلقت الى امها بامرهم
فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين
وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت فقد ابى كل ثدي الا
ثديك قالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها
واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في
علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله تعالى ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت
علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما كانت
تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على وجه الاستباحة
وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت
بخبر موسى عليه السلام فجزعت واصبح فؤادها فارغا يروى انها حين القت التابوت في
اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتؤجري

وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب
وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل
فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
وهم له ناصحون فرددناه الى امه كي تقر عينها
ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن
اكثرهم لا يعلمون

٧ قط حتى اصحر ذلك والمراضع جمع مرضع
وهي المراة التي ترضع وجمع مرضع

ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد
العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله تعالى ولتعلم ومعناه
ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن
الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين
وذهاب الحزن ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين
واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط
واستحكموا امركم لله دركم ⁂ شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا
وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة
العلم التورية والحكمة السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء
وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل به ودخل المدينة على حين غفلة
من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه
الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل
الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه
هو الغفور الرحيم المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم
ما بين العشائين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه
بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية
الا على تغفل وقرأ سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه
من بني اسرائيل وقيل هو السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو
فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع
باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فلكزه باللام
فقضى عليه فقتله فان قلت لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما
لنفسه واستغفر منه قلت لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا
يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر قال رب بما انعمت علي
فلن اكون ظهيرا للمجرمين بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف
تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لأتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين
وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة
فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون
وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد
وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم
كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس رضي الله عنهما

ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما
وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة
على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين
يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه
فاستغاثه الذي من شيعته على الذي
من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل
مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب
بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين

لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني فلم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله تعالى
ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه
ولا يعدو رزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال
فاين قول موسى وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة
واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت
من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا
في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب على احد من
بني اسرائيل فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه
قال له موسى انك لغوي مبين فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد
ان تكون من المصلحين يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه
ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر وقرئ يبطش بالضم
والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل
والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع
بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى ولما قال هذا افشى على موسى
عليه السلام فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله وجاء رجل من اقصى
المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين
قيل الرجل مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا
لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا
جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران
ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون
بسببك لك بيانه وليس بصلة الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم
الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل يترقب التعرض له في
الطريق او ان يلحق تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام
سميت بمدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان
موسى عليه السلام لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس رضي الله عنهما خرج وليس له علم
بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل جاءه ملك على
فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون
ماء مدين ماءهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه
وجد عليه وجد فوق شفيرها ومستقاها امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين
ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير

فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا
الذي استنصره بالامس يستصرخه
قال له موسى انك لغوي مبين فلما
ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال
يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون
جبارا في الارض وما تريد ان تكون من
المصلحين وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين
فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني
من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء
مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء
السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه
امة من الناس يسقون ووجد من
دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما
قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا
شيخ كبير

٢ وقرئ فخرج خائفا لا يعيش الا بورق الشجر ... سقط خف قدمه

من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء
من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط
اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شأنكما
وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤن شأنا
في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه اي قصدت وقرئ لا نُسقي ويَصدر والرعاء
بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخاء والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام
كبير كبير السن فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فسقى لهما
غنمهما لأجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او
عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم
وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة
وروّى غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى
عليها الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك
الماء وقد ازدحمت عليه امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد وراى الضعيفتين
من ورائهم مع غنمهما مترقبتين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تعالى تلك الفرصة
مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما
امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل في
متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش
والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير
وانتهاز فرصة وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم
فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله تعالى يسقون وتذودان ولا نسقي قلت
لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي
ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء
المقصود فيه السقي لا المسقي فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود
فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال
ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير قد
اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف
ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر
في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات
متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل
الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة اني لما انزلت الي اي لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث
او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك

فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير

وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله الا اكلة ويحتمل ان يريد
اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند
فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل
سمرة فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما
جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين على استحياء في موضع الحال اي
مستحية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها وروي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس
واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال
لاحدهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى عليه السلام فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان
لفرعون بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امرأة وان يمشي
معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا
ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته
امرأة اجنبية فلا باس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت
كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله تعالى على
سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل
التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب
عليه السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان
يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها
قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع دينا بطلاع
الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل
بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت
اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قالت احداهما يا ابت استأجره
ان خير من استأجرت القوي الامين كبراهما كانت تسمى صفرى والصغرى صفيرا وصفراء
هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو
وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استأجرت
القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني
الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا
الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته فان قلت
كيف جعل خير من استأجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت هو مثل قوله
الا ان خير الناس حيا وهالكا ... اسير ثقيف عندهم في السلاسل

فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين

في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حين جعلت لها ما هو احق بان تكون خبرا اسما
وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت
لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف
في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر رضي الله عنهما قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء
الله من الصالحين تأجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني
حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم
وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز
قلت لم يكن ذلك عقد النكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد
انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم
ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رضي الله عنه كيف منع ان يتزوج امرأة بان
يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه في الاول
مسلّم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلّم مالا وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب
ابي حنيفة على ما ذكرت واما الشافعي رضي الله عنه فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال
والخدمة اذا كان المستأجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل كان ذلك جائزا في تلك
الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة واراد ان
ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذاك
على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستأجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه
اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت
عمل عشر حجج فمن عندك فاتمام من عندك ومعناه فهو من عندك لا من عندي لا الزمكه
ولا احتمه ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق
عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه
الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول
تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعد المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق
عليه فيما استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين
من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة
اشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح
في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي
فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله
من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطأة الخلق ولين
الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه

قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين

مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح
ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا
عدوان علي والله على ما نقول وكيل ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده
عليه شعيب عليه السلام يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم
بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال
اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثمان فلا عدوان
علي اي لا يتعدى علي في طلب الزيادة عليه فان قلت تصور العدوان انما هو في احد
الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى العدوان بهما جميعا قلت
معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه وكذلك ان
طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان
الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة
فموكولة الى رأيي ان شئت اتيت بها ولا اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون معتديا وهو
في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله
تنظرت نصرا والسماكين ايهما ⁂ علي من الغيث استهلت مواطره
وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين
قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تأكيدا
للقضاء كأنه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل
اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك روي ان
شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى عليه السلام بالليل ادخل ذلك البيت
فخذ عصا من تلك العصي هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها
حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في
يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها جبريل عليه السلام بعد موت
آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل
فامر ابنته ان تأتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها
فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيه ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع
فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى
عليه السلام وعن الحسن رحمه الله ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا
وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له
شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها
اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم

قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل

يقد رعلى كفها فمشي على اثرها فاذا عشب وريفه لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى عليه السلام ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطأهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار اولم تكن قال كثير :

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال :

والقى على قبس من النار جذوة ... شديدا عليه حرها والتهابها

فلما اتيها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين من الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله تعالى من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك

فلما قضى موسى الاجل وسار باهله
آنس من جانب الطور نارا قال لاهله
امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها
بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون
فلما اتيها نودي من شاطئ الواد الايمن
في البقعة المباركة من الشجرة ان
يا موسى اني انا الله رب العالمين وان
الق عصاك فلما رآها تهتز كانها
جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الآمنين
اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء واضمم اليك جناحك
من الرهب فذانك برهانان من ربك
الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين

جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحد من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف ان يكذبون يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل :

وردئي كل ابيض مشرفي ... شحيذ الحد عضب ذي فلول

وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب ردا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى عليه السلام وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد المجازي ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل

قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف
ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني
لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني
اخاف ان يكذبون

على هذا الوجه قوله اني اخاف ان يكذبون وقرآءة من قرأ ردا يصدقني وفيها تقوية
للقراءة بجزم يصدقني قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون
لكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون العضد قوام اليد فبشدتها تشتد قال طرفة
❊ ابني لبينى لستم بيد ❊ الا يدا ليست لها عضد ❊ ويقال في دعاء الخير
شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك
سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى
بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد
العضد فجعل كانه يد مشتد بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة
باياتنا متعلق بنحو ما يعلق به في تسع ايات اي اذهبا باياتنا او بنجعل لكما سلطانا اي
نسلطكما باياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة
لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة له ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون
مقدما عليه او من لغو القسم فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى
وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر
ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في ابائنا
حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من
ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته
او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى عليه السلام ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم
حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الايات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم
يسمعوا بمثلها وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه
لا يفلح الظالمون يقول ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه
بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما
اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون
وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن
وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة
والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلاهما
يصح ان يسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان يكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها
بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى
الاخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير
وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها
الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار
وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف اهل مكة وهي قرآءة حسنة لان الموضع

قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون

موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الايات الباهرة
سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ليوازن الناظر بين القول والقول
ويتبصر فساد احدهما وصحة الاخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ يكون بالياء والتاء وقال
فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي
اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان
العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب
وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر
ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه
بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت
قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في هذه
القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله تعالى ان
يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله تعالى
جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من
اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه
بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء
معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن
انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الهه غيره غير معلوم
عنده ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى كاذبا في اثباته
اله غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا
كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء
الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه
ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب
انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته وانه ملك
السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه
وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على
اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم
بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه
ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله تعالى
بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله ❊
❊ فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ❊ ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من
العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم ولم تخف عليهم ولكن

وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين

كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال واوقد لي يا هامان على الطين
ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه
العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان
وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم
والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام وراى القصور المشيدة بالآجر قال
ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع
بمعنى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو
المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشان قال صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره
بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم [illegible]
به على عظم شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا
الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ بكفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله تعالى
والقينا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق
قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات
وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته وجعلناهم
ايمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة
هم من المقبوحين فان قلت ما معنى قوله وجعلناهم ايمة يدعون الى النار قلت
معناه ودعوناهم ايمة دعاة الى النار وقلنا انهم ايمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء
الحق ايمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل
وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسّقه وبخّله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم الى موجباتها
من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الايمة الدعاة الى الجنة ويجوز
خذلناهم حتى كانوا ايمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها
لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية
لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل [illegible]
الكفر حتى كانوا ايمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته فان قلت اي فائدة في [illegible]
المردوف الى الرادف قلت ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف
مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول
لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر
منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على [illegible]

واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار
ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين

وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون
كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين
اي من المطرودين المبعدين ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون بصائر الناس نصب على الحال والبصيرة
نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد اتيناه التورية
انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم
كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون
ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي
موسى عليه السلام لتذكرهم كقوله تعالى لعله يتذكر وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت
ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا
ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون الغربي
المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام
من الطور وكتبه الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى عليه السلام الوحي الذي اوحي
اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذي اوحينا
فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه
الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى عليه
السلام في ميقاته وكتبة التورية له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل
قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله
به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشانا بعد عهد الوحي الى عهدك
قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي
واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء
عليهم السلام وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه
اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله تعالى
في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا
اي مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلوا عليهم اياتنا تقراها عليهم تعلما
منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكن ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها
اذ نادينا يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة
وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتيهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى
وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم ولولا
ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون

ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى بصائر للناس وهدى
ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت
بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
وما كنت من الشاهدين ولكنا
انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما
كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا
عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن
رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون
ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم
فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك ونكون من
المؤمنين

من المؤمنين لولا الأولى امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين
للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الآمر باعث على الفعل والباعث
والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي
هلا ارسلت الينا رسولا محتجين بذلك علينا لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم
انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك فان قلت كيف
استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف
الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن
العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها
سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء
المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة
لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم
وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب
في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا
من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا
عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع
في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا
لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل
فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد
طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب
العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات فجاؤوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم
مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى عليه السلام وعن الحسن قد كان
للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر اباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي
تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما
بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير
قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه
المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران فقد كفروا بموسى وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد
عليهما السلام ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى
رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انه نعته وصفته في كتابهم

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون

كأنهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا
قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك
فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي
القوم الظالمين هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت
انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر
معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان قلت
ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وبينه في قوله: فلم يستجبه عند ذاك مجيب
حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام
ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له
ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف
فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قلت قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان
والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب
الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع
في دينه الا الهوى بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي
اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع
الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين
اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القران
اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا
فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا
احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من ارض الحبشة
وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقران واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا
من قبله مسلمين فان قلت اي فرق بين الاستئنافين انه وانا قلت الاول تعليل للايمان
به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله امنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا
قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان اباءهم القدماء قرأوا في الكتب الاول
ذكره وابناءهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان
الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون
بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقران
او بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعده او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتيكم
كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي

قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من احببت ولكن الله

من يشاء وهو اعلم بالمهتدين سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن رحمه الله كلمة حلم من
المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم ولا صحبتهم فان قلت من خاطبوا بقولهم
ولكم اعمالكم قلت اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو انك لا تهدي من احببت
لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد
لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم
انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه الى
القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع
المسلمون انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني
هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم
بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة
فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال
يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان
يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك
عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة
الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون
قالت قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق
ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان
يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وامن
قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم امنون
في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق
تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها
وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا
ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز
يجبى اليه يجلب ويجمع قرئ بالتاء والياء وقرئ تجنى بالنون من الجني وتعديته بالى كقولك
يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة
كقوله تعالى واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل
منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله تعالى واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا
يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف
اذا امنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا
جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء

واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها
بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين هذا تخويف لاهل مكة من
سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش
فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصب معيشتها
اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسه
كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها
كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء
احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنهما
لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين
بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين
لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها
بالارض تخلف الاثار من احبابها وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا
يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وما كانت عادة ربك ان يهلك
في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها
رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق
قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه
وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه
عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم
ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم
ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون فنص في قوله تعالى بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه
وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال
الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع
وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المتقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه
من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف
المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع افمن وعدناه
وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين
هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على

يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون

وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين

وجه التعظيم والاستحقاق واي شي احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه
كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين
احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة رضي الله عنهما وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر
والوليد بن المغيرة فان قلت فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها قلت قد ذكر في
الاية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى
ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الدنيا وابناء الاخرة فهذا معنى الفاء الاولى
وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان
في الخبر واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا للتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم
هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها المنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو
وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل ويوم يناديهم فيقول
اين شركاي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم
كما غوينا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون شركاي مبني على زعمهم وفيه تهكم فان قلت
زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذلك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره
الذين كنتم تزعمونهم شركاي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار
على احدهما الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب
عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء مبتدا
والذين اغوينا صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف
تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغويا
اغوانا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسوله لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان
اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان
تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة
العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر
وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شي حيث قال لابليس ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر
بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على اكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون
انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين
لمعنى الجملة الاولى وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا مهتدين
لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين

ويوم يناديهم فيقول اين شركاي
الذين كنتم تزعمون قال الذين
حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين
اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرانا
اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا
لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا مهتدين

١٣٥

لما راوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا
حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم
اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها
ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم الهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون
به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء عليهم كالعمى
جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات
لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبا الخبر عما
اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانباء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب
عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله تعالى وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما
من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون فاما من تاب من المشركين من الشرك وجمع
الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي
التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى
المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه صلى الله عليه وسلم ما كان لهم
الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة
لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد
ابن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار
المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم
بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت فاين الراجع من الصلة
الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما
حذف منه في قوله ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اي الله بري من اشراكهم وما
تحملهم عليه من الجراة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون ما تكن صدورهم من عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره
في النبوة وهو الله وهو المستاثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة
القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الاخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على
وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده
قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون

ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا
يتساءلون فاما من تاب وامن وعمل
صالحا فعسى ان يكون من المفلحين
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون
وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى
والاخرة وله الحكم واليه ترجعون قل
ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم
بضياء افلا تسمعون

قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون
فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ارايتم وقرئ اريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من
يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم
ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت
هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس
لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك
المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر
منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام
ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة
لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الاخر وهو النهار ولارادة تشكركم
وقد سلكت بهذه الاية طريقة اللف ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون
ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون
في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شيء اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به
كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين
من عبيدك ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم
يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسل
فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع
ما كانوا يفترون من الباطل والكذب ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز
ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف
وقيل معنى كونه من قومه انه امن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى عليه السلام
هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل
كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتورية
ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والقربان الى هرون
فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان
ويكون راسا فيهم وكان القربان لموسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما
وقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله قال والله
حتى تاتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة
التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصى هرون
تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من

قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول
اين شركاءي الذين كنتم تزعمون
ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا
هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله
وضل عنهم ما كانوا يفترون ان
قارون كان من قوم موسى فبغى
عليهم واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له
قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين

السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي
وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا
المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح
ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها
واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح
ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود وقال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ
في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرأ بديل بن
ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيف اليه
للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله
ولا تفرحوا بما اتيكم وقول القائل ‹ ولست بمفراح اذا الدهر سرني ›
وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي واطمأن واما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه
مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل
‹ اشد الغم عندي في سرور ‹ تيقن عنه صاحبه انتقالا ›
وابتغ فيما اتيك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله
اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين وابتغ فيما اتيك الله من الغنى
والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه
وتجعله زادا الى الاخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن
الى عباد الله كما احسن الله اليك واحسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك
والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى عليه السلام وقرئ
واتبع قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من
هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون على علم اي على استحقاق
واستيجاب لما فيّ من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل
بالتورية وقيل هو علم الكيميا عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم
الكيميا فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا مثله وقارون ثلثه فخدعهما قارون
حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله
موسى علم الكيميا فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارة
والدهقنة وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه
قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم
ثم زاد عندي اي هو في ظني ورأيي هكذا يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان الله قد
اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قرأه في التورية واخبر به
موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده
من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك
لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفخ بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم

وابتغ فيما اتيك الله الدار الاخرة ولا
تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما
احسن الله ولا تبغ الفساد
في الارض ان الله لا يحب المفسدين
قال انما اوتيته على علم عندي اولم
يعلم ان الله قد اهلك من قبله من هو
اشد منه قوة ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون

الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به
نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان قلت ما وجه اتصال قوله
تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون من اهلك من قبله من
القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى مالا على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين
لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير
بما تعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك فخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم في زينته
قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من
ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن
يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج
وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون
قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة
البشر وعن قتادة رضي الله عنه تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في
سبل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول
عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى ياليت
لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر العضاة الخبط والحظ الجد
وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ
وما الدنيا الا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا
ولا يلقيها الا الصابرون ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع
والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا اباك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف
في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقيها للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه في
معنى المثوبة او الجنة او السيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح الصابرون
على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير فخسفنا به
وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين
كان قارون يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي
بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعلى كل الف درهم
على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرآئيل وقال ان موسى اراد كم
على كل شيء وهو يريد ان يأخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال
نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار
وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا

وقيل

وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرآئيل من سرق قطعناه ومن
افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون
وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة
فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها
الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا
يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت
فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرآئيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين
ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط
ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى
ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم
فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم
اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل
يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى
خسف بداره وامواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من
عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع فاصبح الذين
تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون قد يذكر الامس
ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة
مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم
ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطأهم في تمنيهم وقولهم ياليت لنا مثل ما اوتي قارون
وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح
وهو مذهب الخليل وسيبويه قال ؛ وي كأن من يكن له نشب يحبب ؛
؛ ومن يفتقر يعش عيش ضر ؛
وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال وي كأنه وراء البيت وعند
الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان يكون
الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر اقدم ؛ وانه بمعنى لانه
واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف
بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويك
وقرأ الاعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولانخسف بنا
كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في

فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين

فاصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض

الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك
التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن
بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون
وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل
صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني هاهنا وعن عمر بن
عبد العزيز رحمه الله انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون
والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد
في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا
يتدبر قوله تعالى والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر رضي الله عنهم من جاء
بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون
معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان اسناد عمل السيئة اليهم مكرر
فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا
مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها
ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله تعالى فله خير منها ان الذي فرض
عليك القران لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين
فرض عليك القران اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك
صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد
اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووعده
ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا
له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله
وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها
انه يهاجر به منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره
وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له
اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه فان قلت كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله
قلت لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه
وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقون من العقاب
في معادهم وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين
فان قلت قوله تعالى الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا كلام محمول على
المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان تكون الا بمعنى لكن
للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ
انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين وقرئ يصدنك من اصده

في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين من جاء بالحسنة فله
خير منها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات
الا ما كانوا يعملون ان الذي
فرض عليك القران لرادك الى معاد
قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن
هو في ضلال مبين وما كنت
ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة
من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت
اليك وادع الى ربك ولا تكونن من
المشركين

بمعنى صده وهي لغة في كلب وقال ⁂ اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم ⁂
⁂ صدود السواقي عن انوف الحوايم ⁂
بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ
وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب
التهييج الذي سبق ذكره ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم
واليه ترجعون الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في
السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له
الحكم واليه ترجعون سورة العنكبوت مكية (٦٩) اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل
الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت
الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن
ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته
عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك
غرضك فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الاية
قلت هو في قوله تعالى ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا
تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم امنا هو الخبر واما
غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته
جزر السباع ينشنه ⁂ الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين
لقولهم امنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم
غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه
للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا
تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما
مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف
من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات
والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال وبمصابرة الكفار على
اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم
واظهروا القول بالايمان انهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن
حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من
غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال

ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو
كل شيء هالك الا وجهه له الحكم
واليه ترجعون
بسم الله الرحمن الرحيم
الم احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا امنا وهم لا يفتنون

لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر
وكان يعذب في الله تعالى وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم
حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم
المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة
فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
ولقد فتنا موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك لا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان
اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا
كما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه
ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله
بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما
لم يزل قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق
منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن
الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من
هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها
ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ان يسبقونا ان يفوتونا يعني
ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة
فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره
وما انتم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت
اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب
فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا
يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه هذا او بئس حكما يحكمونه
حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين لقاء الله مثل للوصول الى
العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على
سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله
الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب
الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء
ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فان اجل
الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين

لما يرضى من افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو
لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى
فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق
رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى وهو السميع العليم
الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية
وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها
فان قلت فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله
عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب
للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه
اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم
الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها وما تأمر به وحملها على ما تاباه فانما يجاهد لها لان منفعة
ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم والذين
امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اما ان
يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة في حسناتهم فهو
يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن
جزاء اعمالهم واما قوما مشركين امنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان
يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم
فانبئكم بما كنتم تعملون وصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل
خيرا كما تقول امرته ان يفعل ومنه بيت الاصلاح
وذبيانية وصت بنيها ⁂ بان كذب القراطف والقروف
كما قال امرتهم بان ينتهبوها ⁂ ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه اي وصاهم
بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته
ونحو ذلك وكذلك معنى قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا
او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى
وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا
باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية
بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك
اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى
التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك
به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح

والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي
ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم
بما كنتم تعملون

ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبه بنهيه عن طاعتهما
اذا ارادا على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق ثم قال اليّ مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم
وفيه شيئان احدهما ان الجزاء اليّ فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما
ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على
الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روي ان سعد بن
ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد
بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام
حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه فنزلت هذه الاية والتي في لقمان والتي في الاحقاف
فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت
في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء
بنت مخرمة امرأة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة
الرحم وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي
اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه
فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر
فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع
فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلّت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطئ
لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه
فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو
متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في
عبادك الصالحين وقال في ابراهيم عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين او في
مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم الاية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس
كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور
العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم
فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان
كما ان عذاب الله صارف المؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا لهم
واذا نصر الله المؤمنين وغنّمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي متابعين لكم في دينكم

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين
ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله
جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن
جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس
الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله
الذين آمنوا وليعلمن المنافقين

ثابتين عليه ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في
صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا
اطلاع منه للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام
وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون
امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر
على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل
بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان
ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد
ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من
ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه
فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال
له عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المأمن فان قلت كيف سماهم كاذبين
وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء
به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو
المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه الله تعالى حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم
الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه
المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين
يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا مع اثقالهم اي
اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم
وليسألن سؤال تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من
خطيئاتهم كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على رأس اربعين ولبث في قومه
تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون
فان قلت هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة قلت ما اورده الله تعالى احكم لانه لو قيل كما قلت
لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعمائة
وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة وفيه
نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من
طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي
لا رأس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت فلم
جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد حقيق بالاجتناب

وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسألن يوم
القيمة عما كانوا يفترون ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه فلبث فيهم الف سنة الا
خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون

في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك
والطوفان ما طاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما قال العجاج
وغم طوفان الظلام الاثابا فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين اصحاب السفينة
كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث
ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة والضمير في وجعلناها للسفينة او للحادثة والقصة
وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون نصب ابراهيم باضمار
اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها وهو معطوف على نوحا او ظرف
لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض
عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة وابراهيم بالرفع على معنى ومن
المرسلين ابراهيم ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين
الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
واشكروا له اليه ترجعون وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى
تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف
منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك وباطل
واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه وسمى الاصنام افكا
وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون
ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده
لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر
له على انعمه وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين وان
تكذبوني فلا تضرونني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم امم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم
حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي
زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في
سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا
يكذب وهذه الاية والايات التي بعدها الى قوله تعالى فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من
جملة قول ابراهيم عليه السلام لقومه وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ابراهيم الف
سنة في قوم كلهم ان رفعه الله الى السماء وامن به الف انسان منهم على عدد سنيه دليل
على التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله سيروا في الارض قلت هي حكاية كلام الله
حكاه ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن
فان قلت فاذا كان خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابراهيم

والجملة او الجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك
لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله قلت ايراد قصة ابراهيم عليه السلام ليس الا
ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان
اباه ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان
فاعترض بقوله تعالى وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب
ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله تعالى فقد كذب امم من قبلكم لابد من تناوله لامة
ابراهيم عليه السلام وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الايات الواطئة عقبها
من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده
وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم
الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير قرئ يروا بالياء والتاء
ويبدئ ويبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه
وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله تعالى كيف بدأ
الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قوله ما زلت
اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلابد له
من معطوف عليه فما هو قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا وذلك يرجع الى
ما يرجع اليه هو في قوله تعالى وهو اهون عليه من معنى يعيد دل بقوله النشأة
الاخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج
من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الاخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى
ليست كذلك وقرئ النشاءة والنشأة كالرأفة والرآفة فان قلت ما معنى
الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشأة الاخرة
بعد اضماره في قوله تعالى كيف بدأ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق
ثم ينشئ النشأة الاخرة قلت الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها كانت
تصطك الركب فلما قررهم في الابتداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة
انشاء مثل الابتداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابتداء
فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذاك الذي انشأ النشأة
الاولى هو الذي ينشئ النشأة الاخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه
واوقعه مبتدأ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين
في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يعذب من يشاء

فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين

اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير

تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن
وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون
وترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة
ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من
اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان

امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل ان يراد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع
الذاهبة في السماء كقوله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء
والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء والذين كفروا
بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم بايات الله بدلائله على
وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيدا اي ييأسون يوم القيمة
كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون
راجيا خائفا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة
عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك
يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس
من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله
خائفا فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين
قرئ جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون
راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني
يوم القي ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة
وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم
وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله تعالى اتخذ الهه هويه اي اتخذتم الاوثان
سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم يعني مودودة بينكم
كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان
ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان
مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة
كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة
بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة

يقوم

والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك
يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم
فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان
في ذلك لايات لقوم يؤمنون وقال انما
اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم
في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم
النار وما لكم من ناصرين

يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام
كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم
كان لوط ابن اخت ابراهيم وهو اول من آمن له حين راى النار لم تحرقه وقال يعني
ابراهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين
ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم عليه السلام هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته
سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو
العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي ووهبنا له اسحق
ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن
الصالحين اجره الثناء الحسن في الدنيا والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة
وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق
وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل
لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب
حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والزبور
والانجيل والقرآن ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد
من العالمين ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان
جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ولوطا معطوف على
ابراهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها من
احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كأن قائلا قال
لم كانت فاحشة فقيل له لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم
لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز
ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال
ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون
وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة
بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك
والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة
رضي الله عنها كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم
بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب
الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس نادي الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق
ناديا ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب قال رب انصرني على
القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية

فامن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز
الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا
في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره
في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين ولوطا
اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة
ما سبقكم بها من احد من العالمين
ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل
وتأتون في ناديكم المنكر فما كان
جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب
الله ان كنت من الصادقين
قال رب انصرني على القوم المفسدين
ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان

ان اهلها كانوا ظالمين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي
والفواحش طوعا وكرها الانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
فاراد لوط عليه السلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في
دعائه بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب عليهما السلام
واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم
التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم
ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم
قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين
ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما
عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد
بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته
وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة رضي الله عنه
لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها
يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز
البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون تخفض على نفسك وهون عليك الخطب
وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ان صلة اكدت وجود
الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما
وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاته المساءة من غير
ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه
اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة
كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه
نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة انا منزلون على
اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون
والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض
مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الرجز والرجس العذاب من
قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون
مشددا ومخففا منها اي من القرية آية بينة على آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة
والماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم متعلق بتركنا او بينة وارجوا
وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراطه
ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء

ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء
بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا
لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك
الا امراتك كانت من الغابرين
قال ان فيها لوطا
ان اهلها كانوا ظالمين
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
الا امراته كانت من الغابرين انا
منزلون على اهل هذه القرية رجزا من
السماء بما كانوا يفسقون ولقد
تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون
والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم
اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا
تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين

بمعنى الخوف والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب
رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم او ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين
باركين على الركب ميتين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم
الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم
فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا
وكانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل
ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم
من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه
الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين
وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون الغرض
تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في
الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله تعالى وان
اوهن البيوت لبيت العنكبوت فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل واحد يعلم وهن
بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه
الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت
وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا
يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن
ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك
الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة
الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا
بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا
يعلمون ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد
للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم
حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة
القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير كان الجهلة والسفهاء

وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم
وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن
السبيل وكانوا مستبصرين
وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا
به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله
اولياء كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم
وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون



من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك
فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفايدتها الا هم
لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها
وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال
الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل
بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين
اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر
الله اكبر والله يعلم ما تصنعون بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان
تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلايل على عظم قدرته الا ترى الى قوله
ان في ذلك لاية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
ثم قال ذلك ظن الذين كفروا والصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها
فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله
المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله
من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رحلي على الصراط
والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين الرجاء
والخوف ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تامره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر
لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء
والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى
ان ينتهي عن السيات يوما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي
بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه وروي ان فتى من الانصار كان
يصلي معه الصلوات ولا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان
صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلوة لا بد ان يكون ابعد من
الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر
واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر
فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة
منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد والصلوة اكبر من غيرها من الطاعات
وسماها بذكر الله كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل
كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما
ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة

نبيكم

خلق الله السموات والارض بالحق
ان في ذلك لاية للمؤمنين اتل ما اوحي
اليك من الكتاب واقم الصلوة
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ولذكر الله اكبر
والله يعلم ما تصنعون

نبيكم احسن الثواب ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا
منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم
والسورة بالاناءة كما قال تعالى ادفع بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فافرطوا في الاعتداء
والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين
اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله
مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم
بالسيف وعن قتادة رضي الله عنه الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد بالسيف وقوله تعالى قولوا امنا بالذي انزل الينا
من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا
تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم
وان كان حقا لم تكذبوهم وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به
ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك
الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله تعالى امنا بالذي انزل
الينا وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين
اتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن امن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل
المراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل
الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها
الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلوا من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وانت امي ما عرفك احد
قط بتلاوة كتاب ولا خط اذا لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط
لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرا
وليس به او لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم سماهم
مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين
ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب
قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء
المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب
فلا وجه لارتيابهم وما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه
قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي امنوا به لموسى وعيسى عليهما السلام
على ان المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذا هم المبطلون حيث لم يؤمنوا

ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي انزل
الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك
الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون
به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد
باياتنا الا الكافرون وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون

وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير امي فان قلت ما فائدة قوله بيمينك
قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا
الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد
لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
وما يجحد باياتنا الا الظالمون بل القران ايات بينات في صدور العلماء به وحفاظه
وهما من خصايص القران كون اياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه
اكثر الامة ظاهرا بخلاف ساير الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا
من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد بايات
الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه
قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قرئ اية وايات ارادوا هلا انزل
عليه اية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى عليهما السلام ونحو ذلك انما الايات عند الله
ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار
وابانته بما اعطيت من الايات وليس لي ان اتخير على الله اياته فاقول انزل علي اية
كذا دون اية كذا مع علمي ان الغرض من الاية ثبوت الدلالة والايات كلها في حكم اية
واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم اية مغنية عن ساير الايات ان كانوا طالبين للحق
غير متعنتين هذا القران الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال
معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها وتكون في مكان دون
مكان ان في مثل هذه الاية الموجودة في كل مكان وزمان الى اخر الدهر لرحمة لنعمة
عظيمة لا تنكر وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من
المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود
فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم
الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرناه قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في
السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون كفى بالله بيني
وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب
يعلم ما في السموات والارض مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل
وهو ما تعبدونه من دون الله وكفروا بالله واياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في
صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان
فشركما لخيركما الفداء ... وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك
بانك

بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون

بانك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم
بغتة وهم لا يشعرون كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي
قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل
قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب
عاجلا والمراد بالاجل الاخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لا يعذب قومه ولا يستاصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقت فنائهم
باجالهم يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم
ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب
او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم او لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة
فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان
كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل ويقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة
فاياي فاعبدون معنى الاية ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له
امر دينه كما يجب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة
واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا
وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب
المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من
الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على
ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة
وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلوات الله عليهما وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل
فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان
يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغايب
واياك عضتك في المخاطب والتقدير واياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت ما معنى
الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان
ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط
وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص
كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام
بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت
اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون
الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده

ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون

والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي
وقرئ لنثوينهم من الثوى وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى واثوى غيره
وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته
والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او
حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم وقرا يحيى بن وثاب فنعم بزيادة
الفاء الذين صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن
والمصايب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة
بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت
والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن
حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء
الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من
الدواب التي لا تحمل وعن الحسن رحمه الله لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن
عيينة ليس شيء يخبا الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه
ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون الله
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم الضمير في سالتهم لاهل
مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم انه خالق السموات
والارض قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه فان قلت الذي رجع اليه الضمير في قوله تعالى
ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا
ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان
الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شيء عليم
يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من
بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون استحمد رسول الله على انه ممن اقر بنحو ما اقروا
به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار
المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم
ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد
او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم وما
هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون هذه
فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة

والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا
وعلى ربهم يتوكلون وكاين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى
يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء
عليم ولئن سالتهم من نزل من السماء
ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن
الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون
وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب
وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون

يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون
وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها
في ذاتها حياة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا
حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان
في بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة
والاضطراب كالنزوان والنقصان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت
سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة
في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما اتيناهم
وليتمتعوا فسوف يعلمون فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا قلت بمحذوف دل عليه
ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله
من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر وفي تسميتهم مخلصين
ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وامنوا عادوا الى الشرك اللام في ليكفروا محتملة ان تكون
لام كي وكذلك وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود
الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو
عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم
ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام
الامر وقراءة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه
بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة
ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك
الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر
خطا وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا
الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا
حقيقة الامر وكيف والامر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كانك
تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه
ليتبين لك اذا فعلت صحة راي الناصح وفساد رايك اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كانت العرب حول
مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون امنون فيها
لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله تعالى هذه النعمة الخاصة
عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة

فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف
يعلمون اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل
يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون

الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر علمها الا الله تعالى وحدة مكفورة عندهم ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين افتراؤهم على
الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله
لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح
العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون
الى ان يصح لهم صدقه او كذبه اليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله ∴ ∴ ∴
∴ الستم خير من ركب المطايا ∴ وقال بعضهم لو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة
مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير
فيها وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا
الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله
لمع المحسنين اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس
الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا
لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم
هدى وعن ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم
من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا
فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين ∴ ∴ ∴

سورة الروم مكية (٦٠) آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين
وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم
والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب
المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض
الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين وقرئ في اداني الارض
والبضع ما بين الثلاث الى العشرة عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات
وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال
لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له
ابي بن خلف كذبت يا ابا فضيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم
مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
بسم الله الرحمن الرحيم
الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من
بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين

على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رضي الله تعالى عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده
في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم
بدر للفريقين فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان
القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام
والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون
بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء
هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في
احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومثالها حرم عليكم ازواجهم
ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي قمار قلت عن قتادة رحمه الله
انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود
الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين
وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن
بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله
وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير
مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على
فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب
على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين
بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة
للاسلام وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر
المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله لا يخلف الله وعده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وعد الله
مصدر مؤكد كقولك لك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا
ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه في معنى وعد ذمهم الله بانهم عقلاء في امور الدنيا
بله في امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن رحمه الله بلغ
من حذق احدهم انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردي هو ام جيد وقوله يعلمون
بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم
مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق بين العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم

لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من
يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله
لا يخلف الله وعده ولكن اكثر
الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون

الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها
ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة
يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرا
واحدا من جملة الظواهر وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم
الأولى وأن يكون تكريرا للأولى وغافلون خبر الأولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم
معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومعلمها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع أولم يتفكروا في أنفسهم
ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء
ربهم لكافرون في أنفسهم يحتمل أن يكون ظرفا كأنه قال أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في
قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون إلا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال
المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك وأن يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الأمر
وأجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه
فيعلموا لأن في الكلام دليلا عليه إلا بالحق وأجل مسمى أي ما خلقها باطلا وعبثا لغير غرض صحيح وحكمة
بالغة ولا لتبقى خالدة وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى لا بد لها من أن
تنتهي إليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى إلى قوله تعالى أفحسبتم أنما
خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين إليه عبثا والباء في قوله تعالى إلا
بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو
ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به
فإن قلت إذا جعلت في أنفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت معناه أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي
أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات [illegible] وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها
الله ظاهرا وباطنا من غرائب [illegible] الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى
وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند
ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك
الوقت والمراد بلقاء ربهم الأجل المسمى أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار
المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الأمم العاتية ثم أخذ يصف لهم أحوالهم وأنهم كانوا أشد منهم
قوة وأثاروا الأرض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الأرض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا
سمي ثورا لإثارته الأرض وبقرة لأنها تبقرها أي تشقها وعمروها يعني أولئك المدمرون أكثر مما
عمروها من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم إثارة الأرض أصلا ولا عمارة
لها رأسا فما هو إلا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لأن معظم ما يستظهر به أهل الدنيا
ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أي عاد وثمود

أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

وأضرابهم من هذا القبيل كقوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وإن كان
هذا أبلغ لأنه خالق القوى والقدر فما كان تدميره إياهم ظلما لهم لأن حاله منافية للظلم
ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا
بآيات الله وكانوا بها يستهزئون قرئ عاقبة بالرفع والنصب والسوأى تأنيث الأسوأ وهو
الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم
السوأى إلا أنه وضع المظهر موضع المضمر أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة
وهي جهنم التي أعدت للكافرين وأن كذبوا بمعنى لأن كذبوا ويجوز أن يكون أن بمعنى أي
لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى
وكتب وما أشبه ذلك ووجه آخر أن يكون أساؤوا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي
أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو
إرادة الإبهام الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس
المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ثم إليه ترجعون
إلى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء الإبلاس أن يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال
ناظرته فأبلس إذا لم ينبس وأيس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ
يبلس بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا
بشركائهم كافرين أي يكفرون بإلهيتهم ويجحدونها أو وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا
في المصحف بواو قبل الألف كما كتب علمؤا بني إسرائيل وكذلك كتب السوأى بألف قبل الياء إثباتا
للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فهم في روضة يحبرون الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه
وعن الحسن رحمه الله هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في أسفل السافلين
وعن قتادة رضي الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لإبهام
أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء ومن أمثالهم أحسن من بيضة
في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه
وظهر فيه أثره ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد يكرمون
وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على رؤوسهم
وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي
آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي إن في الجنة
لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها
قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح
وروي أن في الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث
الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها

ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون

اهل الدنيا لما تواطروا واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب
محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون محضرون لا يغيبون الوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد
بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما
يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس رضي الله عنهما هل تجد
الصلوة الخمس في القران قال نعم وتلا هذه الاية تمسون صلاتا المغرب والعشاء
وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر وقوله تعالى وعشيا
متصل بقوله تعالى حين تمسون وقوله تعالى وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما
ومعناه ان على المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه فان قلت لم ذهب
الحسن رحمه الله الى ان هذه الاية مدنية قلت لانه كان يقول فرضت الصلوة الخمس
بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت
بمكة وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره
ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلام
من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة
حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي نفس عن
نفس شيئا يعني فيه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك
تخرجون الحي من الميت الطاير من البيضة والميت من الحي البيضة من الطاير واحياء الارض
اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى
ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج
الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد
وتخرجون بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن
اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في
ذلك لايات لقوم يتفكرون خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة
وتقديره فاجا ثم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله تعالى وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء
بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك
لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من
التنافر وجعل بينكم التوادد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة
معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن رحمه الله

المودة

وأما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون

المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا وقال تعالى ذكر رحمة ربك عبده
ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون
اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان ومن
اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين الالسنة اللغات
او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين
متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب
ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها
ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل
والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توأمين مشتبهان في الحلية فيعروك
الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي وفي ذلك اية بينة حيث ولدوا
من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله تعالى مختلفون
متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها
الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون هذا من باب اللف وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل
والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان
والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين
وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القران واسد المعاني ما دل عليه القران
يسمعونه بالاذان الواعية ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض
بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة
المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل
وقالوا ما تشاء فقلت الهو ‍ ‍ الى الاصباح اثر ذي اثير
خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر
وهما منصوبان على المفعول له فان قلت من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل
والخوف والطمع ليسا كذلك قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى
لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير
حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد ومن اياته ان تقوم
السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من في السموات والارض
كل له قانتون ومن اياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله
كونا قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا
دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات

ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون

والأرض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد
سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القايل
دعوت كليبا دعوة فكانما ✿ دعوت به ابن الطود او هو اسرع
يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات
والأرض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل
القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم
نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك
يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من
اسفل الوادي فطلع الي فان قلت بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر قلت
هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت الأولى
للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون
بضم التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدؤا
الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم
وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة
شيء كان اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا خطي في بعض ما ينشئه
بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى
حتى مرن عليها وهانت عليه فان قلت لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة
قلت معناه وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله تعالى وهو اهون عليه
وقدمت في قوله تعالى وهو علي هين قلت هناك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو
علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما هاهنا فلا معنى للاختصاص
كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة
لتغير المعنى فان قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله تعالى اذا دعاكم حتى كانها فضلت على
قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت
بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء
لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان يتنقل في احوال ويتدرج
فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه اخر وهو ان الانشاء من قبيل
التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وبين ان لا يفعله والاعادة من قبيل
الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال
اصلا خارج من المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف
المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين
للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب

وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد
الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التاتي والتسهل فكانت
اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى
الذي ليس لغيره مثله وقد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة
الدلايل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات
ويدل عليه قوله تعالى وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل
على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قوله لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو
الوصف بالوحدانية ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى
في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد
التفسير الاول ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم
فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون فان قلت
اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من انفسكم مما ملكت ايمانكم
من شركاء قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم
وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر
وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون
انتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان يستبدوا بتصرف
دونهم وان يفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا
بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان
تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الايات
اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل
لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير
علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين الذين ظلموا اي اشركوا كقوله تعالى
ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه
ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء من اضل الله
وخذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله تعالى
وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين
حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر
الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين فاقم
وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل
لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء

ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين

عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المامور او
من الدين فطرة الله الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة
لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا
معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله تعالى لا تبديل لخلق الله والمعنى
انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا
للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء
شياطين الانس والجن ومنه قوله تعالى في الحديث القدسي كل عبادي خلقته حنفاء فاحتالتهم الشياطين عن
دينهم فامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون
ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة
او تغير فان قلت لم احد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب
الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتخصيص من الذين
فارقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم
تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا
فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا
ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم
ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله ؛ وكل خليل غير هاضم نفسه ؛ واذا مس الناس ضر
دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما
آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون الضر الشدة
من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في
ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن
ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية
اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر
الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان
فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون واذا اذقناهم رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة
فرحوا بها وان تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شوم معاصيهم
قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته
وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فآت
ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك

من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
كل حزب بما لديهم فرحون واذا مس
الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا
اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم
يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا
فسوف تعلمون ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى
حقه والمسكين وابن السبيل ذلك
خير للذين يريدون وجه الله واولئك
هم المفلحون

حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد
احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند
الشافعي لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم
فان قلت كيف تعلق قوله تعالى فآت ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم
بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد
بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله تعالى لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن
الطريقة مختلفة وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون هذه الآية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربوا
ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم آكلة الربوا من ربوا ليربو في اموالهم ليزيد
ويزكو في اموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة اي من صدقة تبتغون
به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون ذووا
الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح
العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه
اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة
وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان
يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ
وما آتيتم من ربوا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في
اموالهم كقوله تعالى ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله تعالى فاولئك هم المضعفون
التفات حسن كانه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم
هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه
لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون
والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهو اسهل ماخذا والاول املأ بالفائدة الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما
يشركون الله مبتدأ وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر
على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم اندادا له من الاصنام
وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من
حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة المبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من
ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة
كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر بما
كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون الفساد في البر والبحر نحو الجدب

وما آتيتم من ربوا ليربو في اموال الناس
فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم
ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما
يشركون ظهر الفساد في البر والبحر
بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم
بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون

والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة
المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس رضي الله عنهما اجدبت الارض وانقطعت
مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن رحمه الله ان المراد بالبحر
مدنه البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة رضي الله عنه العرب تسمي الامصار البحار
وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ظهر الفساد
في البر بقتل ابن ادم اخاه وفي البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة
رضي الله عنه كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون
عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت
ما معنى قوله تعالى ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول
فظاهر وهو ان الله تعالى قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في
الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الاخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام
مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة
الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم
بالنون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين
فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون ثم اكد تسبب المعاصي
لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة
لمعاصيهم ودل بقوله تعالى كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان
ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج من الله اما
ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله تعالى فلا يستطيعون
ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون
يتصدعون اي يتفرقون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون فعليه كفره كلمة جامعة
لما لا غاية وراءه من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون
اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه
ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى
انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على
ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له
من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع
للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل

قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين

هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه
لا يفلح عنده تعالى الا المؤمن الصالح وقوله تعالى انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد
والعكس ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة
واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد
عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول
المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي هو هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء
وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد
تهب ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها
ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت بم تعلق وليذيقكم
قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم
وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها ولقد ارسلنا من
قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين
اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا
من ذكرهما وقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شانهم وتاهيل لكرامة
سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه
ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا
نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله
فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله
لمبلسين فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله
في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء واصابة
العباد اصابة بلادهم واراضيهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في
النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم
وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي
الارض بعد موتها ان الله لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير قرئ اثار على الوحدة والجمع وقرأ ابو
حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها
هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات
بدليل الانشاء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع

ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء

الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا
فهم مسلمون قرأوه اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرأ بالجمع
رجع الضمير الى معناه لان معنى اثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير
لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والظلوا
جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل
بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذا فاتهم على صدورهم مبلسين فاذا
اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم
بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان
عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا
على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات
يجوز ان تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا
لان تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر الله الذي
خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء
وهو العليم القدير قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روي ان
عمر رضي الله عنهما قال قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضَعْفٍ فاقرأني من ضُعْفٍ
وقوله تعالى خلقكم من ضعف كقوله تعالى خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه
جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اي ابتدأناكم في اول الامر ضعافا واراد
حال الطفولة والنشوء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ
الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطفة كقوله
تعالى من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة
الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القادر ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون الساعة القيمة سميت بذلك لانها تقوم في اخر ساعة
من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما
لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وارادوا لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا
الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون
سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون
وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون
اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق وهكذا كانوا يبنون امرهم على
الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الان انه ما كان الا ساعة
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم
لا تعلمون القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله

ان ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن
باياتنا فهم مسلمون الله الذي
خلقكم من ضعف ثم جعل من ضعف قوة
ثم جعل من قوة ضعفا وشيبة يخلق
ما يشاء وهو العليم القدير ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا
غير ساعة كذلك كانوا
يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم في كتاب الله
الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم
كنتم لا تعلمون

فقضائه او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا
ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم
في طلب الحق واتباعه فان قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا
وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا
فقد جئنا خراسان وان لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد
تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك فيومئذ لا ينفع الظالمين معذرتهم
ولا هم يستعتبون من قولك استعتبني فلان اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت
جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله: غضبت تميم ان يقتل عامر يوم النسار
فاعتبوا بالصيلم: كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى
العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها
ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الايات وغير معتبين في
بعضها وهو قوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين
فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم
جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسألوه ازالة
ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ولئن جئتهم
باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ولقد وصفنا
لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة
وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة
قلوبهم ومج اسماعهم حديث الاخرة اذا جئتهم باية من ايات القران قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال
مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي ينشرح لها الصدور
حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة
من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدا
والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم
اعرق خلق الله في تلك الصفة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون
فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه
والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون
لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك
اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض
وادرك ما ضيع في يومه وليلته
بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين

فهم يعتذرون لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم
يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا
القران من كل مثل ولئن جئتهم
باية ليقولن الذين كفروا ان انتم
الا مبطلون كذلك يطبع الله
على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر
ان وعد الله حق ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون
بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى
ورحمة للمحسنين

الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم
المفلحون الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز ان
يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر
استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال من الآيات والعامل فيها ما في تلك من
معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف للمحسنين الذين يعملون الحسنات
وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والايقان بالآخرة ونظيره قوله اوس الالمعي
الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده
ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل
اعتداده بها ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا
اولئك لهم عذاب مهين اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير
والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي
من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقا وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث
وكانه يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث
عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه
ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق
به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة
والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا
شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه
شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب ولا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون
هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان قلت ما معنى
اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء
الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو
يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث
الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى
التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله
يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم او من شراء القيان واما من
قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة رضي الله عنه
اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء
وسبيل الله دين الاسلام او القرآن فان قلت القراءة بالضم بينة لان النضر
كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن
ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي

الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى
من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس
من يشتري لهو الحديث ليضل عن
سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا
اولئك لهم عذاب مهين

كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة
الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان
ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فان قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله
مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل
الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما
كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ بالنصب والرفع عطفا على يشتري او ليضل
والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها
عوجا واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم
ولى مستكبرا ذاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها راسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو
سامع كأن في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل الجملتين
المصدرتين بكأن قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا
استئنافين والاصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشان ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم وعد الله حقا مصدران مؤكدان
الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم
فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله
لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء
والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل خلق السموات بغير عمد ترونها والقى
في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل
زوج كريم ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد
كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل
لها لانها مستانفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى
وهي امساكها بقدرته هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال
مبين هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان
هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشأه فاروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة
ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد آتينا لقمان الحكمة
ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد هو لقمان بن باعورا ابن اخت
ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه الصلوة والسلام
واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا
اكتفي اذ كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق
ورضي قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل

واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
كأن لم يسمعها كأن في اذنيه
وقرا فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم
خالدين فيها وعد الله حقا وهو
العزيز الحكيم خلق السموات بغير
عمد ترونها والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وبث فيها
من كل دابة وانزلنا من السماء
ماء فانبتنا فيها من كل زوج
كريم هذا خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون
في ضلال مبين ولقد آتينا لقمان
الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه ومن كفر
فان الله غني حميد

خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وعن
مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا
وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ
الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام دقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان
رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك ما ارى
قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع
وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال
نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان
مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب ما فيها فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعدما
امره ان يخرج اخبث ما فيها فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن
سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان
بلال ومهجع مولى عمر رضي الله عنه ولقمان ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد
نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث
فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد
واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم قيل كان اسم ابنه
انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية
بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ووصينا
الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع
سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك
رجع عودا على بدأ وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي يتزايد ضعفها
ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازداد ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي
عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم اراد
بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله تعالى ما يدعون من دونه من شيء
معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروة
واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت
مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على
كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة
وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروي انها نزلت
في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها
بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر فان قلت
هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان قلت هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد

واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون

تأكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فان قلت فقوله تعالى حملته امه وهنا على
وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت لما وصى بالوالدين
ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة
ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك
وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل امي
وهي الحماله ترضعني الدرة والعلاله ولا يجازى والد فعاله فان قلت ما معنى توقيت
الفصال بالعامين قلت المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر
فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه
ويدل عليه قوله عز وعلا والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان
يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على ان مدة الرضاع سنتان
لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى
واما عند ابي حنيفة رضي الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته
قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا
لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم يا بني انها ان تك مثقال حبة
من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير
قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة والاحسان اي
ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه
كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يأت بها الله تعالى يوم القيمة فيحاسب
بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة رضي الله عنه
لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال
لاضافته الى الحبة كما قال ❊ كما شرقت صدر القناة من الدم ❊ وروي ان ابن لقمان
قال له ارأيت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم
اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل
الصخرة التي هي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف
من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور واصبر على ما اصابك
يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك
مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم
الصيام من الليل اي لم يقطعه بالتحليل بالنية الا ترى الى قوله عليه السلام لمن لم يبيت
الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصته كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم

يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور

عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك انه يقول الملك لبعض من
تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله
ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من
معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى
الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر
وصدق القتال وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم الطاعات وانها كانت
مامورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على
ما سواها موصى بها في الاديان كلها ولا تصاعر خدك للناس ولا تمش في الارض
مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال
اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد
داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا
تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع
المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن
غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم
ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء
الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في
مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير واقصد في مشيك
واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيتين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب
الشطار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما
قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة
عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد
اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان
يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر
اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت فالحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة
وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه
ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة
وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن
من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم
وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة
وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط
عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان فان قلت
لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاده

ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير

الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه
الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن
والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء
والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته فان قلت
ما النعمة قلت كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان
او غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة
عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت
لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث
لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غير محتاج الى المنافع فلم يبق
الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة
قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم
في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور
الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام
والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء
والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة
القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام الهي دلني على اخفى نعمتك
على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب
السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور
معناه ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب قرأ
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله فان قلت
ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام انه جعل
وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل
اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت
حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل
متين مامون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا
مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ
قرئ يحزنك ويحزنك من حزنه واحزنه والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه
والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه

الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ

على علمه ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى
الشي الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد
الشدة والثقل على المعذب ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله
بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم
بانه الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان
لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا
ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم قرئ والبحر بالنصب
عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت
البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو واو الحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون
البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول
وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء فان قلت كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر
مداد قلت اغنى عن ذكر المداد قوله تعالى يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم
بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى
ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله
لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع
الى ذي الحال قلت هو كقوله ؛ وقد اغتدي والطير في وكناتها ؛ وجئت والجيش مصطف ؛
وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض
فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر
وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت
الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه ان كلماته لا تفي
بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد
اوتينا التورية وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد
فاعلم الله تعالى ان كلامه لا ينفد وهذه الاية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة
وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تتلو
فيما انزل عليك انا قد اوتينا التورية فيها علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه
وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير
الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت
وذلك انه انما كان يتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شأن عن

ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير

شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع كل صوت
ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض
فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى وان الله بما تعملون خبير كل واحد من الشمس والقمر
يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى اخر الشهر وعن الحسن
الاجل المسمى يوم القيمة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل ايضا بالليل والنهار
وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب
وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري الى
اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد
الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما
ملايم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك
يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى
الا ترى ان جري الشمس مختص باخر السنة وجري القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير
ناب به موضعه ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو
العلي الكبير ذلك الذي وصف من عجايب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون
العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت
الهيته وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلي الشان الكبير السلطان او ذلك
الذي اوحي اليك من هذه الايات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل وان الله هو
العلي الكبير عن ان يشرك به الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في
ذلك لايات لكل صبار شكور قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل
فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح
والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن
فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مؤمن واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور يرتفع الموج ويتراكب فيعود
مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كقلة وقلال
فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار الحادث عند
الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في
البحر والختار اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من
ختر قال ؛ وانك لو رايت ابا عمير ؛ ملات يديك من غدر وختر ؛
يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور لا يجزي لا يقضي عنه شيئا

الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور

ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المغفرة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه الغرة بالله ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده واريد زينة الدنيا لانها غرور فان قلت قوله تعالى ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله تعالى هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم في الاخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم يقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير روي ان رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطأت عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراى في منامه كأن خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تأويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة ايان مرساها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى

في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي ان ملك الموت مر على سليمان صلوات الله عليه فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني وسأل سليمان صلوات الله عليه ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن لها طريق الى معرفتها كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيث اي بتأنيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة … السجدة … مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الم على انها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديد الحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته فان قلت كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله تعالى

إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون

ما أنذر آباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم
فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك
علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل
الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي
من رسول الله عليه الصلوة والسلام كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما السلام
وان يستعار لفظ الترجي للارادة فان قلت ما معنى قوله تعالى ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا
لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله تعالى وليكم
الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له
فهو كقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا
نصير يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما
تعدون الامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى
الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في
مدة متطاولة لقلة عمال الله الخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف
بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها
من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته
كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامور ويدخل تحت الوجود الى ان
تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي
مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي ورده مع جبريل وذلك
في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان
ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل عليه السلام لانه
يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم
الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة
وهو يوم القيمة وقرأ ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون بالتاء والياء
ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من
طين احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة
واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن
وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه
على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه

ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين

ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه
وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله تعالى في احسن
تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله تعالى
ويسألونك عن الروح الاية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته
وقالوا قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقالوا ائذا ضللنا
في الارض ائنا لفي خلق جديد وقرئ اننا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا
ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في
الارض بالدفن فيها من قوله ؛ وآب مضلوه بعين جلية ؛ وقرأ علي وابن عباس
رضي الله عنهم ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن صللنا من
صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان قلت بم
انتصب الظرف في ائذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث
او يجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم
الى ربكم ترجعون لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما
وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون
بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت
وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا
والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال تعالى
اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولك توفيت حقي من فلان
واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان
في مواضع منه تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت
لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث شاء وعن قتادة
يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه
بقبضها ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو
نظرت اليها والتمني لرسول الله كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع
منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم على تلك الصفة
الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف
جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوأ حال ترى ويجوز ان يخاطب به
كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك

ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون

فلا تريد به مخاطبا بعينه نكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما
للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا
يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون
بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك
وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة
الى الدنيا ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما
كنتم تعملون لاتينا كل نفس هديها على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار
دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصر
الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم
نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف
التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم
نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى
الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم
وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه
من نكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب
ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا
وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون اذا ذكروا بها اي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا
وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه
واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها
ومثله قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما
رزقناهم ينفقون تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم
داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم
المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن
الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين
يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى
بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم
قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون
وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن انس بن مالك رضي الله عنه
كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى

ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن
حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا
انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم
تعملون انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا
بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم
لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون

العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ما اخفي لهم على البناء للمفعول
ما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم
الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وتعالى وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرئ من قرة
اعين وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب
ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله تعالى لاولئك واخفاه من جميع خلائقه
لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء
بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم
عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن رحمه الله اخفى القوم
اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما
كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون كان مؤمنا وكان فاسقا
محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله تعالى اما الذين امنوا
واما الذين فسقوا ونحو قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
وجنات الماوى نوع من الجنان قال الله عز وجل ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة
المنتهى عندها جنة الماوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال تاوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة الماوى على
التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فماويهم النار اي
ملجاؤهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة ماويهم النار اي النار لهم مكان جنة الماوى
للمؤمنين كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب
الاكبر لعلهم يرجعون العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به
من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب الاخرة
اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون من
الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا
وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم
الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت
من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم
يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا اذاقوا العذاب
الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من

فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما
كانوا يعملون افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا
يعملون واما الذين فسقوا فماويهم النار كلما
ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون

افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم
مختارون لها او مضطرون اليها بقسر والجابه فان ارادها وقد قسرهم فحكمهم حكم
افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في
اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها
لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك
وروي في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي
معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد
منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملا
منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت
عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي
رضي الله عنهما انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر ايات
وسماك فاسقا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون
ثم في قوله تعالى ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل ايات الله
في وضوحها وانارتها وارشادها الى سوآء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد
التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك
الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة
: لا يكشف الغماء الا ابن حرة : يرى غمرات الموت ثم يزورها :
استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على شدتها فان قلت
هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام
منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه
الفائدة ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل
الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا اتينا موسى مثل ما اتيناك من الكتاب
ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره
كقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
ونحوه قوله تعالى من لقائه قوله تعالى وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم وقوله تعالى
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اي وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام
هدى لقومه وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ان
ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس
ويدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرايعه لصبرهم وايقانهم بالايات وكذلك
لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون
مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين

ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

وقيل من لقائك موسى ليلة الاسرآء او يوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من
تلقيه له بالرضى والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا
عن الدنيا وقيل انما جعل الله التورية هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها
ولد اسمعيل يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل اولم يهد لهم كم اهلكنا
من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون الواو في اولم
يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة
وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم
رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك
يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون
والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على
ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز
فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون الجرز الارض التي جرز نباتها
اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه
قوله تعالى فنخرج به زرعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين
به بالماء تاكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه وقرئ ياكل بالياء ويقولون
متى هذا الفتح ان كنتم صادقين الفتح النصر والفصل بالحكومة من قوله تعالى ربنا افتح بيننا
وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون
قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة
وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد
والحسن رحمهما الله يوم فتح مكة قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فان قلت
قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا عن سؤالهم قلت كان غرضهم في السؤال
عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم
في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلم
ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح
او يوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة
وناسا يوم بدر قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم الايمان في حال القتل كما لم ينفع
ايمان فرعون عند ادراك الغرق فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم
انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون وقرا ابن السميفع
منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون
لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة القدر وقال من قرا الم

اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون

تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام — سورة الاحزاب
مدنية (٧٣) آية
بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى
اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا عن زر قال
قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به
ابي بن كعب رضي الله عنه ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها آية
الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي
رضي الله عنه ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت
في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض
جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له
وتشريفا وتنويها بفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه
في الاخبار في قوله تعالى محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذاك لتعليم الناس بانه
رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء
والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو
ما ذكر في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واثبت على
ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك ان التقوى باب لا يبلغ
آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا
مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا
المضارة والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة
وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على
النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان
يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي
ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا
وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا
تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي
ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر

بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا

اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع
فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطا وبالمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا
يامر الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك
ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع
من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله
واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم
بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة
في امراة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان
قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة
غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا
كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل زوجا له
لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره
كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة
في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد ان يكون اصيلا
غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في
جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون
زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الآية وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر
رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان
لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى
نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال
احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله تعالى
قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يقولون
لمحمد قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم
وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من
الاستغراقية على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد
منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت اي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله
القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه
لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار وقرئ اللائي
بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى
عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي
ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وانف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت
فما وجه تعديته واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون
المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر
منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره آلى من
امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم
ليس هذا بحكمه فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان يقولوا انت علي
حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج
وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر رضي الله عنه يجيء به
احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه اخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السماء
كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جاء
الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك
حتى جعله ظهر امه فلم يترك فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع
على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في
نحو رمي وسمي قلت ان شذوذه على القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق في مثل
ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد
لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق
ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاءهم
لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة
ما لا يعنى على عالم بطريق النظم وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند
الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت
قلوبكم وكان الله غفورا رحيما وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى
نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان
فان لم تعلموا لهم آباء ينسبونهم اليه فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا
مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على
ما اخطاتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم
فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن
الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطا وسبق اللسان
ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد على طريق العموم كقوله
عليه السلام ما اخشى عليكم الخطا ولكن اخشى عليكم العمد وقوله عليه السلام وضع عن امتي الخطا والنسيان

وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطا التبني وعمده فان قلت فاذا وجد التبني فما حكمه
قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان
عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه
يعتق عند ابي حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه
بالتبني وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما العفو عن الخطا والعمد اذا تاب العامد
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور
الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم
وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها
وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان
لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول
الله وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة
الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة
وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله
تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا انا اولى به
في الدنيا والاخرة اقرأوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك
وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو
امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه
امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن
وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء
ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء
تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على
ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن ولذلك لم يثبت لهن سائر احكام الامهات
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين كان المسلمون
في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتالف
قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل
التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه
الاية او في اية المواريث او فيما فرض الله كقوله تعالى كتاب الله عليكم من المؤمنين
والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى
بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي اولوا الارحام بحق
القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة

النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين

ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما

الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا فان قلت
مم استثنى ان تفعلوا قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب
اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة
وهبة وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية
لوارث وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون
والمهاجرون للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا وتفسير
الكتاب ما مر انفا والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم
واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين
عذابا اليما واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة
والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات
الله عليهم وانما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين
صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم
وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين وليسأل
المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله
وليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتأويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين
بهم كقوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قلت
لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة
الانبياء الذين هم مشاهيرهم ودراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم افضل هؤلاء
المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه
فان قلت فقد قدم عليه نوح في الاية التي هي اخت هذه الاية وهي قوله تعالى شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره قلت مورد هذه
الاية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف
دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه تعالى قال شرع لكم الدين الاصيل الذي
بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم النبيين في العهد الحديث وبعث عليه
من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان قلت فماذا اراد بالميثاق الغليظ قلت
اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا
والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل
الميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا فان قلت علام عطف قوله تعالى
واعد للكافرين قلت على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء
الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه

الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان
ذلك في الكتاب مسطورا واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا
منهم ميثاقا غليظا ليسئل الصادقين
عن صدقهم واعد للكافرين عذابا
اليما

ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذكروا
ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم
ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها
وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب
في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت
القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في
جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا
فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق
على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة الاف من
المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالنساء والذراري فرفعوا
في الاطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال
معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط وكانت
قريش قد اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان
وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل
في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر تظنون قرئ بالتاء والياء
اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا من فوقكم من اعلى
الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب
قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا زاغت الابصار مالت
عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى
عدوها لشدة الروع الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام
والشراب قالوا اذا انتفخت الرية من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع
القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك
مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا
خطاب للذين امنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على
حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه
يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الاخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم
وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن
المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس

يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا

وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال ÷ ÷ ÷
÷ اقلي اللوم عاذل والعتابا ÷ وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل
ايضا اجراء له مجرى الوقف قال وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاء زلزلوا
وقرئ زلزلوا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج اذ يقول المنافقون والذين في
قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب
لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة
ان يريدون الا فرارا الا غرورا قيل قائله معتب حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح
فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور وطائفة منهم هم اوس
ابن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة
وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها ولا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم
ههنا ولا مكان تقيمون فيه او تقومون فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان قرئ
عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا
بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان
بيوتهم معرضة للعدو وممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها
ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله تعالى بانهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم من
اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولو دخلت عليهم المدينة وقيل
بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه
العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على
اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة
اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لآتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لآتوها
لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير
توقف وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون
باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن
مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم
وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشي
وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا عن ابن عباس
رضي الله عنهما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون
منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن
وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل مسئولا مطلوبا

اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب
لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن
فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة
وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا
ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا
الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا

متقنى حتى يوفي ÷ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا
لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم
بالتاخير لم يكن التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت
له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة
ولا عصمة الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام
واجري مجرى قوله متقلدا سيفا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم رحمة ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع
قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا المعوقين
المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من
ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا اكلة راس
ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا
وهي لغة اهل الحجاز يسوون بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل
وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم
الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون
ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم فاذا جاء
الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف
سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على
الله يسيرا اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه
المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من سكرات
الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا
ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة
الاولى واجترؤا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم
وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال وعلى الذم
وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط
قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان
ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل
وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة
من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت
ما معنى قوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم
حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسالون عن انبائكم ولو كانوا فيكم

قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي
يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم
رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم
هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة
عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت
فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة
حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط
الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب
يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسالون عن
انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا

ما قاتلوا الا قليلا يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة
راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يأت الاحزاب كرة ثانية
تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسألون كل قادم منهم
من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم
يقاتلوا الا تعلة ورياء وسمعة وقرئ بدّى على فعّل جمع باد كغاز وغزّى وفي رواية صاحب الاقليد
بديا بوزن عدي ويسألون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا
بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول رايت الهلال وتراءيناه كان عليكم اي تواسوا رسول الله
بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب
حتى كسرت رباعيته يوم أُحد وشج وجهه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان
يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا فان قلت فما حقيقة قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة وقرئ أُسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة
وهو المؤتسى به اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من
الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو
الله بدل من لكم كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله واليوم الاخر من قولك
رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الاخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل
او الخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي
برسول الله من كان كذلك وعدهم الله تعالى ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله
تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما فلما جاء الاحزاب وشخص
بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا
او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى
الخطب او البلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين
بصدقهم ويعذب الله المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما نذر رجال من
الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان
وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من
قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب
ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع
عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا
مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله تعالى فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا

ما قاتلوا الا قليلا لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة لمن كان
يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا
ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله وصدق
الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا و
تسليما من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
ان الله كان غفورا رحيما

ويحتمل وفاءه من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فما حقيقة قوله صدقوا
ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب
واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا
يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد
عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد
صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد
ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق
ومرض القلوب جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد
الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب
والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا ويتوب عليهم
اذا تابوا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا
عزيزا ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تعالى تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا
غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى
الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وارضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل
الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي
صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روي ان جبريل عليه السلام
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون
الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا
يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه
الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لم تضع السلاح
ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله تعالى داقهم دق البيض على
الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا
في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم
ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم
الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم
فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا
وكفى الله المؤمنين القتال وكان
الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل
الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم
الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا
واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا
لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا

وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتاسرون بضم السين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر
رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا
بما صنع الله تعالى ورسوله وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها
مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه
اراد نساءهم يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين
امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله
اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما اردن شيا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن
فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدا بعايشة رضي الله عنها وكانت احبهن
اليه فخيرها وقرأ عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فروي الفرح في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل
لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال لعايشة رضي الله عنها اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك
ثم قرأ عليها القران فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة
وروي انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال صلى الله عليه وسلم انما بعثني الله
مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري
فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير
والمخيرة فيل وقعت طلقة باينة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا انه ان يكون ذلك في المجلس
قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة
رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما وعن الحسن وقتادة والزهري امرها
بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شي باجماع فقهاء الامصار
وعن عايشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي
طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت
نفسها فواحدة باينة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشي اصل
تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استعمل في
استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد
نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني
متعة الطلاق فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت المطلقة التي لم يدخل
بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما ساير المطلقات
فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احديهما يقضي بها السلطان من طلق
قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل

وخاصمت

يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين
امتعكن واسرحكن سراحا جميلا
وان كنتن تردن الله ورسوله
والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات
منكن اجرا عظيما

وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن
سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة
والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف
مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة
دراهم فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه قراءة من قرأ امتعكن واسرحكن بالرفع
قلت وجهه الاستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة يا نساء النبي من يات
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا
منكن للبيان لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي كبيرة والمبينة
الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكباير وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله
وقيل الزنى والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف
عذابهن لان ما قبح من ساير النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية
تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعم على العاصي من المعصي وليس لاحد
من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعم والجزاء
يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه
شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية
من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه
لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء
النبي ليس بمغن عنهن شيا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب
فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه وقرئ ياتي بالتاء
والياء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على
البناء للمفعول ونضاعف ونضعف بالياء والنون ومن يقنت منكن لله
ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما يا نساء
النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في
قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرئ تقنت وتعمل بالتاء والياء والنون
والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله
والتقوى احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه
المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله تعالى لستن كاحد من النساء
لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة
لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومثله قوله عز وجل

يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وكان ذلك على الله يسيرا ومن
يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا
نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا
كريما يا نساء النبي لستن كاحد
من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن
بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن
قولا معروفا

والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحد منهم تسوية
بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا
تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعًا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات
فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على
انهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن
فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد
الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد
وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن ولا
تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقرئ بكسر القاف
من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى
القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحها على
ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار
اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة
والجاهلية الاولى هي القديمة يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه
ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض
نفسها على الرجال وقيل ما بين ادم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود
وسليمان عليهم السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما ويجوز
ان يكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية
الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام
تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية
كفر امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين
الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه
جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف
اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار
للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس
كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر
وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله تعالى لعباده ونهاهم عنه
ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي
هذا دليل بين على ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته واذكرن ما يتلى

وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا

في بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط
الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو ايات بينات
تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرايع ان الله كان لطيفا خبيرا
علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته
او حيث جعل الكلام الواحد جامعًا للغرضين ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين
والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم
والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما يروى ان
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير افما فينا خير نذكر
به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله
عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب
المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله تعالى المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمؤمن
المصدق بالله ورسله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها
والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي
والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله
والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من
المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد
يخلو من ذكر الله تعالى بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القران والاشتغال بالعلم من الذكر
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا
ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف
لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف
الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله تعالى ثيبات وابكارا في انهما جنسان
مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن
عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات
اعد الله لهم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة
من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت
وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها اياه
وساق عنه اليها مهرها دراهم وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام و
صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء
وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها

واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا

وقالا انما اراد ان رسول الله تزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين
اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله اولان قضاء رسول الله هو قضاء الله امرا من
الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا
لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امراة الا
كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على
المعنى لا على اللفظ وقرئ تكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله مفعولا للذي انعم الله عليه بالاسلام
الذي هو اجل النعم بتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله له
فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب
بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه
فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها
لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها
والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال
مالك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال
له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما
رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت
وقالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران زوجناكها
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم ذبح شاة
واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار فان قلت ما اذا اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق
الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا
تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها
وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله تعالى قد
اعلمه بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيا مما اوحي اليه لكتم هذه الاية
فان قلت فما ذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ذلك
ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك
او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله تعالى يريد من

الانبياء صلوات الله عليهم تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجارب
في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر
رضي الله عنه قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء
لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله تعالى في ستر ما استهجن
التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس
لا تتعلق الا بما هو مستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه في نفس الامر ولم يأمره
بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن تعلق الهجنة
به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس
عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله تعالى
وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل
ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا
ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستأنسين بالحديث
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء
يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله
لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم ان
ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذاك القبيل لان طموح قلب الانسان الى
بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل
الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو
خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب منه من زر قميصه
ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت
تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل
الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا
المدينة استهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احديهما
للمهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة
بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة ان بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله تعالى من
المصلحة العامة في قوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا فبالحري ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه امسك عليك زوجك واتق الله
وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون

واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشيه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا

ولا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس
والله احق ما هي قلت واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك
ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله
او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله
احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه
وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها
وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد اليس تقرأ
على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قرأتها على ابي الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي
رضي الله عنهما الا كذلك ولا قرأها علي بن ابي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم الا كذلك وكان
امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة
وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين
في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج
بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر الله فرض الله له
قسم واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله
اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبي من حرج
كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما ابيح
لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود عليه
السلام مائة امراة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة امراة وسبعمائة سرية في الذين
خلوا في الانبياء الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء
والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله
قدرا مقدورا وقضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون
احدا الا الله وكفى بالله حسيبا وصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح
في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة
فيجب ان يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم
النبيين وكان الله بكل شيء عليما ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على
الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح
رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم
الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء
واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من
الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال
لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش

فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله
من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال
اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين
حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد
ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين
والآخر على الخمسين قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول
الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد
ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر
الزمان قلت معنى كونه آخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل
ينزل على شريعة محمد مصليا الى قبلته كانه بعض امته يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد
والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة
رضي الله عنه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
وعن مجاهد كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان اعني اذكروا وسبحوا موجهان الى البكرة
والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين
انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار
لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح
ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر
من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها
والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات
والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة
واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلاة الفجر والعشاءين لان
اداءها اشق ومراعاتها اشد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان
بالمؤمنين رحيما لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على
غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمراة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى
استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك وترأف فان قلت قوله تعالى هو الذي يصلي
عليكم ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله تعالى وملائكته وما معنى صلوتهم قلت
هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره
قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك الله لانك

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما

يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما

لا تكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله
وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي
ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار
الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين
رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت
تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون
يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان
يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة
وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال تعالى والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم
اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا
وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هي حالة مقدرة كمسألة
الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله تعالى
انا ارسلناك داعيا انه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله تعالى باذنه قلت لم يرد به حقيقة
الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر
فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه
وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة والتعذر
فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطيع الا اذا سهله الله تعالى ويسره ومنه
قولهم في الشحيح انه غير مأذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه
داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج
المنير ويهتدى به او امد الله تعالى بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار
ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم
ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن
الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير او وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا
التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع
الكافرين والمنافقين ودع اذيهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا الفضل ما يتفضل به عليهم
زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب
من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل
من جهة الله وانه اتاهم ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على

تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم
اجرا كريما يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا
تطع الكافرين والمنافقين ودع اذيهم
وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا

ما كان عليه صح

والتهيج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ
بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او دع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به
مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله تعالى بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب
مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون
شهداء على الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه
اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع
اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا
منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله تعالى وتوكل على الله لان من
توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا
على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن
سراحا جميلا النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه
ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز
اسنمة الابال في سحابه سمى الماء باسنمة الابال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته
ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح
ومن اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان
فان قلت لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الاية تستوي فيه المؤمنات
والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير
لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر
ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم
ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو
الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات فان قلت ما فائدة ثم في قوله تعالى ثم طلقتموهن
قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من
النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم طلقها فان قلت
اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت نعم عند ابي
حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله تعالى فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون
عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه
وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداد
ما في قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب

يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة
تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا

اليه قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة
الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على
الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع
واجب يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء
الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي
هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها
خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم
لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع
وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما تسميتها وفرضها فان قلت لم قال اللاتي اتيت
اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات
قلت قد اختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى
كما اختصه بغيرها من الخصايص وآثره بما سواه من الاثرة وذلك ان تسمية المهر في العقد
اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل
بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويؤجله وكان
التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف عنهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها
وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبي
على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان لهم عهد
فالمسبي منهم خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب
دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانئ بنت ابي
طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني فانزل الله تعالى هذه الآية
فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا
تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك فعن
ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع
ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة
بنت حكيم قرئ ان وهبت على الشرط وقرا الحسن ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز
ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوام جلوسه
هبتها نفسها وقرا ابن مسعود رضي الله عنه بغير ان فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت
هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانه قال احللناها لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول
الهبة وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى
الخطاب

يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما

الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة
له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة
فيه وقد استشهد به ابو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته
سواء في الاحكام الا ما خصه الدليل وقال الشافعي رضي الله عنه لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو
الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتي اتيت اجورهن وقال ابو بكر
الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد
كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة
في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت في اثر
الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا
عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله تعالى من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله
تعالى لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية
ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم
ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك
حرج لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل
وفي دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع
اي ذلك خاص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمراة فعلى مذهبه هذه
المراة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده
روي ان امهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت
وروي ان عائشة رضي الله عنها قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي من تشاء منهن وتؤوي
اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن
ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما ترجي بهمز وغير همز تؤخر وتؤوي
تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من
تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج
من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها
وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك
وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة
وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة
وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه
الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض

ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما

المشيئة اذ الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء
والارجاء والعزل والابتغاء ارتفع التفاضل ولم يكن لاحديهن مما تريد وما لا تريد الا مثل ما للاخرى
وعلمن ان هذا التفويض من عند الله تعالى وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير
وحصل الرضاء وقرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما
دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله صلى الله عليه وسلم وبعث على تواطي قلوبهن والتصافي
بينهن والتوافق على طلب رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن
بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل
بالعقابة فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تاكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه ويرضين
كلهن بما اتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيدا لهن في اتيتهن لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن
من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا ولا يحل قرئ بالتذكير
لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل اجوز من بعد
من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته
منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا
اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت ابي بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان
سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية
زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية من في من ازواج لتاكيد النفي وفائدته
استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص
احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء
بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني
بامرأتك وانزل لك عن امرأتي فينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى
الله عليه وسلم وعنده عائشة رضي الله عنها من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت قط من مضى منذ ادركت ثم قال من
هذه الجميلة الى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك
عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله
قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احل له النساء تعني ان الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله تعالى انا
احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو
الضمير في تبدل من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن
وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم
عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين

لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه

بامرأتك وابادلك جر

اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله
عظيما وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره
وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا
بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا ايها المتحينون للطعام الا ان يؤذن
لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان
يؤذن له اذنا خالصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام
وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه
انتم كقولك هند زيد ضاربته هي وانى الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقولك قلاه قلى
ومنه قوله تعالى حميم ان بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا
افواجا كل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا
طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق
الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليكم السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك
وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا
الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه او عن ان يستانسوا حديث اهل البيت واستئناسه
تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستانسين لا بد في
قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يعني
ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي
من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة
رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله لم يحتملهم وقال واذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحيي
بياء واحدة الضمير في سالتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن
متاعا حاجة فاسالوهن المتاع قيل ان عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة
وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله
يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع
النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل
فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى
نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد
رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت اية الحجاب

ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما

وذكر ان بعضهم قال انتهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن عائشة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر لها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث مما يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانهن لابنائهما وابناؤهما غير محارم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي بامر الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريق التقوى في حفظها وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا اي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلاة على رسول الله واجبة او مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال

ذانك

وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه صح

ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلاة عليه في الصلاة اهي شرط في جوازها ام لا قلت ابو حنيفة واصحابه لا يرونها شرطا وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي فقد جعلها شرطا فان قلت فما تقول في الصلاة على غيره قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يشتمني واذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بدأني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي والطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل في الذين افكوا على عائشة رضي الله عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق

ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا

وكيف وكان ابن عون لا يكري حوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند
كر الحول يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما الجلباب ثوب واسع اوسع من
الخمار ودون الرداء تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء
او غيره قال ابو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن
يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة
ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية
متبذلات تبرز المراة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل
الشطارة يتعرضون اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء
وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن
زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا
يطمع فيهن طامع وذلك قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن
فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما معنى من في من جلابيبهن قلت
هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب
والمراد ان لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا
في بيتها والثاني ان ترخي المراة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة
وعن ابن سيرين سالت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب
ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر
الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء
وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون بالمدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة
واهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء
عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون
بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير
ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة
عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم
وتنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمنا
قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم وعيالاتهم فسمي ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل
المجاز ملعونين ايما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك

يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين عليهن من
جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن
فلا يؤذين وكان الله غفورا
رحيما لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
بالمدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما
ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا

الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله تعالى الا
ان يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ومعناه لا يجاورونك الا
اقلاء اذلاء ملعونين فان قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف
على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا
لا يجاورونك فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء
وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول
لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف
بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت
حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء
ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا كان المشركون يسالون
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود
يسالونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسول الله ان
يجيبهم بانه علم قد استاثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها
قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة
في معنى اليوم او في زمان قريب ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها
ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسول السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول
وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اي نقلب نحن وتقلب على ان الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها
في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة
او تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيئاتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه
بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن
الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون
حالا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كبيرا يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان
عند الله وجيها وقرئ ساداتنا وسادتنا ادهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه
لهم يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل
الاي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده
مستانف وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللعائن وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه

سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا يسالك الناس عن الساعة
قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا ان الله لعن الكافرين واعد لهم
سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا
نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من
العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها

ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا
ينفعهم شيء من ذلك لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما
سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة
التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هارون وكان قد خرج
معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا وابصروه حتى عرفوا انه
غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل قرفوه بعيب
في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده
فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة
كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والاعمش وابو حيوة
وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته
يقرؤها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش
مكين وهذه ليست كذلك فان قلت قوله تعالى مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما
اما مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة قلت المراد بالقول او المقول مؤداه
ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد
فاز فوزا عظيما قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم
نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث
زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسدد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان
وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان
فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة
سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية
مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على
الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد
من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي
الى تركه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز
العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها
وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر
الله عز وجل انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها
وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة
واشكال متنوعة كما قال تعالى قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا
عظيما انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا

منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف
مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة
لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها
مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها
حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها
الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها
ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها
كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل ؎ اخوك الذي لا تملك الحس نفسه ؎ وترفض عند المحفظات الكتائف
اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به
ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه
واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون
محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده
مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على
اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق منه
وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها
ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من
ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة البهائم
والجمادات وتصور مقالة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان يحسن قبيحه كما ان العجف
يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته
اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها فان قلت قد علم
وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت
حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه
للمضي في وجهة وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك
ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح
بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل
في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في
الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على
السموات والارض والجبال لابين ان يحملنها واشفقن منها ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما اللام
في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في
ضربته للتاديب نتيجة الضرب وقرأ الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل

ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب
الله على المؤمنين والمؤمنات وكان
الله غفورا رحيما

[illegible]

ويتدي ويتوب الله رسمي قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره
من لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه
اعطي الامان من عذاب القبر سورة ٣٤ سبأ مكية (٥٤) آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد
في الآخرة وهو الحكيم الخبير ما في السموات والارض كله نعمة من الله وهو الحقيق بان يحمد
ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه
انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته
وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب فان قلت
ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا فواجب على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى
تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب واما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة
الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما
يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير
بكل كائن يكون يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
الرحيم الغفور ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الارض
ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات
والعيون والفلز والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد
والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء
رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ
فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ننزل
بالنون والتشديد وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار
لمجيء الساعة او استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد
اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في
التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به
من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه
وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى
كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى وآكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ
فان قلت هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى قلت نعم وذلك
ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب

قيل

قيل عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى
علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء
ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا فان قلت الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب
انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف
تكون مصححة لما انكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة
وهو قوله تعالى ليجزي فقد وضع الله تعالى في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له
من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له قرئ لتأتينكم
بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم
امره كما قال تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك وقال او يأتي امر ربك وقرئ
عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم
والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة
وذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على
نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله فان قلت هل يصح
عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتأكيد
النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة
ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في
عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من
البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح والذين سعوا
في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك
هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر عن قتادة رضي الله عنه
الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام
الذي انزل اليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة
في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة
انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من
الاحبار انه الحق فيزدادوا حسرة وغما وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق
انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم باعجوبة من
الاعاجيب انكم تبعثون وتنشئون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا وتمزق اجسادكم البلى كل
ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون
يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون
الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض
وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم
الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا
الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا
اكبر الا في كتاب مبين
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك
لهم مغفرة ورزق كريم

والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك
لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين
اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك
هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد
وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل
ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق
انكم لفي خلق جديد افترى على الله
كذبا ام به جنة بل الذين لا
يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد

وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب وسببا لوقوعهم في الضلال كانهما كاينان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجبا جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي ينبئكم فان قلت فقد جعلت الممزق مصدر كيت الكتاب : الم تعلم مسرحي القوافي ؛ فلا عيًّا بهن ولا اجتلابا ؛ فهل يجوز ان يكون مكانا قلت نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله تعالى افترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة وصل قلت القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك اسقاطها في السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد من الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله تعالى هل ندلكم على رجل فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحكي في بعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لاية لكل عبد منيب اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا واينما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارها وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الايات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله لاية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في ايات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به وقرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله كذبا وبالنون كقوله تعالى ولقد اتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من اتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التأويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله تعالى يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير فان قلت اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال واتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير قلت كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عز الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة ادمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا لآل داود عليه السلام ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع ولذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبايتون بالشام ان شاء الله القطر النحاس المذاب من القطران فان قلت ما اراد بعين القطر قلت اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان عليه السلام وقرئ يزغ من ازاغه وعذاب السعير عذاب الاخرة عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور

افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لاية لكل عبد منيب ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد

ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور

المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها
ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل
في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
فان قلت كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير قلت هذا مما يجوز ان
تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم
يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرمًا ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار
وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او
تصور محذوفة الرؤس وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه
فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما
والجوابي الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة
وقيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى
يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية
ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر
لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريقة الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير
اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب
بـ اعملوا مفعولا له ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة
والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه
اعتقادا واعترافا وكدحا اكثر اوقاته وعن ابن عباس رضي الله عنهما من يشكر على احواله كلها
وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود جزأ ساعات
الليل والنهار على اهله فلم تكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم
يصلي وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر رضي الله عنه
ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعوه
ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر رضي الله عنه كل الناس اعلم من عمر فلما قضينا عليه الموت
ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قرئ فلما قضي عليه الموت ودابة الارض الارضة بالحركة اي ضا
الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا
اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل
كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنساة العصا لان ينسأ بها
اي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن
اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساءة على مفعالة كما يقال في الميضأة

فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته
الا دابة الارض تاكل منساته فلما
خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين

ميضأة ومن سأته اي من طرف عصاه سميت بساة القوس على الاستعارة وفيها
لغتان كقولهم قحة وقحة قرئ اكلت منساته تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى
وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي
ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس
الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم
المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم
وانما اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل
تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء
للمفعول على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة ابي تبينت الانس
وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله
ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كانوا الجن يصدقونهم فيما يوهمونهم
عن علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب روي انه كان من عادة سليمان عليه السلام ان يعتكف في مسجد بيت المقدس
المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله تعالى فسألها
لاي شيء انت فقالت لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب
هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس
فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب
لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت
اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا
عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها
وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به
شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا
قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم
وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه
ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان
داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات
قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان عليه السلام فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل
ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء
ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو
منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في
ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان

لسبا في مسكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة
ورب غفور قرئ لسبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها
وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ
مساكنهم وجنتان بدل من اية او خبر مبتدأ محذوف تقديره الاية جنتان وفي الرفع
معنى المدح يدل عليه قرآءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح فان قلت ما معنى كونهما اية
قلت لم يجعل الجنتين في انفسهما اية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله تعالى
عليهما فخربهما وابدلهما عنهما الخمط والاثل اية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا
عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان يجعلهما اية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه
ووجوب شكره فان قلت كيف عظم الله جنتي اهل سبا وجعلهما اية ورب قرية من قريات
العراق يحتف بها من الجنات ما شئت قلت لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد
جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحد من الجماعتين
في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد
بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال تعالى جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبيآء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم
لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له
اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم
وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت اخصب البلاد واطيبها
تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه
من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا براغيث ولا عقرب ولا حية
وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد فاعرضوا فارسلنا
عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل العرم
الذي نقب عليهم الجرذ ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به
مآء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا
وقيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا
ما نعرف لله نعمة سلط الله عليهم الجرذ على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي
الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل
العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقيل وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا
في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقرئ اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة
والاكل الثمر والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ
طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا ووجه من
نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه

لقد كان لسبأ في مسكنهم اية جنتان
عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم
واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور
فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم
وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط واثل وشيء من سدر
قليل

او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل
الخمط في معنى البرير كانه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط
لان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين
لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قال السدر لانه اكرم ما بدلوا ذلك
جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل
يجازي والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو
العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء
ووجه اخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة
فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور
بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص
الكفور بالجزآء والجزآء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزآء العام وانما اراد الخاص وهو العقاب
بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر
والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان تخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جآء
عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة
وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما امنين القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة
يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة
لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في
قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى زاد ولا ماء سيروا فيها قلنا لهم
سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه
فان قلت ما معنى قوله ليالي واياما قلت معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار
فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها امنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم
فيها وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن
فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان
في ذلك لايات لكل صبار شكور قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا
النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرآئيل البصل
والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنا جنانا ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا
ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله لهم
الاجابة وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه
كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا
وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها
لفرط تنعمهم وترفههم كانهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث يتحدث

ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا
الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي
باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها
السير سيروا فيها ليالي واياما امنين
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا
انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم
كل ممزق ان في ذلك لايات لكل
صبار شكور

الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا
وتفرقوا ايادي سبا قال كثير ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر
لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين قرئ صدق بالتشديد والتخفيف
ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن خفف فعلى
صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن
شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقول
صدقك ظنك بالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما
لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف
العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال
لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير
في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة
الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من سلطان
الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ وما كان له عليهم
من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن
بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ
محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير قل للمشركين ادعوا الذين عبدتموهم
من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه
وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون
مثقال ذرة من خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في
الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير
خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى
ويرجوا كما يرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول واما
الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله
لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا
ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما
حذف في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف
صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذا مفعولا
زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول

الكرم

ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير

الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا
لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له من الشافعين
ومطلقة له او لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه اي هي اللام الثانية في قولك اذن
لزيد لعمرو اي لاجله وكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا
تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فان قلت بم اتصل قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي
شيء وقعت غاية قلت بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من
الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان
وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن
لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن
قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك
وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة
وقرئ اذن له اي اذن له الله واذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع
على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك
ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد يخفف واصله فرغ
الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى
انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم
علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من القمط مع
زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقولة الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان
يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين امره بان يقررهم بقوله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله
يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم
من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله
رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله
تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا
بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من
الزام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه
انا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات
والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من

قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين

والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موالٍ ومنافق قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية افضل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفلّ شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان ؛
؛ اتهجوه ولست له بكفو ؛ فشركما لخيركما الفداء ؛ فان قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال قلت لأن صاحب الحق كانه مستعلٍ على فرس جواد يركض حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين واراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله ان يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار فان قلت ما معنى قوله تعالى اروني وكان يراهم ويعرفهم قلت اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او ضمير الشان كما في قوله تعالى قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين قرئ ميعاد يوم وميعادٌ يومٌ وميعادٌ يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو هنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعادُ يومٍ فابدل منه اليوم فان قلت فما تأويل من اضافه الى يوم او نصب يوما قلت اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال

السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون بيوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله تعالى يروى ان كفار قريش مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله تعالى وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون الرؤس والمقدمون قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اوتوا من قبل اختيارهم كانهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها واثرتم الضلال على الهدى واطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكرٌ الليلَ والنهارَ بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكرُّ الليل والنهار بالرفع والنصب تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فان قلت ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار فان قلت لم قيل الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت لان الذين استضعفوا مرّ اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله تعالى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم

قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون

واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة رضي الله عنه اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به في قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياس ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقد ابطل الله تعالى حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذي على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتخفيف والتشديد وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون اراد جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء في حكم التانيث ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموصوفة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة والقربى والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء او الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان ذلك في الاخرة

ومعنى

وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا
نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم
جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون
والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك
في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين

ومعنى الاية وما كان من خلف فهو منه وخير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله تعالى اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم سبحانه وتعالى كون الملائكة وعيسى صلوات الله عليهم منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما ان المعاداة من العدواء وهي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضى بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون الامر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله تعالى فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو سبحانه ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله ثم نقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله تعالى وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سحرا وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك وما ارسلنا اليهم نذيرا

ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن اكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا
يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين
ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا
الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد
آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال
الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما
آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما
بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير

ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال الكتاب ولا بعثة رسول
كما قال تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة
متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل
من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم من الامم والقرون الخالية
كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما اتينا اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا
رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون
فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب
ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع
وهما العشر والربع فان قلت ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين
من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب
واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر
فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار
فضل عمرو فيفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله قل انما اعظكم بواحدة
ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم القيام
عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على
القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها
اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا
في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه
وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية
حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه
بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات
العقلاء ومجاري احوالهم والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر
ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف
ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا
الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون
لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب
واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته
والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما به من جنة
بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رأيا واصدقهم قولا
نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير

قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى
وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد

جاءنا الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم باية فاذا اتى بها تبين
انه نذير مبين فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون كلاما مستانفا
تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المعنى
ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب
شديد كقوله عليه الصلوة والسلام بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم عليه من اجر فهو لكم
ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله تعالى ما سألتكم
من اجر تقديره اي شيء سألتكم كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما
نفي مسألة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه
شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله تعالى
قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا
المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في
القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب
الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء قل ان ربي يقذف بالحق
علام الغيوب القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من
حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت
ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب
رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربي او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو
الامر الذي غاب وخفي جدا قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحي اما ان يبدئ فعلا
او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في
الهلاك ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى جاء الحق
وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي
صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة
ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما
يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله اي ما ينشئ خلقا
ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في
الدنيا والآخرة وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان
الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل ان
ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب قرئ
ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت
اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع فتح العين فان قلت اين التقابل بين قوله

قل ما سألتكم عليه من اجر فهو لكم ان اجري الا على
الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي
يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما
يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما
اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي
انه سميع قريب

فانما اضل على نفسي وبين قوله فبما يوحي الي ربي وانما كان كذلك مستقيما لان يقال فانما اضل
على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي
قلت هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل
ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما
ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده
الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره
اولى به انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ولو
ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب ولو ترى جوابه محذوف يعني
لرايت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التي هي فزعوا واخذوا وحيل بينهم
كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان
ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة
ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ
فلا فوت والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى
بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم فان قلت
علام عطف قوله تعالى واخذوا قلت فيه وجهان احدهما العطف على فزعوا اي فزعوا
واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ
وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا امنا
به وانى لهم التناوش من مكان بعيد امنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره في قوله تعالى
ما بصاحبكم من جنة والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل
لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش
بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت
كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء
من غلوة كما يتناوله الاخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزة
الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز والتناؤش
بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعني
[illegible] خيرا وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ويقذفون معطوف
على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من جهة بعيدة
وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي
لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله
لان ابعد شيء مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب
والزور

ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان
قريب وقالوا امنا به وانى لهم التناوش من مكان
بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون
بالغيب من مكان بعيد

١٨٥

والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي ياتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه
وان شئت فعلقه بقوله تعالى وقالوا امنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من
الايمان في الدنيا بقولهم امنا في الاخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان
بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء
الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله تعالى بين يدي عذاب شديد
وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب
ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قائسين امر الاخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم
بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف
وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب يشتهون
من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكي
عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم مريب
اما من اراب اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها
وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا
من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول
شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان
له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة فاطر مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع
يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس
رضي الله عنهما ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا
فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة
بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونها اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما
ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة
وانما لم ينصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر
كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق
الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلاثة
فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان
وخلقا اجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة
وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع
زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه فان قلت قياس الشفع من الاجنحة ان
يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين
يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة

وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم
من قبل انهم كانوا في شك مريب
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة
رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد
في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير

اجنحة جناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله تعالى وجناحان
مرخيان على وجوههم حياء من الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام ليلة
المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سال جبريل عليه السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن
تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته
فغشي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال
ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها
بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله تعالى حتى يعود مثل
الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو
الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة رضي الله عنه الملاحة في العينين
والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش
وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في
التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم استعير الفتح للاطلاق والارسال
الا ترى الى قوله تعالى فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من
رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة
للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على
حبسها واي شيء يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه فان قلت لم انث الضمير اولا ثم
ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط قلت هما لغتان الحمل على المعنى وعلى
اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه
ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل
التذكير وقرئ فلا مرسل لها فان قلت لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره قلت يحتمل ان يكون
تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه
ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فان قلت
فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس رضي الله عنهما قلت ان اراد بالتوبة
الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس رضي الله عنهما ان قاله فمقبول وان اراد
انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة
ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاؤها من بعده من بعد امساكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله
فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد اياته وهو العزيز الغالب القادر على
الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه
يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو
فانى تؤفكون ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو
العزيز الحكيم يا ايها الناس اذكروا نعمة الله
عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون

من الكفران وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل
لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك تريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب
عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعم الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد يا اهل
مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس
يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع
على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء فان قلت ما محل يرزقكم قلت
يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من
خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدا بعد قوله هل من
خالق غير الله تقديره هل يرزقكم من خالق غير الله يرزقكم فان قلت هل فيه دليل
على ان الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما
مبتدا وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة واما على الوجهين الاخرين وهما الوصف
والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد
على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة
لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى
لان قولك هل من خالق سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق
سوى الله اثبات فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون
فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك نعي به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم
بها وسلى رسوله بان له في الانبياء قبله اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور
الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت
ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه
وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع
فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي فان قلت ما معنى
التنكير في رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو عدد كثير واولو ايات
ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على
المصابرة وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم
التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور
لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان
لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره غرورا كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد وقعود اخبرنا
عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين وقص علينا قصته وما فعل بابينا آدم صلوات الله عليه
وكيف انتدب لعداوة جنسنا قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه
هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو اعدى منه وانتم تعاملونه
معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل الا على معاداته

وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
والى الله ترجع الامور يا ايها الناس ان
وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا

ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير ثم كشف الغطا وقشر اللحا ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل وتركهما لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين امنوا قال لنبيه افمن زين له سوء عمله فراه حسنا يعني افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله وتخليته وشانه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق امر النهي ويعتسف طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كانما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول ابي نواس اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشانهم فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقي بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليهم حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تُذهِب نفسَك ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقرئ ارسل الريح فان قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تابط شرا باني قد لقيت الغول تهوي بشهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها ابن عم على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات

من اصحاب السعير الذين كفروا لهم
عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر كبير افمن زين له سوء
عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها
كذلك النشور

انه قيل

انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقال نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت به اجساد الخلق كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا والذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان العزة لله جميعا ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الاخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس رضي الله عنه يعني ان هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قران ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي عليه السلام هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يُصعَد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اي يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وعلا فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هذه صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين مكروا المكرات السيئات او اصنافا من المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الراي في احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعني ومكر

من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر
اولئك هو يبور

اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد دون
مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم
جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق
المكر السيء الا باهله ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا
واناثا وعن قتادة زوج بعضكم ببعض بعلمه في موضع الحال اي الا معلومة له فان
قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما
سماه معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص
العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تاويله
بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم
احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب
الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه
تاويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب
في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا
جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين
فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب
انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس
قد قال الله اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله
وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما
اشبهه وعن سعيد بن جبير رحمه الله يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب
في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى ياتي على اخره وعن قتادة المعمر من
بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن
ابن عباس رضي الله عنه ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان
وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ضرب البحرين العذب والملح
مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما
من نعمه وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك
وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء
بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن
الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من
فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الاية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة

المعنى

والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم
ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في
كتاب ان ذلك على الله يسير
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون
لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله

المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل
كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المريء السهل الانحدار
لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي
يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين
ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ
وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان
منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ذلكم مبتدا والله
ربكم له الملك اخبار مترادفة والله ربكم خبران وله الملك جملة مبتداة واقعة
في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع
اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير
لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم
لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما
تدعون لهم من الالهية ويتبرءون منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم
لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك
بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد به ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك
بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان
هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون بالياء والتاء فان قلت لم
عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء
وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف
وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في
قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم
بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت لما اثبت
فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما
واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه
الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه
الحميد على السنة مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم
باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم
من يعبده لا يشرك به شيئا الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة
للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ
نفس بذنب نفس كما تاخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت كيف

ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم
له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون
بشرككم ولا ينبئك مثل خبير يا ايها
الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني
الحميد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة
وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل

توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت تلك
الاية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم
وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع
مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه
وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان
نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهضتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب
ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان
في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة الى حملها فان قلت
فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت فكيف استقام اضمار العام
ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل
فان قلت ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان
ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة
ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح
ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتامة على ان ههنا
ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل
اي شيئا او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا
عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله عليه الصلاة
والسلام من اصحابه كانت عادتهم المستمرة ان يخشون الله وهم الذين اقاموا الصلاة
وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من
قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى
ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض
للمتزكين بالثواب فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب
عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما
تنذر كان رسول الله عليه السلام اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبر الله تعالى
بعلمه فيهم الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما والصنم والله عز
وجل والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب
والعقاب والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه
واصروا على الكفر والحرور والسموم الا ان السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل
بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها

لا يحمل منه شيء وان كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور

لتاكيد

ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود

لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت
شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل
في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من
علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام
قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وذلك مما
لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان
المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع
من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم
على وجه الهداية والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين
هم بمنزلة الموتى بالحق حال من احد الضميرين بمعنى محقا او محقين او صفة
للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صفة لبشير ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق
ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من
الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون
بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر
فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير
قلت اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين
اندرست اثار نذارة عيسى بعث الله محمدا عليهما السلام فان قلت كيف اكتفى
بذكر النذير عن البشير في اخر الاية بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة
بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الاية على ذكرها بالبينات
بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير
نحو التورية والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم
اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي
الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوانها اجناسها من الرمان
والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة
والخضرة ونحوها الجدد الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه
ويقال الجدة للحمار للخطة السوداء على ظهره وقد تكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان
بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال
مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال
السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حالك
وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد
كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد

قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة والمومن العايذات
الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي
الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بيض
وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه
وقرى الوانها وقرا الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد
وجدايد كسفينة وسفن وسفاين وقد فسرها قول ابي ذويب جون السراة له
جدايد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع
الطرايق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرى والدواب مخففا
ونظيره هذا التخفيف قراءة من قرا ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقاء
الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا اخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات
والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه
وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما
ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية
وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي
افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول
في هذا الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء
كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على
العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما
معنيان مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال
الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار
صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع
ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك
ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم
لله واعلمكم به فان قلت فما وجه قراءة من قرا انما يخشى الله من عباده العلماء وهو
عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة رحمه الله قلت الخشية في هذه القراءة استعارة
والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس ومن بين جميع
عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم
واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى يتلون كتاب الله
يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي اية القراء وعن الكلبي

ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه كذلك انما يخشى الله
من عباده العلماء ان الله عزيز
غفور ان الذين يتلون كتاب

ياخذون بما فيه ويعملون بما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله عليه
السلام ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة
وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها
عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق فان
شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك
من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله
انه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة الكتاب
القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك
عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك
وابصر احوالك فراك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار
على سائر الكتب فان قلت ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان
احدهما انا اوحينا اليك القران ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال
اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من
الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر
الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل
رسل الله وحمل الكتاب الذي هو افضل كتب الله ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو
المرجا لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا واخر سيئا وسابق من السابقين
والوجه الثاني انه قدم ارسال في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤوهم بالبينات
والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه
العاملين بشرايعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي
اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية فان
قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات
المشار اليه بذلك قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب
فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت
عن الاخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا
وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغتر بما رواه عمر رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له
فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب
عليهم ولقد نطق القران بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم
يعلل نفسه بالخدع وقرى سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه فان قلت

الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقنهم
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه
غفور شكور والذي اوحينا اليك من
الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه
ان الله بعباده لخبير بصير ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير

لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت للايذان بكثرة الفاسقين منهم
وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ
جنة عدن على الافراد كانها جنة مختصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول
ويحلون من حليت المراة فهي حال ولؤلؤا معطوفا على محل من اساور ومن داخلة
للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لسائر الابعاض
كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولؤا بتخفيف
الهمزة الاولى وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة
كقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم
وعن ابن عباس رضي الله عنه حزن الاعراض والافات وعنه حزن الموت وعن الضحاك
حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد اكثروا حتى
قال بعضهم كرا الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم
ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم
ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وذكر الشكور
دليل على ان القوم كثير والحسنات المقامة بمعنى الاقامة يقال اقمت مقاما واقامة
ومقامة من فضله من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه
وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق و
التفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه اي يتكلف عملا
يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت
مائت فان قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة
التي تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب
فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال
والفترة فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى
وادخالا له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن
لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى ويجزى كل كفور
بالنون يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة
قال كصرخة حبلى واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث وصوته فان قلت
هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة
غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا اخر غير الصالح الذي عملوه
قلت فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل

جنات عدن يدخلونها يحلون فيها
من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا
دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها
نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها
كذلك نجزي كل كفور
وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل
صالحا غير الذي كنا نعمل اولم

بظهور

بظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة
صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله يعني
فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر يمكن
فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة
وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير
الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فان قلت علام عطف
وجاءكم النذير قلت على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه
معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما
في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث
ذو في نحو قول ابي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله ليغني عني ذا انائك اجمعا
المعنى ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى
الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة
يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم
خلفاءه في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه
بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه
وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة الذي ما بعده خسار والمقت
اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب
للناس وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله عليه السلام اي جعلكم امة خلفت من
قبلها ورات وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره
من مقت الله وخسار الاخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم اروني بدل من ارأيتم لان معنى
ارأيتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة
اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة في خلق
السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان
من ذلك الكتاب او يكون الضمير في اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا
ام اتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع
الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان تزولا كراهة ان
تزولا او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة
حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا ان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا

اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من
نصير ان الله عالم غيب السموات والارض
انه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم
خلائف في الارض فمن كفر فعليه
كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم
عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين
كفرهم الا خسارا ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا
ان امسكهما من احد من بعده انه
كان حليما غفورا قل ارأيتم
شركاءكم الذين تدعون من دونه
اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم
شرك في السموات ام اتيناهم
كتابا فهم على بينة منه
بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما
من احد من بعده انه كان حليما غفورا

سد مسد الجوابين ومن الاولى ابتدائية لتاكيد النفي والثانية للابتدا من بعد من بعد
اشراكه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به
قال كعبا رحمه الله قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب
ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الاية بلغ قريشا قبل مبعث
رسول الله عليه السلام ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى
اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم
فلما بعث رسول الله عليه السلام كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم
ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال
لها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم اسناد مجازي
لانه هو السبب في ان ازدادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان
نفروا استكبارا وعلوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله عليه
السلام والمؤمنين ويجوز ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا فان قلت
ما وجه قوله ومكر السيئ قلت اصله وان مكروا السيئ اي المكر السيئ ثم ومكرا
السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ومعنى
يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ اي يحيق الله ولقد حاق بهم
يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى
يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى
انما بغيكم على انفسكم وعن كعب رحمه الله انه قال لابن عباس رضي الله عنه
قرات في التوراة من حفر مهواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله فقرا الاية
وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيئ باسكان
الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا
او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق وقرا ابن مسعود رضي الله عنه ومكرا سيئا
وهل ينظرون الا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم قبلهم
وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التي هي الانتقام من
مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا محالة
واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم الى الشام
والعراق واليمن من اثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته
بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب
عليها يريد بني ادم وقيل ما ترك بني ادم وغيرهم من سائر الدواب لشؤم ذنوبهم وعن
ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن ادم ثم تلا هذه الاية

وعن انس

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا
استكبارا في الارض ومكر السيئ
ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن
تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد
لسنة الله تحويلا اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم وكانوا
اشد منهم قوة وما كان الله
ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض
انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا ما ترك على
ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل

وعن انس رضي الله عنه ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن ادم وقيل يحبس المطر
فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيمة انه كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء
عن رسول الله عليه السلام من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من
اي باب شئت

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ ياسين بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل كجير
وبالرفع على هذه يس او بالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس
رضي الله عنه معناه يا انسان في لغة طي والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون
اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى قصر واعلى شطره كما قالوا في القسم
م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم
فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان
قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط
مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على
صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من
شريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين
على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصرط المستقيمة
على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القران قوما ما انذر اباؤهم قوما
غير منذر اباؤهم على الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر اباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك
ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار اباؤهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني
لتنذر قوما ما انذره اباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فان قلت
اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على الاول
متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى
الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل
او فهو غافل فان قلت فكيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا في
الاي الاخر قلت لا مناقضة لان الاي في نفي انذارهم لا في نفي انذار ابائهم
واباؤهم القدماء من ولد اسمعيل عليه السلام وكانت النذارة فيهم فان قلت
ففي احد التفسيرين ان اباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع قلت اريد
اباؤهم الادنون دون الاباعد لقد حق القول قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر

الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان
الله كان بعباده بصيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين
على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم
غافلون لقد حق القول على اكثرهم
فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم

ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم فانا جعلنهم كالمغلولين
المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون
رؤسهم نحوه وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في
ان لا تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في ايات الله فان قلت
ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان
ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت
الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه
ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير
فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤسها عن الماء
لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان قلت فما قول من
جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى
جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت ما ذكرت لك والدليل
عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير
للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف
وترك الظاهر الذي يدعو المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج
الى الباطل اللجلج فان قلت فقد قرا ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في
ايمانهم فهل يجوز على هاتين القراءتين ان يجعل الضمير للايدي والايمان
قلت يابى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال
وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس
بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها
وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم
غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل
حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما
رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم
فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره فان قلت
قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر على معنى
ان التحصيل البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان فما قوله انما تنذر على
معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر
وهو القران او الوعظ الخاشعون ربهم نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن
احياؤهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة
وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه او

اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون و
جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر
وخشي الرحمن بالغيب فبشره
بمغفرة واجر كريم انا نحن نحي
الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم

بناء من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او شيء كوظيفة وظفها بعض
الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر
الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله
عز وجل ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر من اثاره وقيل هي اثار المشائين الى
المساجد وعن جابر رضي الله عنه اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله
خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة
بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع
حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب اثاركم قال فما وددنا بحضرة المسجد
لما قال رسول الله عليه السلام ذلك وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله لو كان الله مغفلا
شيئا لاغفل هذه الاثار التي تعفيها الرياح والامام اللوح وقرئ ونكتب ما
قدموا واثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا ومثل لهم
مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على
ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي
اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب
اذ بانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى صلوات
الله عليه الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما
قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس
فسالهما فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان
له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام فامن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما
خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك
والهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى
شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك
فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله
الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعى بغلام مطموس العينين فدعوا
الله حتى انشق له البصر واخذا بندقتين فوضعوهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر
بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون
يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على
احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت

وكل شيء احصيناه في امام مبين
واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها
المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما

في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب
السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن ذاك
شمعون وهذا فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن
قومه ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا فعززنا فقوينا
يقال المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدها ويعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف
من عزه يعزه إذا غلبه أي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون فإن قلت
لم ترك ذكر المفعول به قلت لأن الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه
من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض
جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطروح ونظيره قولك حكم السلطان
اليوم بالحق الغرض المسوق إليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم
عليه إنما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لأن إلا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة
بليس شبه فلا يبقى له عمل فإن قلت لم قيل إنا إليكم مرسلون أولا وإنا إليكم لمرسلون
آخرا قلت لأن الأول ابتداء إخبار والثاني جواب عن إنكار وقوله ربنا يعلم
جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولك شهد الله وعلم الله وإنما حسن منهم هذا
الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا إلا البلاغ المبين أي الظاهر
المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته وإلا فالمدعي والله إني لصادق فيما أدعي
ولم يحضر البينة كان قبيحا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه
نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته
طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا
وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
وعن مشركي مكة وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم
القطر فقالوا ذلك وعن قتادة إن أصابنا شيء كان من أجلكم طائركم معكم وقرئ
طيركم أي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم أو أسباب شؤمكم معكم وهو كفرهم ومعاصيهم
وقرأ الحسن أطيركم أي تطيركم وقرئ أإن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآن
ذكرتم بألف بينهما بمعنى أتطيرون إن ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وأن الناصبة
بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وأن ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم
معكم حيث جرى ذكركم وإذا شئم المكان بذكركم كان بحلول شؤمكم فيه أولى بل أنتم قوم مسرفون
في العصيان ومن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم
متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله رجل يسعى هو حبيب
ابن إسرائيل النجار وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما
ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره

فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون
قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن
من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا
يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ
المبين قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا
طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم
مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى

وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة
فقالوا أوإنك تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطئوه بأرجلهم حتى خرج
قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق أنطاكية فلما
قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب
يس ومؤمن آل فرعون من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب
فيهم أي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير
الدنيا وخير الآخرة ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم
ليتلطف بهم ويداريهم ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد
لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا أعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون
الذي فطركم ألا ترى إلى قوله إليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي
فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال إني آمنت بربكم فاسمعون
يريد فاسمعوا قولي وأطيعون فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه
أن العبادة لا تصح إلا لمن منه مبتدأكم وإليه مرجعكم وما أدفع العقول وأنكرها
لأن يستحبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم
تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم
منه بوجه من الوجوه إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين
لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل
قبل أن يقتل فقال لهم إني آمنت بربكم فاسمعون أي اسمعوا إيماني لتشهدوا لي به وقرئ
إن يردن الرحمن بضر بمعنى إن يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر قيل له
ادخل الجنة وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء
عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها فإن قلت
كيف مخرج هذا القول في علم البيان قلت مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة
عن حاله عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل
قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه
معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد
من قوله عند ذلك الفوز العظيم وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب
مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما
إلى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم
الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي
والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه

قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم
أجرا وهم مهتدون وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه
ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني
إذا لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت
قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين

الاترى كيف يسمي الحين لقبلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين فان قلت ما في قوله بما غفر لي ربي اي الماآت هي قلت المصدرية او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي شئ غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق فان قلت وما معنى قوله وما كنا منزلين قلت معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلاثة الاف من الملائكة منزلين بخمسة الاف من الملائكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مداين قوم لوط بريشة من جناح جبريل عليه السلام وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شئ على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرا ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شئ الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرا ابن مسعود رضي الله عنه الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقى اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم

وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول

احقاء

احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وعلا على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرا يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن رحمه الله كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا رضي الله عنه مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا القراءة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استئناف بيان لكون الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه ياكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشئ الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وقرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والابار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه

الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون

وفيه اثار من كذبني ادم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من
التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل وترك الاعناب
غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من
ثمر المذكور وهو الجنات كما قال روبة فيها خطوط من بياض وبلق كانه في الجلد
تولع البهق فقيل له فقال اردت كان ذلك وذلك ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق
الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت
من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة
والشام مع الضمير الازواج الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ومن ازواج لم
يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق
الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة
بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون
كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهم لم يسمهم وفي الحديث
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلنا
بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظيم قدرته واتساع ملكه
نسلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لجرشانها فاستعير لازالة
الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا
كما تقول اعتمنا وادجينا لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في
اخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب
لسمصاها مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها
ومستقرها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرائي عيوننا وهو المغرب
وقيل مستقرها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو اخر السنة
الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرا
ابن مسعود رضي الله عنه لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر
لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري في ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي يكل الفطن
عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل
مقدور المحيط علما بكل معلوم قرئ والقمر رفعا على الابتدا او عطفا على الليل يريد
ومن اياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير
مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي
ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير
مستو لا تتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص

افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج
كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون واية لهم الليل نسلخ منه
النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري
لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون

وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانوا المستمطرة وهي
السرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع
النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك
الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة
سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو
المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس
وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من
النخلة وقال الزجاج هو فعلول من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون
بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول اذا قدم
دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اول مدة الموصوف بالقدم
الحول ولو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصية عتق منهم
من مضى له حول واكثر وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى
قسم لكل واحد من الليل والنهار واتيتهما قسما من الزمان وضرب لهما معلوما ودبر
امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس ان لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير
على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر
فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل
النهار يعني اية الليل اية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل
الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها
فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق قلت لان الشمس لا تقطع
فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة ان توصف بالادراك
لتباطئ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل
التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما
سبق ذكره ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن
مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله من مثل الفلك
ما يركبون من الابل وهي سفاين البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل
الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم
دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة
في سفينة نوح ومن مثله مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق لا صريخ لهم لا
مغيث لهم او فلا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا لرحمة
الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة لحين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من الموت
ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
ولا الليل سابق النهار وكل في فلك
يسبحون واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك
المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون
الا رحمة منا ومتاعا الى حين واذا قيل

وقرئ الحسن نغرّ فيهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر
وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقايع التي خلت يعني من مثل الوقايع التي ابتليت بها
الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة
الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل
اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض عند كل اية وموعظة كانت الزنادقة منهم يسمعون
المؤمنين يعلقون افعال الله تعالى بمشيته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء
لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا
يقولونه من تعليق الامور بمشية الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم
وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله سبحانه لانهم معطلة لا
لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضي الله عنه كان بمكة زنادقة فاذا امروا
بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا
يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن احق بذلك
نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطونا
ما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال قول الله لهم او
حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين قرئ وهم يخصمون بادغام
التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الاصل
ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها
ببالهم مشتغلين بخصومائهم في متاجرهم ومعاملاتهم وساير ما يتخاصمون فيه
ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم
يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون لا يستطيعون ان يوصوا في شي من امورهم توصية
ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجاهم الصيحة
الصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ
بالفاء ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية قرئ يا ويلتنا
وعن ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى
اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن
هبنا على من الجارة والمصدر هذا مبتدا وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة
يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدا
اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم
النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة

ابن

واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون
وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا
عنها معرضين واذا قيل لهم انفقوا مما
رزقكم الله قال الذين كفروا للذين
امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان
انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون

ابن عباس رضي الله عنه وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون
ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا فان قلت اذا جعلت
ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود
والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها
موصولة قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون
بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه
صدقني سن بكره فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف
طابقه ذلك جوابا قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانباكم به الرسل
الا انه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم
واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث
النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال
والافزاع وهو الذي وعده الله تعالى في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين
الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب
الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير
للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي
شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين
ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ
التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم
وذلك بعد الولة والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية
وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب
وعن ابن عباس رضي الله عنه في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن
كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله تعالى وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار
التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا
يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون
وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما
يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف
وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على انه
حال والظرف مستقر هم يحتمل ان يكون مبتدا وان يكون تاكيدا للضمير في في شغل وفي
فاكهون على ان ازواجهم يشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك
تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرا ابن
مسعود متكئين يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى

ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع
لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس
شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون

واجتمل اذا اشتوى وجمل لنفسه قال لبيد   فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان
يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع علي
ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج
وهو من الدعاء اي ما يدعونه اهل الجنة يأتيهم وسلام بدل مما يدعون كأنه
قال لهم سلام يقال لهم قولا من رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم
ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس رضي الله عنه والملائكة يدخلون عليهم
بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون
سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام
اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ
سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال اي
لهم مرادهم خالصا وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر
المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الاية
يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر
بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض العهد
الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من ادلة العقل وانزل
عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه
لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا
في الياء واعهد بكسر الهاء وجوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب و
بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا هذا اشارة الى ما عهد اليهم
فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه
في قول كثير   لئن كان يهدى برد انيابها العلى   لافقر مني انني لفقير
اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه في والا لم يستقم
معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ
في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الطرق
المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس
عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كأنه قيل اقل احوال الطريق
الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه ما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك
كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول
نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه قرئ جبلا بضمتين وضمة

فسكون

لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام
قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم ايها المجرمون
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني
هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا

وسكون وضمتين وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد
وهذه اللغات في معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة
علي رضي الله عنه جيلا واحد الاجيال يروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد
عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ
يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة
اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق
باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي
والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد
بلام الامر والجزم على ان الله يامر الاعضاء بالكلام والشهادة الطمس تعفية
شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من ان يكون على
حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا
او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو
شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه
الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون
اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم
ان يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره او لو شاء لاعماهم فلو ارادوا
ان يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك ديدنهم لم يستطيعوا او لو شاء
لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا
طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من
سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضربوا به من المقاصد
دون غيرها على مكانتهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام
اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار
ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس رضي الله عنه لمسخناهم
قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة رحمه الله لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم
وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي
ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبل وذلك انا خلقناه على ضعف
في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من
درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه
فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي
في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله
قال عز وجل ثم يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل

كثيرا افلا تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم
توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون
اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا
الصراط فانى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم
على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا
يرجعون ومن نعمره ننكسه في الخلق

ناقلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى
الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل
بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم
على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه وننكسه
من التنكيس والانكاس افلا يعقلون بالياء والتاء كانوا يقولون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروي ان القايل عقبة بن ابي معيط فقيل
وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القران الشعر على معنى ان القران
ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو من الشعر والشعر انما هو كلام موزون
مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعرا عن
معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر
اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذلك كذلك وما ينبغي له وما يصح
له وما ينطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له ولم يتسهل
كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض
وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام
ولكن كان لا يتاتى له فان قلت فقوله انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
قلت ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة
من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات
منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم
وفي محاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع
انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير
عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القران
من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقران مبين يعني ما هو الا ذكر من الله
يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قران كتاب
سماوي يقرا في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه
فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر
القران او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر من نذر به اذا علمه من كان
حيا اي عاقلا متاملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيى
بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتاملون ولا
يتوقع منهم الايمان مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على احداثه
غيرنا وانما قال ذلك لبدايع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو

وعمل

أفلا تعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي
له ان هو الا ذكر وقران مبين لينذر
من كان حيا ويحق القول على الكافرين
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا

وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها
لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها
لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا
املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن
كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال القايل
يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير
ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب
والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم منافع
من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد
فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا والمشارب جمع مشرب وهو
موضع الشرب او الشرب اتخذوا الالهة طمعا في ان يتقووا بهم ويعتضدوا
بمكانهم والامر على عكس ذلك مما قدروا حيث هم جند لالهتهم معدون
محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والالهة لا استطاعة بهم
ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف
ما توهموا حيث هم يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون
وقودا للنار قرئ فلا يحزنك بفتح اليا وضمها من حزنه واحزنه والمعنى فلا
يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم لك وما
يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر
في نفسه صورة حاله وحالهم في الاخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن
فان قلت ما تقول فيمن يقول ان قرا قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلاته
وان اعتقد ما تعطيه من المعنى كفر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون
على حذف لام التعليل وهو كثير في القران والشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا
معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة
لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل والثاني ان يكون
بدلا من قوله كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى
قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله
عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل
ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل
اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته فاتحا او كاسرا على ما عظم فيه الخطب

انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم
ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب
افلا يشكرون واتخذوا من دون الله
الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم
وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون

ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما
بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله فلا
تكونن ظهيرا للكافرين فلا تدع مع الله الها اخر قبح الله عز وجل انكارهم البعث
تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم
وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي
خلقه منه هو اخس شي وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي
هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله مع مهانة اصله ودناءة
اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك
ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في
الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشاه من موات وهو ينكر انشاءه من موات
وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي
ابن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال
لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال
واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده
ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم
ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما
كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه
فصيح كما قال او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين فان قلت
لم سمي قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا قلت لما دل عليه من قصة
عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه
لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشاة الاولى
فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى
بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة
عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم
يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد
بهذه الاية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر
فيها من قبل ان الحياة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر
والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام
في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق
عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شي من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها
وانواعها وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر

الاخضر

اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا
هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي
خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم
قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو
بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس

الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها
الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي المثل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق
المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي
الله عنه ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات
القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر
من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم من قدر على خلق السموات
والارض مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم
يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض
او ان يعيدهم لان المعاد مثل المبتدا وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات
العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق انما امره انما شانه اذا اراد شيئا اذا
دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف
فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول
له كن قلت هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شي من المكونات
وانه بمنزلة المامور المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع فان قلت
فما حقيقة وجهي القراءتين في فيكون قلت اما الرفع فلانها جملة
من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول
له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شي مما يجوز
على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال
الالات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر
العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور
حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من
ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شي هو مالك كل شي والمتصرف
فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شي ومملكة كل شي
وملك كل شي والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي
الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضل يس وقراءتها كيف خصت بذلك
فاذا انه لهذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شي قلبا
وان قلب القران يس من قرا يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من
الاجر كانما قرا القران اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك
الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا

الذي خلق السموات والارض بقادر على
ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شي واليه ترجعون

يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون
عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرئت في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت
روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على
فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا
يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه
السلام ان في القران سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية وهي ماة واحدى وثمانون اية وقيل واثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة
من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة
لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله من الكتب
المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات
والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتاب الله
ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر
الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات ايات الله
والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف
وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها تلك الشواغل كما يحكى عن
علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فان قلت ما حكم الفاء اذا
جاءت عاطفة في الصفات قلت اما ان تدل على ترتب معانيها
في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب
كانه قال الذي صبح فغنم فآب واما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه
كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها
في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة
ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات فان قلت فعلى اي هذه
القوانين الثلاثة هي فيما انت بصدده قلت ان وحدت
الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي
للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف
على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما
ان يكون الفضل للصف ثم الزجر ثم التلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت
بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس تتلو

الذكر

بسم الله الرحمن الرحيم
والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا ان الهكم لواحد

الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال رب
السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والمشارق ثلاثمائة وستون مشرقا
وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا
تغرب في واحد يومين فان قلت فماذا اراد بقوله رب المشرقين ورب
المغربين قلت اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما الدنيا القربى منكم
والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة
ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان
زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب وعلى اضافته الى المفعول اي بان زان الله الكواكب
وحسنها لانها انما زينت السماء بحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة
ابي بكر والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب
بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت
به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب ضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها
المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومساريها وقرئ
على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز نصب
الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل
كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد
الخارج من الطاعة المتملس منها الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى
الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد واصله يتسمعون والتسمع طلب السماع
يقال تسمع فسمع او فلم يسمع وعن ابن عباس رضي الله عنهم يتسمعون ولا
يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فان قلت لا يسمعون
كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة
لكل شيطان او استئنافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا
يسمعون ولا معنى له وكذلك الاستئناف لان سائلا لو سال لم تحفظ من الشياطين
فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي ان يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما
عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان يسمعوا الى كلام الملائكة او
يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف خطفة
واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب فان قلت
هل يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك
ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري احضر

رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا
السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل
شيطان مارد لا يسمعون الى الملإ الاعلى
ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم

قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما
اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان صون القران عن مثل هذا الحذف التعسف
واجب فان قلت اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث
وسمعت حديثه والى حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الادراك
والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك والملا الاعلى الملائكة لانهم يسكنون
السموات والانس والجن هم الملا الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم
عندهم الكتبة من الملائكة وعنه اشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء
من اي جهة صعد للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون للدحور وهو
الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه
قيل يدحرون او قذفا وقرا ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا [illegible]
وعلى انه قد يجي القبول والولوع والواصب الدائم وصب الامر وصوبا بمعنى
انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من العذاب دائم
غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا تسمع الشياطين
الا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف الخطفة بكسر الخاء والطاء مشددة
وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف وقرئ فاتبعه وفاتّبعه
الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل واستفتهم
اي فاستخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت
في ابي الاشد بن كلدة وكنى بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا يريد ما ذكر
من خلائقه الملائكة والسموات والارض والمشارق والمغارب والكواكب والشهب
الثواقب والشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل
عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء
المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه
كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم اهم اشد خلقا
ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرا امن عددنا بالتخفيف
والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه
شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة الاخرى
وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة وما صعب عليه اختراعها كان
خلق البشر عليه اهون وخلقهم من طين لازب اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة
لان ما يصنع من طين غير موصوف بالصلابة والقوة واحتجاج عليهم بان الطين
اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا
ائذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من

خلقنا

عذاب واصب الا من خطف الخطفة
فاتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم
اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم
من طين لازب

خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم ولاتب
والمعنى واحد والثاقب الشديد الاضاءة بل عجبت من قدرة الله على
هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من اثار قدرة
الله او من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث وقرئ بضم التاء
اي بلغ من عظم اياتي وكثرة خلائقي اني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم
وعنادهم يسخرون من اياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله
وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه فان قلت كيف
يجوز التعجب على الله تعالى وانما هو روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء
والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان احدهما ان يجرد
العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث
عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم كان شريح يقرا بالفتح
ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي
ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرا
بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا ودابهم انهم
اذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا راوا اية من ايات الله البينة كانشقاق
القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم من بعض
ان يسخر منها واباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون والذي
جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى ايبعث ايضا اباؤنا على
زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ او اباؤنا
قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم اي الله او الرسول
والمعنى نعم تبعثون وانتم داخرون صاغرون فانما جواب شرط مقدر تقديره
اذا كان ذلك فما هي الا زجرة واحدة وهي لا ترجع الى شيء انما هي مبهمة موضحها
خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من
قولك زجر الراعي الابل والغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه
زجر البعير وهو الساع اذا اشفق ان يختلط بالغنم يريد تصويته بها فاذا هم
احياء بصراء ينظرون يحتمل ان يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة
بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين
من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي
ندان فيه نجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى
والضلالة احشروا خطاب الله للملائكة او خطاب بعضهم مع بعض وازواجهم
وضرباؤهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة اهل

بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا
لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون
وقالوا إن هذا إلا سحر مبين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا
لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون
فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين
ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم

الزنى مع اهل الزنى واهل السرقة مع اهل السرقة وقيل قرناهم من الشياطين
وقيل بنا وهم اللاتي على دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها
هذا الحكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا
متعاضدون بل هم اليوم مستسلمون قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز
فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تناصرون بالادغام اليمين لما كانت اشرف
العضوين وامتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون
ويزاولون اكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشومى كما سموا
اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم
وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها
بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء
وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن
ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتى بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه
فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير وناحيته فصده عنه واضله وجاء في
بعض التفاسير من اتاه الشيطان من جهة اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه
الحق ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من بين يديه
اتاه من قبل التكذيب بالقيمة وبالثواب والعقاب ومن اتاه من خلفه خوفه
الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة فان قلت
قولهم اتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا
عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا
من ذلك ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة
وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن
السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب
الاتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم
الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان
لنا عليكم من سلطان نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان
فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه
لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال
انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم
ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك
ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف
والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية

وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون
بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم
تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان
بل كنتم قوما طاغين فحق علينا
قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم

هنا واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم
فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين
في الغواية انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن
ارتكبه استوجبه انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا عنها وابوا الا
الشرك لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق رد على المشركين
وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ لذائقوا العذاب الاليم
بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا بتقدير التنوين وقرئ على
الاصل لذائقون العذاب الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ
الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع فسر الرزق المعلوم بالفواكه
وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون
عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه
على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب
طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون
هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما
يجب ان يتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم هوان
اهل النار وصغارهم التقابل اتم للسرور وانس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا
بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال
وكاس شربت على لذة وعن الاخفش كل كاس في القران فهي الخمر وكذا في تفسير ابن
عباس رضي الله عنه من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري
على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجري في الجنة في انهار
كما يجري الماء قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء صفة للكاس لذة اما ان توصف
باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي تانيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ
ووزنه فعل كقولك طب قال الشاعر ولذ كطعم الصرخدي تركته
بارض العدى من خشية الحدثان يريد النوم الغول من غاله يغوله غولا اذا
اهلكه وافسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول
الحلم فينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران
نزيف ومنزوف والمعنى لا فيها ما فيها من الخمر من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم ولا هم يسكرون
[illegible] والمعنى المنزوف نزف فلان اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها
اذا لم يبق فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من انزف
الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال لعمري لئن انزفتم او صحوتم
لبئس الندامى انتم آل ابجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته

انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب
مشتركون انا كذلك نفعل
بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم
لا اله الا الله يستكبرون ويقولون
ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء
بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا
العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم
تعملون الا عباد الله المخلصين اولئك
لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون
في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم
بكاس من معين بيضاء
لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها
ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين

كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين

الريح راكب الرجل وكبته وحقيقتها ما دخلا في الفشح والكل وفي قراءة طلحة ابن مصرف
ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من
انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص وصداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم
او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها فافرزه وافرده بالذكر قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا اترابا
والعين النجل العيون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها تشبه العرب
النساء وتسميهن بيضات الخدور فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم
على بعض قلت على قوله يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب
كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا محادثة الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به
ماضيا على عادة الله في اخباره قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين
بتشديد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج
فاستجدى بعض اخوانه فقال وأين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله في الآخرة
خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله
لا اعطيك شيئا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون دانه
ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون
الى النار لأريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار
وقيل القائل الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان
تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع
بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع
بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم
الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من الله عز وجل
فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء
دون جلسائه فكأنهم مطلعون وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون
بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال
تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى
انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى
ينقطع سوائي ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه
ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وفي
قراءة عبد الله لتغوين ونعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام

والبراءة

أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فإنهم لآكلون

والبراءة من قرين السوء وانعام الله بالثواب وكونه من اهل الجنة من المحضرين من
الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك الذي عطفت عليه الفاء محذوف
معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى
ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بانهم ابدا لا يذوقون
الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لبعض
الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله
واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له يزيد به تعذيبا وليحكيه الله
فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز
العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم
وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تمت قصة
المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال أذلك الرزق خير نزلا اي خير
حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير
النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل
شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول اثمر
النخل خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة
الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق ومنه
انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقال للساكن الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق
المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم
ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى
الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم فتنة للظالمين محنة
وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار
شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها في قعر
جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم
من حملها اما استعارة لفظية او معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على
تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس
لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان
كأنه رأس شيطان واذا صوره المصورون جاءوا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله
كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال
الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل
الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن
خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر
رؤوس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا

فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الاخرين

ثالثا يشبه به منها من الشجرة اي من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع
الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا
غلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد مشوبه اي مزاجه من حميم يشوي
وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ
لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر فان قلت
ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله ثم ان مرجعهم قلت
في الاول وجهان احدهما انهم يملؤون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم
فلا يسقون الا بعد مليّ تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب
بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره
وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته
في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي
الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون منها الى ان يتملؤوا ويسقون بعد
ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم
ثم ان مصيرهم ثم ان منقلبهم الى الجحيم علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد
كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع
الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبيه بالرعدة ولقد ضل
قبلهم قبل قومك قريش منذرين انبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين انذروا
وحذروا اي اهلكوا جميعا الا عباد الله الذين امنوا منهم واخلصوا لله دينهم او
اخلصهم الله لدينه على القراءتين لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء
عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة
على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فوالله لنعم المجيبون نحن
والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلها الى مراده
وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون هم الباقين هم الذين
بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده
ونسائهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح
وكان لنوح عليه السلام ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس
والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك وياجوج وماجوج
وتركنا عليه في الاخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون
عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرات سورة انزلناها
فان قلت فما معنى قوله في العالمين قلت معناه الدعاء بثبوت
هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح
وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم علل مجازاة نوح بتلك الكرامة

السنيه

وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين

السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى اخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل
كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات
المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه من شيعته ممن شايعه على
اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة
المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس رضي
الله عنه من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح
وكان بين نوح وابراهيم الفان وستماية واربعون سنة فان قلت
بم تعلق الظرف قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه
على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر
بقلب سليم من جميع افات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه
مطلق فليس بعض الافات اولى من بعض فيتناولها كلها فان قلت ما معنى
المجيء بقلبه ربه قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب
المجيء مثلا لذلك افكا مفعول له تقديره اتريدون الهة من دون الله افكا وانما
قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم
عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا
يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله الهة من دون الله على انها افك في
انفسها ويجوز ان يكون حالا يعني اتريدون الهة من دون الله افكين فما ظنكم
بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى
تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهمه ولا ظن ما يصد
عن عبادته او فما ظنكم اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام اندادا له او فما
ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره في النجوم في علم النجوم او في
كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه
ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في
علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب
الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في
بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل فان قلت كيف جاز
له ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية
وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا
اذا عرض وورى والذي قاله ابراهيم صلوات الله عليه معراض من الكلام وقد
نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومن المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد
فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجاة

فالتفت عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال الاعرابي اصحيح من الموت في عنقه وقيل
اراد اني سقيم النفس لكفرهم فراغ الى الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب
والهتهم اصنامهم التي هي في زعمهم الهة كقوله اين شركاي الا تاكلون ما لكم لا تنطقون
استهزا بها وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال
فضربهم ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم
ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب
ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل
بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم يزفون يسرعون
من زفيف النعام ويزفون من زف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف
اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من
وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه
فان قلت بين هذا وبين قوله قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر هاهنا انهم ادبروا
عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا
به وذكر ثم انهم سالوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو
الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الاخر انهم استدلوا بذمه
على انه الكاسر قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا
اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم
الى بيت الاصنام لياكلوا الطعام الذي وضعوه عندها للتبرك عليه وراوها
مكسورة اشمازوا من ذلك وسالوا من فعل هذا بها لم ينم عليه اولئك النفر نميمة
صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض
الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم
اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فاتوا
به على اعين الناس والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه
من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر الاصنام
فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا معمولا لهم حيث اوقع خلقه
وعملهم عليها جميعا قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل
الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام
جواهر واشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم
وحذفهم بعض اجزائها حتى يستوي التشكل الذي يريدونه فان قلت
فما انكرت ان تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم

فراغ الى الهتهم فقال الا تاكلون
ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين
فاقبلوا عليه يزفون قالوا من فعل
هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا
سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم
قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم
قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم
ان كانوا ينطقون فرجعوا الى
انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون قال اتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون

كما تقول المجبرة قلت اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل
والكتاب ان معنى الاية ياباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز
وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق الخالق
على ان المعبود منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان يصور
نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم تكن محتجا عليهم ولا كان
لكلامك طباق وشيء اخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما
في قوله ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا تعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب
لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القران فان قلت اجعلها
موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم قلت بل الالزامان
في عنقك ولا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في
ارادتك بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا
فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما
فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي
ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار
على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله غلبه عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين
يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه والهمه ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر فابطل
الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه اراد بذهابه الى ربه مهاجرته
الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهديني سيرشدني
الى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي
سيهدين كان الله وعده وقال له ساهديك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناء
على عادة الله معه في هدايته وارشاده واظهر بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو
قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى صلوات الله عليه عسى ربي ان يهديني سواء
السبيل هب لي من الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب
في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا
قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب لابن
عباس رضي الله عنهم حين هناه بولده علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك
في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب وقد انطوت
البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم
من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك
قلما نعت الله عز وجل الانبياء باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله
به ابراهيم في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ان ابراهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت

قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم
فارادوا به كيدا فجعلناهم
الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربي
سيهدين رب هب لي من الصالحين
فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه
السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت
افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله
من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين

بحلمها جميعا فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه فان قلت معه
بم يتعلق قلت لا يخلو ان لا يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف فلا يصح تعلقه
ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم
عليه فبقي ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على
السعي قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم
عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم
يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه
في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جرأه على احتمال تلك
البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم اتي في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا
الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تاويل الرؤيا
كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل
راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح
روّى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي
يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم
راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين
بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف
بنذرك فانظر ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تُري اي ماذا تبصر
من رايك وتبديه وماذا تُرى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي
افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما
امرت به او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما
تؤمر به فان قلت لم شاوره في امر هو حتم من الله سبحانه قلت لم
يشاوره ليرجع الى رايه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت
قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه
فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر
الله قبل نزوله ولان المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد
قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك فان قلت
لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة قلت كما ارى يوسف عليه السلام سجود
ابويه واخوته له في المنام من غير وحي اليه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخول المسجد الحرام في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء عليهم السلام وذلك
لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لان الحال اما حال اليقظة او حال المنام
فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احداهما

سلم

سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم
له فلان منه وحقيقة معناها اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك
معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه
وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر
بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي
بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم
فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه
ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من
استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله تعالى وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء
العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض
ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل
لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية على الياس البلاء المبين الاختبار
البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها
الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي الله عنه هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه
وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسماعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير
وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم
الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلام استشرفوا ضحاياكم
فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابراهيم وروي انه هرب من ابراهيم
عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان
حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر
فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقيت
سنة وحكي في قصة الذبيح لما اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق
بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا
اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينتقص اجري وتراه امي
فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت
شديد واقرا على امي سلامي وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان
يكون اسهل لها فقال ابراهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله
وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لان الله ضرب صفيحة من
نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي رحمتني وادركتك رقة
تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا الكبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش وابراهيم

وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو
البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم
وتركنا عليه في الآخرين كذلك
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

وابنه وانا المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود الى الارض جاء الفرج وقد
استشهد ابو حنيفة بهذه الاية فمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة فان قلت
من كان الذبيح من ولديه قلت اختلف فيه فعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن
عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين رضي الله عنهم اجمعين انه اسماعيل والحجة
فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن
الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بير زمزم نذر لله
لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله
وقالوا افد ابنك بماية من الابل ففداه بماية من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد
ابن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابراهيم
واسمعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم
رب ابراهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني
برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابراهيم قط ولا خيرته بيني وبين شي قط
الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم يياس من
روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال
وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب القرظي انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل
فقال عمر ان هذا لشي ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي
قد اسلم فساله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب
ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسماعيل الى ان احترق
البيت وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين
عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى
البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اخيه
في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه
بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على
الذبح فوفى به لان الله تعالى بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للوعد في يعقوب وعن علي
ابن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعكرمة وعطا وجماعة من التابعين انه
اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابراهيم حين هاجر الى الشام بانه
استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام
المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فان قلت قد اوحى الى ابراهيم صلوات
الله عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا كانه

وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين

يصدقها

يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح قلت قد بذل وسعه وفعل ما يفعل
الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع
الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا
ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت
الدم وليس هذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل
في شي كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه فان قلت الله تعالى
هو المفتدي منه لانه الامر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه قلت
الفادي هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل هو الذي وهب له الكبش
ليفدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء
بهبته فان قلت فاذا كان ما اتى به ابراهيم من البطح وامرار السكين في حكم الذبح
فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل قلت قد علم
بمنع الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله الكبش
ليتم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن
في نفس الكبش بدلا منه فان قلت فاي فايدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد
استغني عنها بقيام ما وجد من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان قلت
الفايدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد
المامور به من كل وجه فان قلت لم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها
من القصص انا كذلك نجزي قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانما
استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية نبيا حال مقدرة كقوله تعالى
ادخلوها خالدين فان قلت فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين
وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين
الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم
المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا
المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه
مدة متطاولة فكيف يجعل صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة
فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم
اسحق قلت هذا سوال دقيق المسلك ضيق المسالك والذي يحل
الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق
نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك
يرجع نظير قوله فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل
الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله

بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحب عن
تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشر الله بمولده ونبوته معًا لان
الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ
وبركنا اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا لقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في
الآخرة لمن الصالحين وقيل وباركنا على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا
انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا
ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق
والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبايع والعناصر
وعلى ان الظالم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء
فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه من الكرب العظيم
من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما
في قوله ونجيناهما وقومهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة
كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوز ان تكون عربية انها تفعلة
من وري الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو الصراط المستقيم صراط اهل
الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وان الياس قرئ
على كسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود وان
ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي
موسى اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان
من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه
اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة
الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام
وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار
اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم ورب
آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا
وقف رفع وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على ان لها
لغات في ادريس والياس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ
على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون
فان قلت فهلا حملت على هذا الياسين على القطع واخواته قلت لو كان
جمعًا لعرف بالالف واللام واما من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس
اضيف اليه الآل مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في
متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها وقرئ يونس بضم النون

وكرها

وباركنا عليه وعلى اسحق ومن
ذريتهما محسن وظالم لنفسه
مبين ولقد مننا على موسى
وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب
العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين
وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما
الصراط المستقيم وتركنا عليهما
في الآخرين سلام على موسى وهرون
انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس
لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون
اتدعون بعلا وتذرون احسن
الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين
فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله
المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام
على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين

وكرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة
يقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن
مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد
ابق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها ابق لم تجر فاقترعوا فخرجت
القرعة على يونس فقال انا الابق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم
داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اي يلوم غيره وهو احق منه باللوم
وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه
مدعي بناء على دعي من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس
وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل
من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير
الصلاة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع
وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله
واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة
لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه
حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي
انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك
طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك عشرون
وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من
بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه
يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء
فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل والعراء المكان الخالي الذي
لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه
كبدن الصبي حين يولد واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق
كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو
الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة
الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بها وكانت
وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى
جزعا فاوحى اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف يدا لكافرون قلت
ما معنى انبتنا عليه شجرة قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت
على الانسان وارسلناه الى مائة الف المراد به ما سبق من ارساله الى قومه

انه من عبادنا المؤمنين وان يونس لمن
المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين وانكم لتمرون
عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون
وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى
الفلك المشحون فساهم فكان من
المدحضين فالتقمه الحوت
وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه
شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم

وهل اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم
وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع
اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون في مراى الناظر
اي اذا راها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى
اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم معطوف على مثله
في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن
وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره بالاستفتاء
عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله تعالى الاناث ولانفسهم
الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم اياهن
بغضا واستنكافهم من ذكرهن وقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها
التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين
جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث
انهم استهانوا باكرم خلق الله عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم
وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل الاناث للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت
حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في كتابه
مرات ودل على فظاعتها في ايات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد
السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض
انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده
جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم
البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما
يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون فان قلت لم قال وهم
شاهدون فخص علم المشاهدة قلت ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل
لهم وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق
الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان
يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس
لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده
والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الجمع والواحد والمذكر والمؤنث تقول هذه
ولدي وهؤلاء ولدي فان قلت اصطفى البنات بقطع الهمزة استفهام على

الى حين فاستفتهم الربك البنات
ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم
شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون
ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات

طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات
قلت جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش
وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار
قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون
فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها بين السلبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم
سلطان اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا
بكتابكم الذي انزل عليكم في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما
كانوا به يشركون وهذه الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد
لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه
احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من
ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر
به مذهبا وجعلوا بينه وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم
بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك
جنسية جامعة له وللملائكة فان قلت لم سمى الملائكة جنة قلت
قالوا الجنس واحد فمن خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم
ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم
بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا
منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفته الاجتنان
والاستتار وهو من صفة الاجرام لا يجوز ولا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه
ذلك ومثاله ان يسوى بين الملك وبين بعض خواصه فيقول الملك اتسوي
بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه والضمير في انهم
في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة
انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد
المبالغة في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله
صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن
اشركوا الجن في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجن بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون
لهم والمعنى ان الشياطين عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين
له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع
من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء
وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك
ولكن المخلصين براء من ان يصفوه به والضمير في عليه لله عز وجل ومعناه

تذكرون
على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون
ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم
ان كنتم صادقين وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت
الجنة انهم لمحضرون سبحان الله
عما يصفون الا عباد الله المخلصين

فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق
في علمه انهم لسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها فان قلت كيف يفتنونهم
على الله قلت معناه يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك
فتن فلان على فلان امراته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان تكون
الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فان كل رجل وضيعته
جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد
الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اي فانكم قرناؤهم
واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين
بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم او يكون
من اسلوب قوله فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم وقرا الحسن
صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه
لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف فان قلت كيف استقام الجمع مع قوله من هو
قلت من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه
كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في اية واحدة والثاني ان يكون اصله
صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث ان
تحذف لام صال تخفيفا ويجري الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت
به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين
دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين وما منا احد الا له مقام معلوم
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي
كان من ارمى البشر مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه
لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه لنحن الصافون
نصف اقدامنا في الصلوة واجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف
اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا
في الصلوة منذ نزلت هذه الاية فليس يصطف احد من الملل في صلاتهم الا المسلمون
المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان
الله عما يصفون من قول الملائكة حتى تتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت
الجنة كانه قيل ولقد علمت الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم
في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله
المخلصين وبراوهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون
ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفره
لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم اصحاب النار

ومن

فانكم وما تعبدون ما انتم عليه
بفاتنين الا من هو صال الجحيم
وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن
الصافون وانا لنحن المسبحون وان
كانوا ليقولون

ومن اهلها وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة
وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه
ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا في طاعته
ولعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد
لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين
احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم هم الذين يصطفون في الصلوة و
يسبحون الله وينزهونه مما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه هم مشركو
قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم
التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة لله وما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا
فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب
فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم
وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم
كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اولهم واخرهم الكلمة قوله
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة
لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد
الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم
عليهم في الاخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم
في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم
في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين
رضي الله عنهم مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب
نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة
وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن
عباس رضي الله عنه ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة وفي قراءة ابن مسعود
على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغمض على
اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى
يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة وابصرهم وما يقضى عليهم من
الاسر والقتل والعذاب في الاخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد
والثواب العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة
على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كانها قدام ناظريك وفي ذلك
تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل

لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا
عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف
يعلمون ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون فتول
عنهم حتى حين وابصرهم فسوف
يبصرون

مثل العذاب النازل بهم بعد ما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض
نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم
حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم
ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر وما فصحت هذه
الاية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك
الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرا ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم
على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى
فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا والاف
ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
بمكة وعن انس رضي الله عنه لما اتى رسول الله خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم
ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس رجعوا الى حصنهم فقال عليه السلام الله اكبر
خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وانما ثنى وتول عنهم
ليكون تسلية على تسلية وتاكيدا لرجوع الميعاد الى تاكيد وفيه فائدة زائدة وهي
اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر
من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اراد باحدهما عذاب الدنيا وبالاخرى عذاب
الاخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق
لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو
ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا
اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة
عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين
والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا
ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرانه المجيد
وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن
اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى اخر السورة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا الصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان
مؤمنا بالمرسلين سورة ص مكية وهي ست وثمانون
وقيل ثمان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم
صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين
ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب
او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف

افعذابنا يستعجلون فاذا نزل
بساحتهم فساء صباح المنذرين
وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف
يبصرون سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين
بسم الله الرحمن الرحيم
ص والقران ذي الذكر

للتعريف والتانيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قراها صاد بالجر على تاويل
الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة
ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة
ومعناه عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت
قوله صاد والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متنافر
غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد
ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول
الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقران
ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون صاد خبر مبتدا محذوف على انها اسم
للسورة كانه قال هذه صاد يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقران ذي الذكر
كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم
بها كانه قال اقسمت بصاد والقران ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا
في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله
واذا جعلتها مقسما بها والقران ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقران التنزيل كله
وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقران ذي الذكر
كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر
الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة
او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد
والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة
اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا وعيد لذوي العزة
والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي
لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتاكيد وتغير
بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها اما الاسم
واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش
انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بالاحيان وحين مناص منصوب
بها كانه قال ولا حين مناص لهم وعنهما انه ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين
مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات
الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا
لهم وقرئ حين بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات اوان
فاجبنا ان لات حين بقاء فان قلت ما وجه الكسر في اوان قلت
شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين

بل الذين كفروا في عزة وشقاق
كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا
ولات حين مناص وعجبوا ان جاءهم

لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قايم
قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من
حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني
الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير
فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما يقف على الفعل
الذي تتصل به تاء التانيث واما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء
المونثة واما قول ابي عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان
التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن
قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص
قال حارثة بن بزيد غمر الجراء اذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري
المسحل منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا
للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون
في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا
اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد
وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته
وروي ان اسلام عمر رضي الله عنه فرح به المومنون فرحا شديدا وشق على قريش
وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا
انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في
الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله وقال
يا ابن اخي هولاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله
عليه وسلم ماذا تسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك
فقال عليه السلام ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله
الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في
العجب وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم
وكرام وكرّام وقوله اجعل الالهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا في ان معناه الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كانه
قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال وانطلق الملأ اشراف قريش يريد
وانطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله بالجواب العتيد قائلين
بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد ان هذا الامر لشيء يراد
اي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه

منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر
كذاب اجعل الالهة الها واحدا
ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ
منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم
ان هذا لشيء يراد

الا

الا الصبر عليه او ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه
او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليوخذ منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان
المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم
فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في
القول وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها
ومنه الماشية للتفول كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على الهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها
حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير ان على اضمار القول
وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون ان اصبروا في الملة الاخرة في ملة عيسى
التي هي اخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او في ملة قريش
التي ادركنا عليها اباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الاخرة على ان يجعل في
الملة الاخرة حالا من هذا ولا يعلقه بما سمعنا كما في الوجه الاول والمعنى انا لم نسمع
من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الاخرة توحيد الله ما هذا الا
اختلاق اي افتعال وكذب انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم
وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف
النبوة من بينهم بل هم في شك من القران يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا
الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا
عذاب بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني انهم
لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن
رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن
شاءوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد صلى الله عليه وسلم وانما
الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب
بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة
ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض حتى
يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم
بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة
وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا
يحق له فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش
حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون
ويستصوبون ثم خساهم خساة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من

ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا
الا اختلاق ءانزل عليه الذكر من
بيننا بل هم في شك من ذكري
بل لما يذوقوا عذاب ام عندهم
خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
ام لهم ملك السموات والارض
وما بينهما فليرتقوا في الاسباب
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب

كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وفرعون ذو الاوتاد وثمود واخوان
لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب
ان كل الا كذب الرسل
فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة
واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا
عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر
على ما يقولون

الاحزاب ـــ ماهم الا حد من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب
فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما
في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة
الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب
لامر لست هنالك ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده
قال والبيت لا يبتني الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات
العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد
قيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب
فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض
ليرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين
يديه اولئك قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم
منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية
على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب
كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب
وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا
وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة
عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان
اعاقبهم حق عقابهم هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب
لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله والصيحة النفخة ما لها من فواق
وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي
الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستاخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى اذا جاء اجلهم
لا يستاخرون ساعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من
افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد
انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد القط القسط من الشيء لانه قطعة
من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد
فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله
تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين
الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها
قلت ـــ كيف تطابق قوله اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في قلوبهم
بذكر قصة داود وهو انه نبي من انبياء الله تعالى قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك
لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق

التقبيل

اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي و
الاشراق والطير محشورة كل
له اواب

التقبيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه واستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من
بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه لا يزال يجدد الندم عليها
فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون
وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك
داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتنظيمه
ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان
على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم
نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد وايادكل شيء ما يتقوى به اواب
رجاع الى مرضاة الله تعالى فان قلت ما دلك على ان الايد القوة في الدين قلت
قوله تعالى انه اواب لانه تعليل لذي الايد والاشراق ووقت الاشراق وهو حين
تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها
تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة
الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القران
قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت
صلاة يصليها داود عليه الصلوة والسلام وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه
الاية وعنه لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الاية
يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب
انه قال لابن عباس اني لا اجد في كتب الله عز وجل صلوة بعد طلوع الشمس فقال
انا اوجدك ذلك في كتاب الله يعني هذه الاية ويحتمل ان يكون من اشرق
القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول
اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن
في معنى مسبحات على الحال فان قلت هل فرق بين يسبحن ومسبحات
قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث
التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر
تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق
ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم
يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به
اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من
حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها
جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا سبح جاوبته

الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير
محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل
تسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع
رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب
الكثير الرجوع الى الله تعالى وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم
تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله عز وعلا اي كل من داود والجبال والطير
لله اواب مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قال الله تعالى سنشد
عضدك وقرئ وشددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف
مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان
رجلا ادعى عنده على اخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل
المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله
ياخذني بهذا الذنب ولكني باني قتلت اباه هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب
احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه الحكمة الزبور وعلم الشرايع وقيل كل كلام
وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل
بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس
المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب
البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على
المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم
وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه
والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور
واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد
والحق والباطل والصواب والخطا وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك
والمشورات وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وهو قوله البينة على المدعي واليمين
على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو
قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا
اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز
ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في
صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر كان اهل زمان
داود عليه السلام يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته
وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها فاتفق ان عين داود وقع بصره

وسلم

وسلم وقعت على امراة رجل يقال له اوريا فاحبها فساله النزول له عنها فاستحيى
ان يرده ففعل وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فتزوجها
وهي ام سليمان صلوات الله عليه فقيل له انك على عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك
وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة
النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت
به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود عليه السلام فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب
على خطبة اخيه المومن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة ابائه ابرهيم
واسحق ويعقوب فقال يا رب ان ابائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا
بلايا فصبروا عليها قد ابتلي ابراهيم بنمروذ وذبح ولده واسحق بذبحه ويعقوب بذهاب بصره
وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسال الابتلاء فاوحى اليه انك لمبتلى
في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا
الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير
فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت
شعرها فغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا
وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم
على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على
يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن
على الشهداء وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين
بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وعن سعيد ابن المسيب
والحارث الاعور ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود
على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء صلوات
الله عليهم وروي انه حدث بذلك عمر ابن عبد العزيز رحمه الله وعنده رجل من اهل
الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس
خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا
على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت
عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام ليس
الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب فان قلت لم جاءت على طريقة
التمثيل والتعريض دون التصريح قلت لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل
اذا اداه الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا
فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطا فيه من ان يبادره به
صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا

في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح
وان يحكي له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب الحكاية
فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا
لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين
الوالد والولد من حجاب الحشمة فان قلت فلم كان ذلك على وجه التحاكم
اليه قلت ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه وهل اتاك نبؤ الخصم ظاهره
الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا
تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع
كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله
تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا فان قلت هذا جمع وقوله خصمان
تثنية فكيف استقام ذلك قلت معنى خصمان فريقان خصمان
والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى
هذان خصمان اختصموا فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل
على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بغى بعضنا على بعض
فان قلت فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان قلت معناه
ان التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما اخرون فان قلت
فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم
وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت
التسمية به فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب
باتاك او بالنبإ او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبا
رسول الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبإ لان النبأ الواقع
في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله وان اردت بالنبإ القصة في نفسها
لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم
ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من
الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع
ونظيره في الاسد ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته
روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه
فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما
بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه
السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال

وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم

خواص

خواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤوه في غير يوم القضاء ففزع
منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل
عليه خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان ولا تشطط ولا تجر وقرئ ولا تشطط
اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة
الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه اخي
بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة
والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي
بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا
من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني
اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال الشاعر
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم
اقدر ان اورد عليه ما ارده به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت
المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها
دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرأ ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي
طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على ظلت ومست فان قلت
ما معنى ذكر النعاج قلت كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان
التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا والتنبيه على انه امر يستحيا من كشفه فيكنى عنه
كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته
ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصته اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة و
لخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده على
الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه
قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر
النعجة فان قلت انما تستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان
فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم تستقم قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل
النعجة استعارة عن المراة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له
فرميت غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا
ولا ان يجعل الخلطاء بمعناه الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لحاله وقصته فان
قلت الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا به
بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم قلت هو تصوير للمسألة وفرض لها
فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له
اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب

قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض

الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم

وما الزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولاخي اربعون
فخلطناها وما لك من الاربعين اربعة ولا ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود
ولي نعجة انثى قلت يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة
في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وازيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم
لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشي رويدا
تكاد تنغرف لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين
لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى
الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال
والطلب فان قلت كيف سارع الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل
استماع كلامه قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك
في القرآن لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل نعاجي مائة
فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة
فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا فعلت كيت وكيت ثم نظر فلم
ير احدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط
وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان
خليطين في ماشية لهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما
ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحول مختلطة فهما يزكيان
زكاة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة
وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كان لواحد وعند ابي حنيفة رحمه الله
عليه لا يعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين
لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه فان قلت فهذه
الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اجزاء
من مائة جزء من الشاة عند الشافعي وعند ابي حنيفة لا شيء عليه فان قلت
ماذا اراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب
في ايثار عادة الخلطاء والصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء
الذي عليه اكثرهم مع التأسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه
وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها
كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء
منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان اردت
ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره
هل بقي له معنى قط لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومنه

وايقن

وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب فغفرنا له
ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن
مآب يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل
الله ان الذين يضلون عن سبيل
الله لهم عذاب شديد بما
نسوا يوم الحساب وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا

وايقن انما فتناه انا ابتليناه لا محالة بامراة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه
بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالامس افتنت وفتناه
وفتناه على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع
كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله في سجدة التلاوة على ان
الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز
ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى
وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلاة واناب ورجع
الى الله بالتوبة والتنصل روي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه
الا لصلاة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه
ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك
واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى
نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه
نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت
الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا
وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والآخر معسرا ما له الا امراة واحدة فاستنزله
عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان
ذنب داود الا انه صدق احدهما على الآخر وظلمه قبل مسألته خليفة في الارض
اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض
البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة
من كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة
بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ
كنت خليفته ولا تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب
الدين والدنيا فيضلك الهوى اي فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن
دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها ويوم الحساب
متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم عذاب يوم القيامة بسبب
نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن
عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري
عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء
ثم تلا هذه الآية باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين
كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره
ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة



اي ماخلقناهما ومابينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله تعالى خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبثا وباطلا جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من راسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل لتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتامل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكبير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرا هذا القران عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرات القران كما اسقطت منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى للقران عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الورعة لا اكثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا بالتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب والصافن الذي في قوله الف الصفون قيل كانه مما يقوم على الثلاث كثيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم الناس له صفوفا فليتبوا مقعده من النار اي واقفا كما يخدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمان صلوات الله عليه غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة

وقيل

ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني

فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق

وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعدما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرايته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسال رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله فقال الرجل اردت الخيل فقال بلال وانا اردت الخير والتواري في الحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او المخبات بحجابها والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للضمر من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه فطفق مسحا جعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها وقرئ بالسؤق بهمز الواو وضمها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت الشمس واما من قرا بالسؤوق فقد جعل الضمة في السين كانها في الواو للتلاصق ونظيره ساق وسؤوق اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس قيل فتن سليمان عليه السلام بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان القي

على كرسيه ميتا فنبه على خطيئته بانه لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة
كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله فطاف عليهن فلم
تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا
في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا باس
به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام
فالله اعلم بصحته حكي ان سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة
في بعض الجزائر وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله
الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة
من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها
حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو
اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمان بذلك
فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا
الى الله متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة
وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان
صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه
صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت
عليه الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته
وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا
سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل
يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر
اصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال اصف نساء سليمان فقلن ما
يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن
ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر وابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان
فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة
لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر
وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له اصف انك لمفتون
بذنبك والخاتم لا يستقر في يدك فتب الى الله ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله
وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط
الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن
قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل

واما

واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان ياذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه
وقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا اناب عن افادة معنى انابة الشيطان
منابه نوعا ظاهرا قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء
والصالحين في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا
يكون ومعنى من بعدي دوني فان قلت اما يشبه الحسد والحرص على
الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره قلت كان سليمان
عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه
معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة
حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وان يكون معجزة
حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان
ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه
ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم غيري فيه مقامي ويجوز ان يقال
علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع
باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه
بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر
عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك
الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما
كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له
انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
وهذا من جراته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه
شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر
منكم قرئ الريح والرياح رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه
حيث اصاب حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطا
الجواب وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما
فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين
عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين واخرين عطف على كل داخل في حكم
البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شا من الابنية ويغوصون له
فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين
بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد وعن السدي انه
كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لانه

ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب
لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
انك انت الوهاب فسخرنا له الريح
تجري بامره رخاء حيث اصاب و
الشياطين كل بناء وغواص
واخرين مقرنين في الاصفاد

ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقول القائل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقول حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفي قراءة ابن العملين فقد رايت صفته تيه واصفه اعطاه كرعة واو على اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك ايوب عطف بيان وابدل اشتمال منه اني مسني بانى مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي وطره من اتعابهم وتعذيبهم ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا ونكبه واهلكه وقد تكرر في القران انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله تعالى به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله تعالى في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى عليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية لما اجيب به ايوب عليه السلام اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير

هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن ماب واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى

اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امراته مائة اذا برئ فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتي بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطات عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برئ فعرضت له بذلك وقيل سالته ان يقرب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه قلت الشكوى الى الله عز وعلا لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب عليه الصلاة والسلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجا الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم اكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبدنا ومن قرا عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس رضي الله عنه واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق ولما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا تتاتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولي الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الاخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله

لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا

ولامن المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع كونهم متمكنين
منها وقرئ اولوا الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود اولي الايد على طرح الياء
والاكتفا بالكسرة وتفسيره بالايد من التاييد قلق غير متمكن واخلصناهم جعلناهم
لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى
الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خالص
من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى
ذكرى الدار ذكرهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها
وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء
الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم فان قلت ما معنى اخلصناهم
بخالصة قلت معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او
اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ
بخالصتهم المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير
على التخفيف كاموات في جمع ميت او ميت كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع
كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع والتنوين في وكل عوض من المضاف
اليه معناه وكلهم من الاخيار هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى
ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر
على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين
كما يقول الجاحظ في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل
من كتابه واراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم
ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل هذا
شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات
عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب وانتصابها
على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى
الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب
كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع
على ان جنات عدن مبتدا ومفتحة خبر او كلاهما خبر مبتدا محذوف اي هو جنات
عدن هي مفتحة لهم كان اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد وانما
جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن
كاسنانهم قرئ يوعدون بالتاء والياء ليوم الحساب لاجل يوم الحساب كما تقول هذا
ما تدخرونه ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا اي هذا الامر هذا او هذا كما ذكر
فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد

من المصطفين الاخيار واذكر
اسماعيل واليسع وذا الكفل
وكل من الاخيار هذا ذكر
وان للمتقين لحسن مآب جنات
عدن مفتحة لهم الابواب متكئين
فيها يدعون فيها بفاكهة
كثيرة وشراب وعندهم
قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون
ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له
من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب
جهنم يصلونها فبئس المهاد

الذي

الذي يفترشه النائم اي هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه
ثم ابتدا فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة فاياي فارهبون
اي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد
اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق
يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه
قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله
ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله فلا تعلم نفس واخفوا معصية
فاخفى لهم عقوبة وآخر ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة
والفظاعة ازواج اجناس وقرئ وأخر اي وعذاب اخر ومذوقات اخر وازواج صفة
لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله
وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم
هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب
الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي
يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون
معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اي
اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا اي رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء
بهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه
قوله عز وجل كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة
لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار من كلام الرؤساء وقيل
هذا كله كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي
دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب
او لصليهم فان قلت ما معنى تقديمهم العذاب لهم قلت المقدم
هو عمل السوء قال تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء
لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا
فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين
هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه فان قلت
فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم
والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له قلت كانه قيل
هذا الذي دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا و
تسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما يزين قوم لقوم بعض المساوي فيرتكبوه
فيقال للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فيقال المزين لهم للمزينين بل

هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر
من شكله ازواج هذا فوج مقتحم
معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار
قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه
لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم

انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الاتباع ايضا فزده عذابا
ضعفا اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا
فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى
ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي و
قالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الاشرار
من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم وكانوا عندهم
اشرارا اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم
من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم
وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا
اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم
فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه
خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون
ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم
وتحقيرهم فان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا
على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم
محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام
كقولك انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة
فيمن قرا بغير همزة لان ام تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها
وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما والرجال
عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر ان ذلك
الذي حكينا عنهم لحق لا بد من ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم
اهل النار وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء
الاجناس فان قلت لم سمي ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما
يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول
الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي
التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا رسول
منذر انذركم عذاب الله للمشركين واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان يعتقد
ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وان الملك والربوبية
له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك
الغفار لذنوب من التجا اليه او قل لهم ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانا انذركم
عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى

لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار

قل

قل هو نبأ عظيم اي هذا الذي انبأتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله
واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم احتج
لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملإ الاعلى واختصامهم امر ما كان له به علم
قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو
الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله
سبحانه ان يوحى الي الا انما انا نذير اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا
للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على معنى ما
يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده
وليس لي غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول
لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم صلوات
الله عليه والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم
القيامة فان قلت بم يتعلق اذ يختصمون قلت بمحذوف لان المعنى ما كان
لي من علم بكلام الملإ الاعلى وقت اختصامهم واذ قال بدل من اذ يختصمون فان
قلت ما المراد بالملإ الاعلى قلت اصحاب القصة الملائكة وآدم
وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم فان قلت ما كان التقاول
بينهم انما كان بين الله وبينهم لان الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له
فانت بين امرين اما ان تقول الملأ الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم فلم يكن
التقاول بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملإ
الاعلى قلت كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول
في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس
وهم الملأ الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق فان قلت كيف
صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت
وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين
حكاه اقتصر على الاسم فاذا سويته فاذا اتممت خلقته وعدلته ونفخت فيه
من روحي واحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا له فخروا كل للاحاطة واجمعون
للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الا سجد وانهم
سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات فان قلت كيف
ساغ السجود لغير الله تعالى قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله
سبحانه على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا
ان يعلم الله تعالى فيه مفسدة فينهى عنه فان قلت كيف استثنى ابليس من
الملائكة وهو من الجن قلت قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد

قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم

الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وكان من الكافرين اريد وجود
كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كما قال وكان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح
لايها شئت ويجوز ان يراد وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله عز وعلا
فان قلت ما وجه قوله خلقت بيدي قلت قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر
اكثر اعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل
في عمل القلب هو مما عملت يداك ومنه قوله مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي
فان قلت ما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي قلت الوجه
الذي استنكر له ابليس السجود لادم عليه السلام واستنكف منه انه سجود
لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان ادم
مخلوق من طين وهو مخلوق من نار وراى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد
لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه ان الله سبحانه حين امر به اعز عباده
عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم عن التواضع
للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله وجعلوه
قدام اعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم
واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بان يقتدي بهم ويقتفي اثرهم
ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله اوغل في عبادته منهم في السجود له لما
فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما
منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا
لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة
التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله به يعني
كان عليك ان تعتبر امر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يامر الملك وزيره ان
يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع
لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه
وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة ان يسجدوا له
لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت
حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما
خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على
التوحيد من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال
انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة
التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار
هذا على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي

فكيف

اجمعين الا ابليس استكبر وكان
من الكافرين قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت
ام كنت من العالين

فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت
الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان من
المعطوف عليه في البيان والايضاح منها من الجنة وقيل من السموات وقيل من
الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان
ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا والرجيم المرجوم ومعناه
المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم
الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب فان قلت قوله لعنتي الى يوم الدين
كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع قلت كيف تنقطع وقد قال
الله سبحانه وتعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى
ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة
فكانها انقطعت فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم قلت
الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى
المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر فبعزتك اقسام
بعزة الله جل وعلا وهي سلطانه وقهره قرئ فالحق والحق منصوبين على ان
الاول مقسم به كالله في قوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان والحق
اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق
اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل
عظمه الله تعالى باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدا محذوف الخبر كقوله
لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقول اي اقوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين على
ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول
الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في
المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب
الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم
من ذرية آدم فان قلت اجمعين تاكيد لماذا قلت لا يخلو اما ان يؤكد به الضمير
في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين بعيان
اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين وممن تبعك من جميع الناس لا
تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم
عليه من اجر الضمير للقرآن او الوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون
ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي
حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي اليه فانا
ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى

قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين قال فاخرج منها فانك رجيم
وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال
فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين قال فالحق والحق
اقول لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين قل لا اسئلكم
عليه اجرا وما انا من المتكلفين
ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن
نباه بعد حين

ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نبأه اي ما ياتيكم عند الموت او يوم القيامة
او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه هو الحق والصدق وفيه تهديد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله
لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون وقيل ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب قرئ
بالرفع على انه مبتدا اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل
كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو
على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله
او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرا والزم فان
قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القران
وعلى الثاني انه السورة مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد
وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام
كقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص
والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم
شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدا وخبرا فقد جاء
باعراب رجع بالكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص الا لله الدين
الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر
لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار
المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن
الاسلام والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة
وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الاول راجع
الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين
محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع
الرفع على الابتداء فان قلت فالخبر ما هو قلت هو على الاول اما ان الله
يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم
فان قلت فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر قلت
يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا
يكون له محل من الاعراب كما ان المبدل منه كذلك وقرا ابن مسعود رضي الله عنه
باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي رضي الله عنه ما نعبدكم الا لتقربونا

بسم الله الرحمن الرحيم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا
له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا
من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم يوم القيمة

على الخطاب حكاية لما خاطبوا به الهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين
كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم
والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع
الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها
حصب جهنم واختلافهم ان الذين تعبدون موحدون وهم مشركون واولئك يباعدونهم
ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا
لهم من خلق السموات اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين
والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين المراد بمنع الهداية
منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ
كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله
ولذلك عقب محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفي من خلقه
بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فما
فتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم وبحقيقته المخالفة
لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء
من شاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم
اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين مبالغين
في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن ان
يكون له احد مما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو
انه واحد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه
ولا جنس له واذا لم يتات ان تكون له صاحبة لم يتات ان يكون له ولد وهو معنى
قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقوله قهار لكل شيء من الاشياء
الهتهم وغيرهم يغلبهم فكيف يكونون له اولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض
وتكوير كل واحد من الملوين على الاخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث
الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك
قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها وفيه
اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا
غشيه فكانه لفه عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول
ذي الرمة في وصف السراب تلوي الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء بابواب
التفاريج ومنها ان كل واحد منهما يغيب الاخر اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه

ما اتخذ ولدا سبحانه هو الله الواحد القهار خلق
السموات والارض بالحق يكور الليل على
النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
سبحانه هو الله الواحد القهار
كاذب كفار
من هو
يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي

بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها انه هذا يكر على هذا كرورا
متتابعا فشبه تتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار
الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي
يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى
الحلم عنهم مغفرة فان قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من
معنى التراخي قلت هما ايتان من جملة الايات التي عددها دالا على
وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس ادم وخلق حوا من
قصيراه الا ان احداهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم
يخلق انثى غير حوا من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها اية واجلب لعجب
السامع فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية
وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من
التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت
ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق من بعد ذلك
حوا وانزل لكم وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السما
حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم
الا بالما وقد انزل الما فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج
ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه اخر فاذا انفرد
فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى خلقا من بعد
خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ
من بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل
الصلب والرحم والبطن ذلكم الله هذه افعاله هو الله ربكم فانى تصرفون
فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره فان الله غني عنكم عن ايمانكم
وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى
لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اي يرضى
الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا
لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة
ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى بعبادة الكفر
فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد
الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الها بوصل وبغير وصل
وبسكونها خوله اعطاه قال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول

وفي

ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم
خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم
الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان تكفروا
فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان
تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر
اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون
انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان
ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه

وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال
اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر
وفي معناه قول العرب ان الغني طويل الذيل مياس ما كان يدعو اليه اي نسي الضر
الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل وما
بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى وقرئ ليضل بفتح اليا وضمها بمعنى ان
نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله والنتيجة قد تكون
غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية
كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر
به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في
الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل
ثم ماواهم جهنم قرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من
وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدا خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره
وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل امن هو
كافر او هذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب
عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام افضل الصلوة طول القنوت وهو القيام
فيها وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعا المصلي قائما ساجدا وقائما حال وقرئ
ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ يحذر عذاب
الاخرة واراد بالذين لا يعلمون العاملين من علما الديانة كانه جعل من لا يعمل
غير عامل وفيه ازدرا عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون بها
ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلما ويجوز ان
يرد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي
القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة
المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن
وانما الرجا قوله وتلا هذه الاية وقرئ انما يذكر بالادغام في هذه الدنيا متعلق
باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الاخرة وهي دخول
الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة
بالصحة والعافية فان قلت اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى
تعلقه بحسنة ولا يصح ان تقع صفة لها لتقدمه قلت هو صفة لها
اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق

نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله
اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك
قليلا انك من اصحاب النار امن هو قانت
اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر
اولوا الالباب قل يا عباد الذين امنوا اتقوا
ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة وارض الله واسعة انما يوفى

وصفا ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان
اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف هممهم
اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر
واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا
الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فامروا بالمهاجرة
عنه كقوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي للذين كانوا
في بلد المشركين فامروا بها ارض الجنة والصابرون الذين صبروا على مفارقة
اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة
الله وازدياد الخير بغير حساب اي لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير
ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يهتدي
اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين
يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة
فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى
باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا
قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية
في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل
قل اني امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم
وسابقهم في الدنيا والاخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص
كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت
ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به
ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه
ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت
لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من
ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الاصل
الذي هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان اكون
من المسلمين وامرت ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه
اوجه اولها ان اكون اول من اسلم في زمانه ومن قومه لانه اول من خالف دين
ابائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما
وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي
جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يامرون بما لا يفعلون وان افعل ما
استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني ان

الصابرون اجرهم بغير حساب قل اني
امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت
لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان
عصيت ربي عذاب يوم عظيم

الله

الله امرني ان اخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليل العقل والوحي
فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم وذلك
حين دعوه الى دين ابائه فان قلت ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني قلت ليس بتكرير
لان الاول اخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثاني اخبار
بانه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم
المعبود على فعل العبادة واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده
وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه
والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت
فيه القول مرتين قل ان الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين
خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع
بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في
الجنة يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو امنوا ولقد وصف خسرانهم
بغاية الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استانف الجملة وصدرها
بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين
ومن تحتهم اطباق من النار هي ظلل لاخرين ذلك العذاب الذي يتوعد الله به
عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب
سخطي وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي الطاغوت
فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين
اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر
كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت
الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هاهنا
الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال لهم البشرى
هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الله عز
وجل يبشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور
الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات واراد بعباده الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا
مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا
نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران

قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا
ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين
خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك
هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده
يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت
ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى
فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك
هم اولوا الالباب

واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حرصا على ما هو اقرب عند
الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختاروا اثبتها على السبك واقواها
عند السبر وابينها دليلا او امارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل ولا
تكن مثل عير قيد فانقاد يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون
القرآن وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار
والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله عنه هو الرجل يجلس مع القوم
فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن
الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء وخبره
اولئك اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ جملة شرطية دخل عليها
همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل
عليه الخطاب تقديره أانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب افانت تنقذه والهمزة
الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع
الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو ان تكون الآية جملتين
افمن حق عليه العذاب افانت تخلصه افانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف
فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا
منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله وكده نفسه في دعائهم الى الايمان
منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ يفيد ان الله تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ
من النار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار من
النار لا تقدر ان تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه غرف من
فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض فان قلت ما معنى قوله مبنية قلت
معناه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها تجري من
تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله
مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك انزل من السماء ماء هو المطر
وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه
ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد مختلفا الوانه
هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من بر وشعير
وسمسم وغيرها يهيج يتم جفافه عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور
عن منابته ويذهب حطاما فتاتا ودرينا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على
انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز
ان يكون مثالا للدنيا كقوله انما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا وقرئ

مصفارا

افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب

مصفارا افمن عرف الله انه من اهل اللطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب
فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر
قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول
الموت وهو نظير قوله امن هو قانت في حذف الخبر من ذكر الله من اجل ذكره
اي اذا ذكر الله عندهم او آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله فان قلت ما الفرق بين من وعن في هذا
قلت اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل
الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه
ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا رواه حتى ابعده
عن العطش عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه
تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله
وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز
مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا
منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه
في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب
الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتاليفه في الاعجاز والتبكيت
ويجوز ان يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة
والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء
في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى
مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى فارجع البصر كرتين
بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك فان قلت كيف وصف
الواحد بالجمع قلت انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل
الشيء هي جملته لا غير الا ترى انك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات
وكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عروق
واعصاب وعظام الا انك تركت الموصوف الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا
مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني
صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل

افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه

والمعنى متشابهة مثانية فان قلت ما فائدة التثنية والتكرير قلت النفوس
انفر شي عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها
ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما
كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم
اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم
اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زايد
يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد به
الله سبحانه وتعالى التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى
انهم اذا سمعوا القران وبايات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا
ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها
من الخشية والقشعريرة فان قلت ما وجه تعديه لان بالى قلت
ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل سكنت او اطمانت الى ذكر الله لينة غير منقبضة
راجية غير خاشية فان قلت لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة قلت لان
اصل امره الرحمة والرافة ورحمته هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم
يخطر بالبال قبل كل شي من صفاته الا كونه رءوفا رحيما فان قلت لم ذكرت
الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا قلت اذا ذكرت الخشية
التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم من ايات الوعيد
وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره على الرافة والرحمة
استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الى
الكتاب وهو هدى الله يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين
حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل
الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد وذلك الكائن من الخشية والرجاء
هدى الله اي اثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به
بهذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب اولئك وراهم خاشين راجين فكان
ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم
تؤثر فيه الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشي قط
يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء
العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب
ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه
فلا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له

جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقي بوجهه سوء العذاب

ومحاماة

ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل لعنه الله
وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون من حيث لا تشعرون من الجهة
التي لا يحتسبون ولا تخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها بيناهم امنون رافهون اذ
فوجئوا من مامنهم والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء
وما اشبه ذلك من نكال الله قرانا عربيا حال مؤكدة كقولك جاءني زيد
رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما
بريئا من التناقض والاختلاف فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير
معوج قلت فيه فائدتان احداهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال
ولم يجعل له عوجا والثانية ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل
المراد بالعوج الشك واللبس وانشد وقد اتاك يقين غير ذي عوج من
الاله وقول غير مكذوب واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من
المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده
فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو
متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم
يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي اخر قد سلم لمالك واحد وخلص له
فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع
اي هذين العبدين احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت الهة شتى
وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في
ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا
يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن
يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا
فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل
للثواب في اجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس
الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست اسنانه سلما لرجل سلما لرجل وقرئ
سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم
والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة
وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن
لما شقي به او سعد فان المراة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا
هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر
في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر اموالا واولادا مع
قوله اشد منهم قوة ويجوز فيمن قرا مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين

يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله

لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية
كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه
اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو
بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله صلى الله
عليه وسلم موته فاخبر الله ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي
بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون
والفرق بين المائت والميت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت فصفة
حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا اي سيموت وسيسود واذا قلت
زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله
انك ميت وانهم ميتون انك واياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما
هو كائن فكان قد كان ثم انكم ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير
الغيب تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة
فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا
وتقول السادات اغوتنا الشياطين واباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع
وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين
يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله ابن عمر رضي الله
عنهما لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى هذه الاية انزلت فينا وفي اهل
الكتاب قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد حتى رايت بعضنا يضرب
وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول
ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين
وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم النخعي قالت
الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا
وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما
قدمت اولا الا ترى الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذي جاء
بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب
على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق بالامر الذي
هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه فاجاه بالتكذيب
لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل
اهل النصفة فيما يسمعون مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا
بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وامن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى عليه السلام

اياه

الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم
القيمة عند ربكم تختصمون فمن اظلم
ممن كذب على الله او كذب
بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم
مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون لهم

اياه وقومه في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال
اولئك هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج
او والفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق
وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق
وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني
اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به اي بسببه لان القران معجزة
والمعجزة من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يديه ولا يجوز ان يصدق الا
الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به فان قلت
ما معنى اضافة الاسوأ والاحسن الى الذي عملوا وما معنى التفضيل قلت
اما الاضافة فما هي من اضافة افعل الى الجملة التي يفضل عليها ولكن من اضافة الشيء
الى ما هو بعضه كقولك الاشج اعدل بني مروان واما التفضيل فايذان بان
السيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم
المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك
ذكر سيئهم بالاسوأ وحسنهم بالاحسن وقرئ اسواء الذي عملوا جمع سوء اليس الله
بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية
وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده
وهم الانبياء وذلك ان قريشا قالت لرسول الله انا نخاف ان تخبلك الهتنا
وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه بعث خالدا الى العزى
ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد
خالد اليها فهشم انفها فقال الله عز وجل اليس الله بكاف نبيه ان يعصمه من كل
سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر
على نفع ولا ضر او اليس الله بكاف انبياءه ولقد قالت اممهم نحو هذا فكفاهم
الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ويجوز ان يريد
العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ
بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل ان يكون غير مهموز
مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ لبنائه على لفظ المغالبة
والمباراة وان يكون مهموزا من المكافاة وهي المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم
اجرهم بالذين من دونه اراد الاوثان الذين اتخذوها الهة من دونه بعزيز غالب
منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه
ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل
وبالاضافة للتخفيف فان قلت لم فرض المسألة في نفسه دونهم قلت

ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين
ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم
اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون
اليس الله بكاف عبده ويخوفونك
بالذين من دونه ومن يضلل
الله فما له من هاد ومن يهد الله
فما له من مضل اليس الله بعزيز
ذي انتقام ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله
قل افرايتم ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره او ارادني برحمة
هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله

لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر ان يقررهم ولا بان خالق العالم هو الله
وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من
مرض او فقر او غير ذلك من النوازل او برحمة من صحة او غنى او نحوهما هل
هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عنه ضره او ممسكات رحمته حتى اذا القمهم
الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم
عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم
فسكتوا فنزل قل حسبي الله فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات على
التانيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه قلت انثهن وكن اناثا
وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف
وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين
والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث اللاتي
هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا
على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة
بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان
وهما للمكان فان قلت حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف
قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف
وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله تعالى ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله
الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا
عليهم في الدنيا والاخرة لانهم اذا اتاهم الخزي والعذاب فذاك عزه وغلبته
من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه يخزيه
مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب
دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم
اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا
حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار
الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني
على الاختيار دون الاجبار الانفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو ان يسلب
ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند سلب
الصحة كان ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الانفس التي
لم تمت في منامها اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله
تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى

كذلك

قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان
ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه و
يحل عليه عذاب مقيم انا انزلنا
عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى
فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
وما انت عليهم بوكيل الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها

كذلك فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية
ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس
يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس
التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز
لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس وروي عن ابن عباس
رضي الله عنه في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي
بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه
ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت اولا لان الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام
جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف
بالموت والنوم وانما الجملة التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك ان في توفي الانفس
مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل لايات على قدرة الله وعلمه لقوم
يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضي عليها على البناء للمفعول ام اتخذوا
بل اتخذ قريش والهمزة للانكار من دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله قل
لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان
يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع ماذونا له وههنا الشرطان
مفقودان جميعا اولو كانوا معناه ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا
يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة
ولا عقل لهم له ملك السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا
لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها فان
قلت بم يتصل ثم اليه ترجعون قلت بما يليه معناه له
ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك في
ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والاخرة مدار المعنى على قوله وحده اي اذا
افرد الله بالذكر ولم تذكر معه الهتهم اشمازوا اي نفروا وانقبضوا واذا ذكر
الذين من دونه وهم الهتهم ذكر الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم
بها ونسيانهم حق الله تعالى الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده
لا شريك له نفروا لان فيها نفيا لالهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه
لسان رسول الله من ذكر الهتهم حين قرا والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه
لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه
لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل
والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه فان قلت

فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون ام اتخذوا من دون
الله شفعاء قل اولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل
لله الشفاعة جميعا له ملك السموات
والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر
الله وحده اشمازت قلوب الذين
لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون

ما العامل في إذا ذكر قلت العامل في إذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين
من دونه فاجاوا وقت الاستبشار بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم
وبشدة شكيمتهم في الكفر والعناد فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل أنت
وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم
واعذار لرسول الله وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع ابن خثيم وكان قليل الكلام
أنه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما
زاد على أن قال آه أو قد فعلوا وقرئ هذه الآية وروي أنه قال على أثره قتل
من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه وبدا لهم
وعيد لاكنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي
لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا
به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هي سيئات وعن سفيان
الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد ابن المنكدر
عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن
يبدو لي ما لم احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا أي سيئات أعمالهم التي
كسبوها أو سيئات كسبهم حين تعرض صحايفهم وكانت خافية عليهم كقوله
تعالى أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيئات أنواع العذاب التي يجازون بها
على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم
ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم التخويل مختص بالتفضل يقال خولني إذا أعطاك
على غير جزاء على علم أي على علم مني أني ساعطاه لما فيّ من فضل واستحقاق
على علم من الله بي وباستحقاقي أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على
علم عندي فإن قلت لم ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة قلت ذهابا
به إلى المعنى لأن قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها ويحتمل أن تكون ما في
إنما موصولة لا كافة فيرجع إليها الضمير على معنى أن الذي أوتيته على علم بل هي
فتنة إنكار لقوله كأنه قال له ما خولناك من النعمة لما تقول بل
هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر فإن قلت كيف
ذكر الضمير ثم أنثه قلت حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرا ولأن
الخبر لما كان مؤنثا أعني فتنة ساغ تانيث المبتدأ لأجله لأنه في معناه كقولهم
ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على اللفظ آخرا ولأن الخبر لما كان مؤنثا
أعني فتنة ساغ تانيث المبتدأ لأجله وفق إنما أوتيته على علم فإن قلت
ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو قلت
السبب في ذلك أن هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشمأزت

قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم
الغيب والشهادة أنت تحكم بين
عبادك يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون ولو أن للذين ظلموا
ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا
به يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات
ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن فإذا مس الإنسان
ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا
قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة
ولكن أكثرهم لا يعلمون

على معنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مس أحدهم
ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الاعتراض فإن
قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما في الاعتراض
من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم
ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم
إلى الله تعالى في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين
هؤلاء الذين يجترءون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا الكبير إلا أنت
وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم إن جعل مطلقا أو إياهم خاصة
إن عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعا ومثله معه
لافتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها
إلا علماء النظم وإلا بقيت محتجبة في أكمامها وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة
وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد
وقعد عمرو فإن قلت من أي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن
ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم إليه بل هو مقتض لصدودهم عنه قلت في
هذا التسبيب لطف وبيانه أنك تقول زيد مؤمن بالله تعالى فإذا مسه ضر التجأ
إليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله تعالى فإذا مسه ضر التجأ
إليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمت كأن الكافر حين التجأ إلى الله سبحانه التجاء
المؤمن إليه مقيم كفره مقام الإيمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فأنت
تحكي ما عكس فيه الكافر تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من
فعله الضمير في قالها راجع إلى قوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة من القول
وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه
حيث قال إنما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز
أن يكون في الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع
الدنيا ويجمعون منه من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك
فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا
سبع سنين فقيل لهم أو لم يعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل أسرفوا
على أنفسهم جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها
وضمها إن الله يغفر الذنوب جميعا بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن
فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لأن القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه
التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء
من تاب لأن مشيئة الله تعالى تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل

قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم
ما كانوا يكسبون فأصابهم
سيئات ما كسبوا والذين
ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات
ما كسبوا وما هم بمعجزين أولم يعلموا
أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من
عباده ويقدر له إن في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب
جميعا إنه هو الغفور الرحيم

قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا
يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها وقيل قال اهل مكة
يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر
وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي انه اسلم عياش
عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا
فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه
اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الاية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك
فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا
له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير
توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم مثل
قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وانتم لا تشعرون اي يفجأكم وانتم
غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم ان تقول نفس كراهة ان
تقول نفس فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس
وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او
بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت
ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقرئ يا حسرتي
على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب
يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط
في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه وقال سابق البربري

اما تتقين الله في جنب وامق ... له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته
فيه الا ترى الى قوله ان السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج
ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك
الخفي ان يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن ثم لم يبق فرق
فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى في
ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر
فما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله
قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في

طاعة

وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل
ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من قبل ان ياتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان
تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت
في جنب الله وان كنت لمن الساخرين

طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة رضي الله
عنهما في ذكر الله وما في قوله ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن
الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت
النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه
كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب
فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا
حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم
حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره في القران لو ان الله هداني لا يخلو اما
ان يريد الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج عن الحكمة ولم
يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه
حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم
التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله
بلى قد جاءتك اياتي رد من الله تعالى عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت
به واستكبرت عن قبوله واثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ
بكسر التاء على مخاطبة النفس فان قلت هلا قرن الجواب بما هو جواب
له وهو قوله لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما باية قلت لانه لا يخلو
اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة الوسطى
فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرينتين واما الثاني فلما فيه من
نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني
الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها
ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب فان قلت كيف صح ان تقع
بلى جوابا لغير منفي قلت لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت
كذبوا على الله اي وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد
والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله
امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز ان يخلق خلقا لا لغرض
ولولا العوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه
مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة
ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وجوههم مسودة جملة في موضع الحال
ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب قرئ ينجي
وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير
المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم

او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين
او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون
من المحسنين بلى قد جاءتك اياتي فكذبت
بها واستكبرت وكنت من الكافرين
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى
للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون

السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح
ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل
الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمي العمل الصالح في نفسه مفازة لانه
سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة فان قلت لا يمسهم ما محله من
الاعراب على التفسيرين قلت اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام
مستانف واما على الثاني فمحله النصب على الحال له مقاليد السموات والارض اي هو
مالك امرها وحافظها وهي من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي
هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح
ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية
فان قلت ما للكتاب العربي المبين والفارسية قلت التعريب احالها عربية
كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا قلت
بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه
خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين منها وما
يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض
فالله تعالى خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك
هم الخاسرون وقيل سال عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها
لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو
الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله
على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من
تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بايات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك
هم الخاسرون افغير الله منصوب باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير
الله اعبد بامركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك
او ينصب بما يدل عليه جملة قوله تامروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون
لي اعبد والاصل تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى الا ترى انك تقول افغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تقولون لي اعبد
فكذلك افغير الله تامرونني ان اعبده وافغير الله تامرونني ان اعبد والدليل على
صحة هذا الوجه قراءة من قرا اعبد بالنصب وقرئ تامرونني على الاصل وتامروني
على ادغام النون او حذفها قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن
بالنون والياء اي ليحبطن الله او الشرك فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن

اشركت

الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن

اشركت على التوحيد قلت معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك
والى الذين من قبلك مثله او اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا
حلة اي كل واحد منا فان قلت ما الفرق بين اللامين قلت
الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين
اعني جوابي القسم والشرط فان قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله
تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم قلت هو على سبيل الفرض
والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء ربك لامن
من في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي اليه
ووجود الصارف عنه فان قلت ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين
قلت يحتمل ولتكونن من الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة
ويجوز ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله
تعالى اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات بل الله فاعبد رد على المشركين
لما امروه به من استلام بعض الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته ان كنت
عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين
على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد ادم عليه السلام وجوز الفراء نصبه
بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد لما كان العظيم من الاشياء
اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل
وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه
ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته
ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة
ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما روي ان جبريل صلوات
الله عليه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله سبحانه وتعا
لى يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع
والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك
فضحك رسول الله تعجبا مما قال ثم قرا تصديقا له وما قدروا الله حق قدره
الاية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير
تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء واخره على الزبدة والخلاصة
التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام والاذهان
ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة
في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب

من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

ولا انفع واعون على تعاطي تاويل المتشبهات من كلام الله تعالى في القران وسائر الكتب
السماوية وكلام الانبياء عليهم السلام فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها
الاقدام قديما وما اتى الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في
عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة
اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم
اية من ايات التنزيل وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات
الغثة والوجوه الرثة لان من تاول ليس من هذا العلم من عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا
منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا
وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد
الى الجمع وتاكيده بالجميع اتبع الجميع قبل مجي الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد
لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة
من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف وتقول ايضا اعطني قبضة من كذا
تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل
والمعنى والارضون جميعا قبضته اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة من قبضاته
كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات
اكلته وذات جرعته يريد انهما لا يفيان الا باكلة فردة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته
واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف
واحدة فان قلت ما وجه قراءة من قرا قبضته بالنصب قلت
جعلها ظرفا مشبها و بالمبهم مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى
يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته
ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه
لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علم هذا فليعرض عليه هذا التاويل
ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما منى
من امثاله والثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم
له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات
على نظم السماوات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال
سبحانه وتعالى ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من
الشركاء فان قلت اخرى ما محلها من الاعراب قلت يحتمل
الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب ففي قراءة
من قرا نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة
اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وفسر قيام يبصرون يقلبون

ابصارهم

ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت

ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجاه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز
ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم قد استعار الله عز وجل النور
للحق والقران والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى واشرقت الارض
بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات
وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى
الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين
اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها
وخالقها هو الذي يعدل وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من
وضع الكتاب والمجي بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى
الناس يقولون للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك
كما يقولون اظلمت الدنيا بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم
ظلمات يوم القيمة وكما فتح الاية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على
البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلات به واغتصت واشرقها الله كما
تقول ملا الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم
الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة
والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله الزمر الافواج المتفرقة بعضها في
اثر بعض وقد تزمروا قال الراجز حتى احزالت زمر بعد زمر وقيل
في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم
وقرئ نذر منكم فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت
ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة استعمال
اليوم والايام مستفيض في اوقات الشدة قالوا بلى اتونا وتلوا علينا ولكن
وجبت علينا كلمة الله لاملان لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا
قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال
اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف
بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى
المتكبرين جهنم حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية
الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شي
لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا جاءوها وفتحت
ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب
الجنة فتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جي بالواو
كانه قيل اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها فان قلت كيف عبر عن الذهاب

الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم

بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف
كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل
الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان
كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين طبتم من
دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب
والطهارة فما هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها
من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة
وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا
تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود الارض
عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها
وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه
واتساعه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله حيث
نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف
سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره حافين
محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين
لا متعبدين فان قلت الام يرجع الضمير في قوله بينهم قلت
يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء
بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا
لا يكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو
القضاء بينهم بالحق فان قلت قوله وقيل الحمد لله من القائل ذلك
قلت المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم
بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله
رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

وقالوا الحمد
عليكم طبتم فادخلوها خالدين
لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين
وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون
بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد
لله رب العالمين
بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم

سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم كلها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهي خمس وثمانون اية وقيل ثنتان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم
قرئ بامالة الف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين

وايثار

غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير

وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتعريف
والتانيث او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل التوب والثوب
والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول
والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل فان قلت كيف اختلفت هذه
الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف قلت
اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه
يغفر الذنب ويقبل التوب الان او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون
اضافتهما حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق
ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه
لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات
نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة
فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها
على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن
كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من
شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم
عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما تعرف سحادليه من عناديه فثنوا ما هو
وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل
ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل ذلك انه على نية الالف واللام كما كان
الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة
الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة
وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي
الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال فان قلت
ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي افادة
الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات
وان يجعلها محاءة للذنوب كانه لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي
ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع
في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك
الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم
الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له
بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني
عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ

عمر امن قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا
الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه سجل على المجادلين في
ايات الله بالكفر والمراد هو الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض
الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط
معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم
ان جدالا في القران كفر واراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز بين جدال وجدال
فان قلت من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله قلت
من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم بالكفر من قبل الله والكافر لا احد اشقى منه
عند الله وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم
في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش
كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان
مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم
للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم
وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقرئ فلا يغررك الاحزاب
الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل امة من
هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرئ برسولها لياخذوه ليتمكنوا
منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ
فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان
عقاب فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه
معنى التعجب انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب
وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب
المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة او في محل النصب بحذف
لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك
الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار
وقرئ كلمات روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت
العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا
في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال
له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق
راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي
الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش

ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا
فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت
قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم
وهمت كل امة برسولهم لياخذوه
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
فاخذتهم فكيف كان عقاب و
كذلك حقت كلمة ربك على
الذين كفروا انهم اصحاب النار
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون

تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين
القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش
سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم
سبعون الف صف قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو
يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرأ ابن عباس رضي الله عنه العرش بضم العين فان
قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش
ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده ويؤمنون قلت فائدته
اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه
بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا فابان بذلك
فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان حملة
العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان
الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل
من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه
لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب
في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل
حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء
الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن
فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان
جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض
قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل
ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا فان قلت
تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسعت كل شيء قلت الرحمة والعلم
هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل
الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على
التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فان
قلت قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على
حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده قلت معناه فاغفر للذين علمت
منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها انك انت
العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا الا
بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء

بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء
رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك ... انت العزيز الحكيم وقهم السيئات

ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته
وذلك هو الفوز العظيم ان الذين
كفروا ينادون لمقت الله اكبر من
مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا

السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها
والوقاية منها التكفير او قبول التوبة فان قلت ما الفائدة في استغفارهم
لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد قلت
هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح
بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم اي ينادون
يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم
انفسكم فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه
يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء
يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم
وانتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة
مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الان اكبر من
مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون
تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده اثنتين اماتتين
واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم
عند انقضاء اجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك
تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن
عباس رضي الله عنه فان قلت كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا
اماتة قلت كما صح ان يقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر
جسم الفيل وقولك للحافر ضيق فم الركية ووسع اسفلها وليس ثم نقل من كبر الى
صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت
الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع
الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين
وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الاخر فجعل صرفه عنه
كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا والتي بعد حيوة القبر لزمه
اثبات ثلاث احياءات وهو خلاف ما في القران الا ان يتمحل فيجعل احداها غير معتد
بها او يزعم ان الله تعالى يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم
في المستثنين من الصعقة في قوله تعالى الا من شاء الله فان قلت كيف
تسبب هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا
وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما راوا
الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله سبحانه قادر على الاعادة قدرته
على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم

فهل

فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه
اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك
به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو
الذي يريكم اياته وينزل لكم من
السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون
رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح
من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم
التلاق يوم هم بارزون
لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك

فهل الى خروج الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط ام الياس واقع دون
ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط وانما يقولون
ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم اي ذلكم الذي انتم
فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به
فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله العلي الكبير دليل على الكبرياء
والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب
جبروته وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا يريكم اياته من
الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها والرزق المطر لانه سببه وما
يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بايات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع
الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكيره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله
اي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم
منكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلثة اخبار لقوله هو مرتبة
على قوله الذي يريكم اياته او اخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا
وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي
مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهو دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير
سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه
كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه
في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحياة من امره يريد الوحي الذي هو امر
بالخير وبعث عليه واستعار له الروح كما قال او من كان ميتا فاحييناه لينذر الله
او الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي لتنذر الروح لانها تؤنث
او على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق
يوم القيمة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل
المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او
بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون
كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا لا يخفى على الله منهم شيء اي من
اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا
لا معناه فان قلت قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم
والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه قلت معناه انهم
كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم ويخفى
عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل
ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون

وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ولذلك لعلمهم ان الناس
يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به
ومعناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد
القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد بارض بيضاء كانها
سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وان الظلم مامون لان الله ليس
بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب
الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا اخذ
في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها الازفة القيمة سميت لازوفها
اي لقربها ويجوز ان يريد يوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار
فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا
ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما راوه زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين بم انتصب قلت هو حال
عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها
ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها
الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال
العقلاء كما قال رايتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين وتعضده
قراءة من قرأ كاظمون ويجوز ان يكون حالا عن قوله وانذرهم اي وانذرهم مقدرين
او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين فان قلت ما معنى
قوله ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة
معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو يحتمل
نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب
عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره
فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله قلت
على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله تعالى واولياء الله لا
يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم
وان لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين
من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في
زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم
من فضله وعن الحسن رحمه الله والله ما يكون لهم شفيع البتة فان قلت

الغرض

لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت وانذرهم
لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب
يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين ما للظالمين من حميم ولا
شفيع يطاع

الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها
قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء
الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتاتى بدون موصوفها
فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود
عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم
الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانه يقول كيف يتاتى
مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع
معناه كيف يتاتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم
تطاعه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي
لا ينبغي ان يتوهم خلافه والخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية
بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن
ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان
قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت هو
خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم اياته مثل يلقي الروح ولكن يلقي
الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق
الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق يعني
والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالعدل والحق لاستغنائه عن
الظلم والهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة
لا يقال فيه يقضي ولا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم
خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر
ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تبصر
ولا تسمع وقرئ يدعون بالتاء والياء هم في كانوا هم فصل اشد منهم فصل
فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا
بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة
في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل
الشام واثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من اثارهم
او ارادوا اكثر اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا وسلطان مبين وحجة
ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا
فلما جاءهم بالحق بالنبوة فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء
النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال
ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل اخر

يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله
يقضي بالحق والذين يدعون من دونه
لا يقضون بشيء ان الله هو السميع
البصير اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم
كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم
من الله من واق ذلك بانهم كانت
تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا
فاخذهم الله انه قوي شديد
العقاب ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وسلطان مبين الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب
فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي
كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول في ضلال في ضياع وذهاب باطلا
لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار
من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان
فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا
وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين
جميعا ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه
وانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله
ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته
بالحجة والظاهر ان فرعون لعنه الله كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات
وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون
شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان
يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه
منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم
هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع ان يبدل دينكم
ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك
والهتك والفساد في الارض التفاتن والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل
المكاسب والمزارع والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف
ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن
بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم
معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر
بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون لما سمع موسى
عليه الصلوة والسلام بما اجراه فرعون لعنه الله من حديث قتله قال لقومه
اني عذت بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم ان يقتدوا به
فيعوذوا بالله سبحانه عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل
متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض
فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله
على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم
الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة
فقد استكمل اسباب القسوة والجرأة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها
وعذت ولذت اخوان وقرئ عت بالادغام رجل مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما

ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم وما كيد الكافرين
الا في ضلال وقال فرعون ذروني
اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف
ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض
الفساد وقال موسى اني عذت بربي
وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم
الحساب وقال رجل مؤمن

يقال

من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم وان يك كاذبا
فعليه كذبه وان يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب

يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا
ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان
او حبيب وقيل خربيل او حزبيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني
اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول
المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه ان يقول
لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء
التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها
وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات
عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج
لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من شوكتهم ولك ان تقدر
مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول
من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي
عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من
ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه كذبه اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه
ضرره وان يك صادقا في دعواه يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له فان قلت
لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه
قلت لانه احتاج في مقاولة موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك
معهم طريق الانصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى
تسليمهم لقوله وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقاله غير المشتط فيه
ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه
صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه
بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا
فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق
ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فان
قلت فعن ابي عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها ... او يرتبط بعض النفوس حمامها
قلت ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى
كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف يحتمل انه ان كان
مسرفا كذابا خذله الله واهلكه ولم يستقم له امر فتتخلصون منه وانه لو كان مسرفا
كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل [illegible] ابو بكر رضي الله

من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا اشد من ذلك طاف عليه السلام
بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي تنهانا عما
كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه
وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته
بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ان مؤمن
آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله جهرا ظاهرين في الارض اي ارض مصر
غالبين عالين على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم
فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لباس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به
ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم
بان الذي ينصحهم به هو مساهمهم فيه ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم
براي الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير
صواب وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح
او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف
ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا
للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر
احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام
او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان
فعالا من افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح
القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور
فيه الى الفعل مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم
بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد
من الجميع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال
الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دووبهم في عملهم من الكفر والتكذيب
وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف
مضاف يريد مثل جزاء دأبهم فان قلت بم انتصب مثل الثاني قلت
بانه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت
اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم
الى اعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما
للعباد يعني ان تدميرهم كان قسطا وعدلا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو
ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان
عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد

ظلما

يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض
فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا
قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما
اهديكم الا سبيل الرشاد وقال
الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل
يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم وما الله
يريد ظلما للعباد ويا قوم اني اخاف

ظلما للعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريد
لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين التناد ما حكى الله تعالى
في سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو
ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا
زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا
فبيناهم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب تولون مدبرين
عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير
معجزين هو يوسف ابن يعقوب وقيل هو يوسف بن ابراهيم ابن يوسف ابن يعقوب
اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه
وقيل هو فرعون اخر وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين
كافرين حتى اذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من
غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم
بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده
رسولا بتصديق ليوسف بالرسالة وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو
تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على
ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال
كذلك يضل الله اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله تعالى كل مسرف في عصيانه
مرتاب في دينه الذين يجادلون بدل من هو مسرف فان قلت كيف
جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد قلت لانه لا يريد مسرفا واحدا
فكانه قال كل مسرف فان قلت فما فاعل كبر قلت ضمير من هو مسرف
فان قلت اما قلت هو جمع وهذا ابدلت منه الذين يجادلون
قلت بل هو جمع في المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير
الراجع اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله
نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من
حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا
ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدا وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر
قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستانف ومن قال
كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر
مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله
من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر

عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين
ما لكم من [illegible] عاصم ومن يضلل
الله فما له من هاد ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات فما زلتم
في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
كذلك يضل الله من هو مسرف
[illegible] يجادلون في آيات الله
[illegible]
بغير سلطان [illegible]
عند الله [illegible]

والتحير لانه مركزها ومنبعها كما تقول رات العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز
وجل فانه آثم قلبه وان كان الاثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف
اي على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب قيل الصرح البنا الظاهر
الذي لا يخفى عن الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشيء اذا ظهر واسباب السموات
طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشا ونحوه
فان قلت ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات لاجزي
قلت اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل
بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان
يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوق
اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها
للترجي بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون وصد عن السبيل
والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل او الله سبحانه وتعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان
وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وقرئ زين له سوء عمله على البناء
للفاعل والفعل لله عز وجل يدل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد
وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل والتباب الخسران والهلاك
وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه قال اهديكم سبيل
الرشاد فاجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها
هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة
في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر
وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف
ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ
الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم ان
الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه
الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا دليل بين على
ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح
ان ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى الا مثلها لان الزيادة على مقدار
جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لانها
فضل قرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان
جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح
فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة فان قلت

كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الى اله موسى
واني لاظنه كاذبا وكذلك
زين لفرعون سوء عمله وصد عن
السبيل وما كيد فرعون
الا في تباب وقال الذي آمن يا قوم
اتبعون اهدكم سبيل الرشاد

لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في الثالث دون الثاني قلت اما تكرير
النداء ففيه زيادة تنبيه وايقاظ لهم عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته
وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف
بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على
تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم صلى الله عليه وسلم في نصيحة ابيه يا ابت واما المجيء بالواو
العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل
عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة
يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له به علم اي
بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس
باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم سياقه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا
لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب
بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم اي كسب ذلك
الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته
ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من
التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد انك تفعل كذا لا بد لك من فعله فكذلك
لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع
لاستحقاقهم ولا قطع دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك
فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بوزن
بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه ان
ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو
العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى
عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج
من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا
من دعاء وغيره وفي الآخرة اذا انشاه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته
وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة
جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة
باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال
الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء
المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين الدماء بغير حلها وقيل
الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم
بعضا وافوض امري الى الله لانهم توعدوه فوقاه الله سيئات ما مكروا

يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع
وان الآخرة هي دار القرار من عمل
سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني
لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي
به علم وانا ادعوكم الى العزيز
الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس
له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان
مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب
النار فستذكرون ما اقول
لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير
بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا

شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل جاء مع موسى عليه السلام وحاق بال فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدأ خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون في النار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس اخر من العذاب واما ان ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا ال فرعون اشد عذاب جهنم وقرئ ادخلوا ال فرعون اي يقال للخزنة جهنم ادخلوهم فان قلت قوله وحاق بال فرعون سوء العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قلت يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانهم سوء فاصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمرود ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ما اضمر وهم بفعله ويستدل بهذه الاية على اثبات عذاب القبر واذ كر وقت يتحاجون تبعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد قد حكم بين العباد اي قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت هلا قيل الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم

وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا

فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع الى الله وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاءه كيف يسمع دعاء الكافر في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والاخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس فاليوم الثاني بدل من الاول يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة والبعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الاخرة وهو عذابها وقرئ يقوم ولا ينفع بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما اتاه في باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع واورثنا وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التورية هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال واولوا الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه فاصبر ان وعد الله حق يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخاف واستشهد بموسى وما اتاه الله من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء اثار هداه في بني اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلائك كائن حق واقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلاتا العصر والفجر ان في صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا اياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الايات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الايات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون

يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله

يخرج صاحبنا المسيح ابن داود يريد الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير
معه الانهار وهو آية من آيات الله سبحانه فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم
ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من
يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون
فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم فان قلت كيف اتصل قوله لخلق
السموات والارض بما قبله قلت ان مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة
على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا
مقرين بان الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء
قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ
من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم
واتباعهم اهواءهم ضرب الاعمى والبصير مثلا للمسيء والمحسن وقرئ تتذكرون
بالتاء والياء والتاء اعم لا ريب فيها لا بد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لا بد
من جزاء لا يؤمنون لا يصدقون بها ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في
القرآن والدليل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة وفي
تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على
الله ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه
قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي
عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين وروى النعمان بن بشير عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز ان يريد الدعاء
والاستجابة على ظاهرها ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل
ابوابها ويصدقه قول ابن عباس رضي الله عنه افضل العبادة الدعاء وعن كعب
اعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت
شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك
من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعني استجب لك
وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير
للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد داخرين صاغرين مبصرا من الاسناد المجازي
لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار فان قلت لم قرن الليل بالمفعول
له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت
هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل
لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز
ان يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه

انه هو السميع البصير لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس
ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما
يستوي الاعمى والبصير والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء
قليلا ما تتذكرون ان الساعة
لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل

لم تتميز الحقيقة من المجاز فان قلت فهلا قيل لمفضل او لمتفضل قلت
لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وانما يستوي بالاضافة
فان قلت لو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس قلت في
هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا
يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم
كفار ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله خالق
كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية
وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف
ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم
يتأملها ولم تكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرئ خالق كل
شيء نصبا على الاختصاص ويؤفكون بالتاء والياء هذه ادلة اخرى على
تميزه بافعال خاصة وهو انه جعل الارض مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية
العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض فاحسن صوركم
وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل
لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله في احسن تقويم فادعوه فاعبدوه مخلصين
له الدين الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس
رضي الله عنه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فان قلت
اما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته
البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة
العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله
خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات
ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين لان ذكر تناصر
الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل
وحدها كافية لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا
وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى
وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد
كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من
قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون
ما في ذلك من العبر والحجج فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل
هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة على
ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون

على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون ذلكم الله ربكم لا اله الا
هو خالق كل شيء فانى تؤفكون
كذلك يؤفك الذين كانوا
بآيات الله يجحدون الله الذي جعل
لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم
فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين
هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين
له الدين الحمد لله رب العالمين قل
اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون
الله لما جاءني البينات من ربي وامرت
ان اسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم
يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم
لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من
قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم
تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون

كان اهون شيء واسرعه بالكتاب بالقران وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب ان
قلت وهل قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك
سوف اصوم امس قلت المعنى على اذ الا ان الامور المستقبلة لما كانت
في اخبار الله سبحانه متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى
على الاستقبال وعن ابن عباس رضي الله عنه والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح
اليا على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل
ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان
صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين متعقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة
الاخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها
كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون في النار يسجرون من سجر التنور
اذا ملاه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي
محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك انا عائذ وبجوارك
ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم فان قلت
اما ذكرت في تفسير قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انهم مقرونون بالهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم قلت
يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم
ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانوا
ضالين عنهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا
وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء
اذا خبرته لم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال الهتهم عنهم
يضلهم عن الهتهم حتى لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال
بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا
ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم
جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المتكبرين
به مثواكم او جهنم فان قلت اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل
المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى
قلت الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء فاما نرينك اصله
فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا ترى
انك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك فان قلت
لا يخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله فالينا

يرجعون

الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون
الذين كذبوا بالكتاب وبما
ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل
يسحبون في الحميم ثم
في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم
تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا
بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك
يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله
حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم

يرجعون فنقول فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان
جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه
بغير جزاء قلت فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك
محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل
والاسر يوم بدر فذاك او نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة
فننتقم لك منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم
منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ومنهم من لم نقصص
عليك قيل بعث الله ثمانية الاف نبي منهم اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة
الاف من سائر الناس وعن علي رضي الله تعالى عنه ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن
لم يقصص عليه وهذا من اقتراحهم الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنادا يعني انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد ان ياتي باية الا باذن الله
فمن لي ان اتي باية مما تقترحونه الا ان يشاء الله تعالى وياذن في الاتيان بها فاذا جاء
امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله القيامة المبطلون هم المعاندون
الذين اقترحوا الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا الانعام الابل
خاصة فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتاكلوا
منها ولتصلوا الى منافع او قال منها تركبون ومنها تاكلون وتبلغون عليها حاجة في
صدوركم قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة
من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوبة
اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي
لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام
وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فان قلت
هلا قيل وفي الفلك كما قيل قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قلت
معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها
حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها
ويزاوجه فاي ايات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله
قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب
وهي في اي اغرب لابهامه واثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم
لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما الاولى نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب
والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او
كسبهم فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم
في قوله بل ادارك علمهم في الاخرة وعلمهم في الاخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب

او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك وما كان لرسول ان ياتي
باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله
قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون
الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا
منها ومنها تاكلون ولكم فيها
منافع ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم وعليها وعلى الفلك
تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله
تنكرون افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا اكثر
منهم واشد قوة واثارا في الارض
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا
بما عندهم من العلم وحاق بهم ما
كانوا به يستهزءون فلما راوا

وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون لذلك ويدفعون البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بعلم الله صغروه ودفعوه وعلم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى صلوات الله عليه فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهدينا ومنها الذي وضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزاوا بالبينات وبما جاء الانبياء به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما راوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء لعلمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ وعن الشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزاوا بها اعتقادا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فان قلت اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من كان في نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم فان قلت كيف ترادفت هذه الفاءات قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا باسنا امنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما راوا باس الله سنة الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة وهنالك مكان مستعار للزمان معناه وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمن لم تبق روح نبي ولا صديق ولا

فلما جائتهم باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون

شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلت حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدا وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا فصلت اياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة في احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرانا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرانا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت اياته في حال كونه قرانا عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الايات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه فان قلت بم تعلق قوله لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بقوله تنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت اياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرانا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدا محذوف فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد ما بين المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك انا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وقرئ انا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة قلت نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان حجابا ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل في اذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون

هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا
اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا
قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة
الا في المعاني فان قلت من اين كان قوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي
جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة قلت من حيث انه قال لهم اني لست
بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر
نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما اوحي الي ان الهكم اله واحد
فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين
يمينا وشمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء
وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر
فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر
بالاخرة قلت لان احب ما الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله
في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع
طويته الا ترى الى قوله عز وعلا ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله
وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما
خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم
واهل الردة بعد رسول الله ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا
وفيه بعث المؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع
من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون
من امن برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو
الايمان الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق
اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر
كاصح ما كانوا يعملون ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين
ذلك الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين هو رب العالمين رواسي جبالا ثوابت
فان قلت ما معنى قوله من فوقها وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي
كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي
قلت لو كانت تحتها كالاساطين لها لتستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير
لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معرضة
لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة
الى ممسك لا بد لها منه وهو عز وعلا ممسكها بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها وانماه
وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود

قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله
واحد فاستقيموا اليه واستغفروه
وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ان الذين
امنوا وعملوا الصلحت لهم اجر غير ممنون
قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في
يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العلمين
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء

الله عنه وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام سواء فذلكة لمدة خلق الارض وما فيها
كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق
الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج
في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث
الجر على الوصف والنصب على استوت سواء اي استوت استواء والرفع على هي سواء فان
قلت بم تعلق قوله للسائلين قلت بمحذوف كانه قيل هذا
الحصر لاجل من سأل كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات
لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم
الا على تفسير الزجاج فان قلت هلا قيل في يومين واي فائدة في هذه
الفذلكة قلت اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين
علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان تقول في يومين وان تقول في اربعة
ايام سواء فكانت في اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت
اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على
اكثرهما لكان يجوز ان يريد اليومين الاولين والاخرين اكثرهما ثم استوى الى السماء
من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء
الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا
اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف
يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه على الماء قبل خلق السموات والارض فاخرج من
الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم
فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء والارض
بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا
في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطيع وهو من المجاز الذي يسمى
التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض
وقال لهما ائتيا شئتما ذلك او ابيتما فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض
تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيء من الخطاب والجواب
ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسأل من يدقني
لم يتركني الحجر الذي ورائي فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها
في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت قد خلق
جرم الارض اولا غير مدحو ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد
ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي
يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة لهم ومعنى الاتيان

ثم استوى الى السماء وهي دخان
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات
في يومين واوحى في كل سماء امرها
وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا

ذلك تقدير العزيز العليم فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا

الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى
لتات كل واحدة منكما صلحتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير
من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ
ايتا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا
وساعدنا ويحتمل وافقنا امري ومشيتي ولا تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها
قلت هو مثل للزوم قدرته وتاثيرها فيهما وان امتناعهما من تاثير
قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه
طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين فان قلت
هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون
قلت لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في
موضع طائعات نحو قوله رايتهم لي ساجدين فقضاهن يجوز ان يرجع الضمير فيه
الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما
مفسرا بسبع سماوات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على
التمييز قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في اخر
ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم عليه الصلاة والسلام وهي الساعة التي
تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قال في يومين في موضع
اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان او ناقصان فان قلت
فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين
او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سواء قلت الذي اورده سبحانه
اخصر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك
الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات
ويتضاعف الثواب ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير
ذلك او شانها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة
بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح
زينة وحفظا فان اعرضوا بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته
فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذاب شديد الوقع كانه صاعقة وقرئ
صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال
صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل من
بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة
فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله عن الشيطان لاتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم اي لآتينهم من كل جانب واجتهد وابهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم

يروا

قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي

يروا الا العتو والاعراض كما حكى الله عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت
بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن
قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ من
جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم
وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم فان قلت الرسل الذين
من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤوهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم
به كافرون قلت قد جاءهم هود وصالح صلوات الله عليهما داعيين
الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم
اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤوهم وقوله انا بما ارسلتم به كافرون خطاب
منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا
بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بان لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا
لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف اي لو شاء الله ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا بما
ارسلتم به كافرون معناه فاذا انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم
به وقوله ارسلتم به ليس باقرار بالارسال انما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش
قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم له رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه
ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة
والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم
انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت
تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا وان تك بك الباءة زوجناك عشر
نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به
ورسول الله صلوات الله عليه ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم
حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع
الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا
اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب واقسم لا يكلم
محمدا ابدا وقال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة
ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف
ولقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاستكبروا
في الارض اي تعظموا فيها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الاجرام
او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية من اشد منا

قوة كانوا ذوي اجرام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من
الجبل فيقتلعها بيده فان قلت القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي
نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات او بصحة
بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف
صح قوله هو اشد منهم قوة وانما يصح ان لو اريد بالقوة في الموضعين شيء واحد
قلت القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة هي الشدة والصلابة
في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال
اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم
يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف
على قوله فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة الصرصر العاصفة التي تصرصر اي
تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد
الذي يصر اي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا
نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او
وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف
العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب
خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ والدليل عليه قوله ولعذاب الاخرة
اخزى وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى
الى البون بين قولك هو شاعر وله شعر شاعر قرئ ثمود بالرفع والنصب منونا
وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم
فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا
العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فان قلت
اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى
بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله
في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق
لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها صاعقة
العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب
مبالغة او ابدل منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه
الامة بشهادة نبيها صلوات الله عليه وكفى به شاهدا الا هذه لكفى بها حجة قرئ
يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل
اي يحشر الله عز وجل اعداءه الكفار من الاولين والآخرين يوزعون يحبس اولهم
على آخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة اهل النار

فلهم هو اشد منهم قوة وكانوا
باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم
ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم
عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الآخرة اخزى وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون بما كانوا
يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا
يتقون ويوم يحشر اعداء الله الى النار
فهم يوزعون

نسئل

نسئل الله تعالى ان يجيرنا منها بسعة رحمته وحسن مغفرته فان قلت ما في
قوله حتى اذا ما جاؤها ما هي قلت مزيدة للتاكيد ومعنى التاكيد فيها ان وقت
مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله
اثم اذا ما وقع آمنتم به اي لا بد لوقت وقوعه ان يكون وقت ايمانهم به شهادة
الجلود بالملامسة الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات فان قلت
كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما
انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية
عن الفروج اراد بكل شيء كل شيء من الحيوانات كما اراد به في قوله والله على كل شيء
قدير من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله سبحانه الذي قدر
على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه
وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح
على السنة جوارحهم والمعنى انكم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب
الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم
غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكنكم انما
استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم
وذلك الظن هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه
ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالية ورقيبا مهيمنا حتى يكون في اوقات
خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ
ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم
رفع بالابتداء وظنكم واردكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم واردكم
الخبر فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان يستعتبوا
وان يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه فما هم
من الذين يعتبون اي لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وعلا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان سئلوا
ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا
لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة
المعاوضة قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم القرناء
من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه انه خذلهم
ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل
عليه ومن يعش نقيض ما بين ايديهم وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا

حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء
وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم
تستترون ان يشهد عليكم سمعكم
ولا ابصاركم ولا جلودكم
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان
يستعتبوا فما هم من المعتبين
وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين
ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول

وَالآخرة وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم في جملة امم ومثل في هذه
ما في قوله ان تك عن احسن المروة مافوكا في اخرين قد افكوا يريد فانت في جملة
اخرين او فانت في عدد اخرين لست في ذلك باوحد فان قلت في امم ما محله
قلت محله النصب على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول
كائنين في جملة امم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير
لهم وللامم قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو
واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى
لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان
وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته كانت
قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا يجوز ان يريد بالذين
كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة
لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوء بما اغنى عن اعادته وعن ابن
عباس رضي الله عنه عذابا شديدا يوم بدر واسوء الذي كانوا يعملون
في الآخرة ذلك اشارة الى الاسوء ويجب ان يكون التقدير اسوء جزاء الذي كانوا
يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف
فان قلت ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد قلت معناه
ان النار في نفسها دار الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وتقول
لك في هذه الدار دار السرور وانت تريد هذه الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا
بآياتنا يجحدون اي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو الذين
اضلانا اي الشيطانين الذين اضلانا من الجن والانس لان الشيطان على ضربين
جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل
هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا بسكون الراء
لثقل الكسرة كما قالوا فخذ في فخذ وقيل معناه اعطنا الذين اضلانا وحكوا عن
الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون
فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء واصله
الاحضار ثم استقاموا ثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة
لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم
يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم
يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر

في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
انهم كانوا خاسرين وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا
ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون
ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار
الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون
وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين
اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا
ليكونا من الاسفلين ان الذين قالوا

رضي

رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي
الله عنه اخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرايض وقال سفيان بن
عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم
استقم قال قلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله بلسان نفسه
فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة
مواطن عند الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم ان لا تخافوا بمعنى اي او مخففة
من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه الملائكة لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن
غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل
غم فلن تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما
خلفتم كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين
واحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف
وانتصابه على الحال ممن دعا الى الله عن ابن عباس رضي الله عنهم هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل
الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول الله وعن عائشة رضي الله عنها
ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه
الثلاث ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم
الا طبقة العالمين العاملين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله
وقوله وقال انني من المسلمين ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن يجعل دين
الاسلام معتقده ومذهبه كما تقول هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه يعني
ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها
اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك
ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان
تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي
ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي
الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة او السجية التي هي مقابلة
الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فان
قلت هلا قيل فادفع بالتي هي احسن قلت هو على تقدير قائل
قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوي
الحسنة والسيئة فان قلت فكان القياس على هذا التفسير ان يقال
ادفع بالتي هي حسنة قلت اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع

ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون نحن
اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة
ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها
ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال
انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وما يلقاها
الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو
حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان

الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع
بما هو دونها وعن ابن عباس رضي الله عنه بالتي هي احسن الصبر عند الغضب
والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه
الله والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان عدوا
مؤذيا لرسول الله فصار وليا مصافيا النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس
والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا
كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله
والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ
بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس
والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها
وبريتهن او لما قال ومن اياته كن في معنى الايات فقيل خلقهن فان قلت
اين موضع السجدة قلت عند الشافعي رحمه الله يعبدون وهي رواية
مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة رحمه الله
يسامون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد ابن المسيب لعل
ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون
انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان
لا يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير
مشركين فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم
فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين
ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والكرامة
والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير
لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الارض
هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت
بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال
في الاطمار الرثة وقرئ وربات اي ارتفعت لان النبت اذا هم ان يظهر ارتفعت
له الارض يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير
للانحراف في تاويل ايات القران عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون
ويلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف فان قلت
بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر قلت هو بدل من قوله ان الذين
يلحدون في اياتنا والذكر القران لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه
لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

مثل

نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم
ومن اياته الليل والنهار والشمس
والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم
اياه تعبدون فان استكبروا فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار
وهم لا يسامون ومن اياته انك
ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت ان الذي
احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير
ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون
علينا افمن يلقى في النار خير امن ياتي
امنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون
بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم

مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل
اليه ويتعلق به فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتاوله
المبطلون قلت بلى ولكن الله تعالى قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل
به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم له وافساد اقاويلهم فيه فلم يخلوا
طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل اي ما يقول لك الكفار قومك
الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة
ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه او ذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما
يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك
لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته
والغرض تخويف العصاة كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القران بلغة العجم فقيل لو
كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت اياته اي بينت
ولخصت بلسان نفقهه ااعجمي وعربي الهمزة همزة الانكار يعني لانكروا وقالوا
اعجمي ورسول عربي او ومرسل اليه عربي وقرئ اعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم
كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب الى امة العجم وفي قراءة الحسن اعجمي بغير همزة
الاستفهام على الاخبار بان القران اعجمي والمرسل اليه عربي والمعنى ان ايات الله
على اي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما
يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت اياته تفصيلا فجعل بعضها
بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب فان قلت كيف يصح ان يراد بالعربي
المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع في انكار
المنكر لو راى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب عجمي ومكتوب اليه
عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على
ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل
به ما يخيل غرضا اخر الا تراك تقول وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة
اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو
لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته وانما وقع
في غرض وراءهما هو اي القران هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما
في الصدور من الظن والشك فان قلت والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر منقطع عن ذكر القران فما وجه اتصاله به قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله
للذين امنوا على معنى قولك هو للذين امنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون

وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو
عقاب اليم ولو جعلناه قرانا
اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته
ءاعجمي وعربي قل هو للذين امنوا هدى
وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم
وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون

في اذانهم وقرا الاان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان
يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر على حذف المبتدا وفي
اذانهم منه وقر وقري وهو عليهم عم وعمي كقوله تعالى فعميت عليهم
ينادون من مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم
في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع
النداء فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة
السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا
ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى فلنفسه فنفسه نفع نفعها فنفسه ضر وما ربك
بظلام فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها قيل الله
يعلم او لا يعلمها الا الله وقري من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة
كجف الطلعة اي وما يحدث شيء من خروج ثمر ولا حمل حامل ولا وضع واضع
الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام
والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك اين شركاي اضافهم اليه على
زعمهم وبيانه في قوله اين شركاي الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع اذناك
اعلمناك وما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد
بانهم شركاؤك وما منا الا من هو موحد لك وما منا من احد يشاهدهم
لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل
هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى
ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانوا ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا
والمحيص المهرب فان قلت اذناك اخبار باذنا كان منهم فاذ قد اذنوا
فلم سالوا قلت يجوز ان يعاد عليهم اين شركاي اعادة للتوبيخ
واعادته في القران على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون
المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الان انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة
لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا
يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت
من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرا ابن مسعود من دعاية الخير
وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيؤوس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق
بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر الياس فيتضاءل
وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله تعالى وروحه وهذه صفة الكافر بدليل
قوله سبحانه انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذا رحمناه

من مكان بعيد ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك
منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن
اساء فعليها وما ربك بظلام
للعبيد اليه يرد علم الساعة وما
تخرج من ثمرات من اكمامها وما
تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
ويوم يناديهم اين شركاي قالوا
اذناك ما منا من شهيد وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل
وظنوا ما لهم من محيص لا يسام
الانسان من دعاء الخير وان مسه
الشر فيؤوس قنوط ولئن اذقناه

بصحة

٢٠١

رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن
هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا
انعمنا على الانسان اعرض وناى
بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء
عريض قل ارايتم ان كان من عند
الله ثم كفرتم به من اضل ممن

بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني
استوجبته بما عندي من خير واعمال بر وهذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى
فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ونحو قوله وما اظن الساعة قائمة
ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون فان كانت على طريق
التوهم ان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الاخرة
على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى
ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الاخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل
نزلت في الوليد بن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب
ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها الكرامة والقربة عند
الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون
اموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون
ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك هذا ايضا ضرب
اخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بؤسا
فنسي المنعم واعرض عن شكره وناى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم
وان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد
استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له
الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ وناء بجانبه بامالة
الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في راى فان قلت
حقق لي معنى قوله وناى بجانبه قلت فيه وجهان ان يوضع
جانبه موضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان
الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه ونفيت عنه مقام
الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه قوله سبحانه ولمن خاف مقام
ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه ومجلسه وكتبت الى جهته والى
جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال وناى بنفسه والثاني ان يراد بجانبه عطفه ويكون
به الجانب كله ذهب وعصفت به الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون
عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه ارايتم اخبروني
ان كان القران من عند الله يعني ان ما انتم عليه من انكار القران وتكذيبه
ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور
وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان
لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد
كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته

ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم
بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم يعني ما يسر الله عز
وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في افاق الدنيا
وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر
امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب
قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة
عن المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في الاقطار المعمورة وبسط دولته
في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامه
على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله واية من اياته يقوى
معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد
عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق
كما ان التزلزل والاضطراب صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن
ودولة تظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد
بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه ان هذا الموعود من
اظهار ايات الله في الافاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك
ان القران تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي
عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك
لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة قرئ في مرية بالضم وهي الشك
محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها ولا تخفى عليه خافية منهم
وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة حم السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك
الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما
تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه
من قبلك الى رسله على معنى ان الله تعالى كرر هذه المعاني في القران وفي جميع الكتب
السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والاخرين
ولم يقل اوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته وقرئ
يوحى اليك على البناء للمفعول فان قلت فما رافع اسم الله على هذه القراءة
قلت ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي

وكذلك

هو في شقاق بعيد سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط
بسم الله الرحمن الرحيم
حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم

له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض

وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع
الشركاء على معنى زينه لهم شركاؤهم فان قلت فما رافعه فيمن قرأ
نوحي بالنون قلت يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان
والظرف خبر قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن ابي عمرو
قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي
الابل تتشممن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شان الله تعالى وعظمته يدل عليه
مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن
منه فان قلت لم قال من فوقهن قلت لان اعظم الايات وادلها
على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة
بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله تعالى من اثار ملكوته
العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية
او لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال ينفطرن
من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة
في جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي
تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق
الارضين فان قلت كيف صح ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار
اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون
لاعنين مستغفرين لهم قلت قوله لمن في الارض يدل على جنس اهل
الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا
وقد دل الدليل على ان الملائكة لا يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد
الله الا اياهم الا ترى الى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين امنوا وحكايته
عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب
به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم
فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا
وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم
بالانتقام فيكون عاما فان قلت قد فسرت قوله تكاد السموات
يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما اتبعه لهما قلت اما على احدهما
فكانه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة
الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون

خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن في الارض خوفا
عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن يتفطرن من اقدام اهل الشرك
على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه
من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون نحمدا مدين له على ما اولاهم من الطاف
التي علم انهم عندها يستغفرون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني
اهل الارض الذين تبراوا من تلك الكلمة ومن اهلها او ليطلبون الى ربهم ان يحلم
على اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك منهم لما عرف في ذلك
من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم والذين
اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على
احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم ومعاقبهم لا رقيب عليهم
الا هو وحده وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على
الايمان انما انت منذر فحسب ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى
الاية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير
لهم لان هذا المعنى كرره الله تعالى في كتابه في مواضع جمة فالكاف مفعول به
لاوحينا وقرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحينا اليك وهو قران عربي بين
لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز ان يكون
ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك
قرانا عربيا لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدي الاول اعني
لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول
الثاني ام القرى اهل ام القرى كقوله واسئل القرية ومن حولها من العرب
وقرئ لينذر بالياء والفعل للقران يوم الجمع يوم القيمة لان الخلائق تجتمع فيه
قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل
يجمع بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له من الاعراب قرئ
فريق وفريق بالرفع والنصب والرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين
لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اي متفرقين كقوله تعالى
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فان قلت كيف يكونون
مجموعين متفرقين في حالة واحدة قلت هم مجموعون في ذلك اليوم
مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما تجمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجد
وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم
امة واحدة اي مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لاتينا كل
نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل

الا ان الله هو الغفور الرحيم والذين
اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ
عليهم وما انت عليهم بوكيل
وكذلك اوحينا اليك قرانا
عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها
وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق
في الجنة وفريق في السعير ولو

على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
وقوله افانت تكره الناس بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان
الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة
لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون
ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين
ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه معنى الهمزة في ام الانكار فالله هو
الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى والسيد والفاء في قوله فالله
هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا اولياء بحق فالله
هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي اي ومن شان هذا الولي انه يحيي الموتى وهو
على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم
فيه من شيء حكاية قول رسول الله للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل
الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك
المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة الظالمين
المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه
ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات
فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم
فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله وقيل وما
وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه
فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي فان قلت هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة قلت
لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه فاطر السموات
قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر على
فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف
جعل لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق
من الانعام ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرا الله الخلق بثهم وكثرهم والذر
والذرو والذرء اخوات فيه في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام
ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع
الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل
وهي من الاحكام ذات العلتين فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا
التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج

شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن
يدخل من يشاء في رحمته والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا
من دونه اولياء فالله هو الولي وهو
يحيي الموتى وهو على كل شيء
قدير وما اختلفتم فيه من شيء
فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه
توكلت واليه انيب فاطر
السموات والارض جعل لكم من
انفسكم ازواجا ومن الانعام
ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير

تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حيوة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله
وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا طريق الكناية لانهم
اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك
للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت
لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة ابنت صيفي في
سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته
وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين
قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فايدتها وكانهما عبارتان معتقبتان
على معنى واحد وهي نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان
فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود
لا يقصدون شيئا اخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل
هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت
للتاكيد كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل
كعصف ماكول وقرئ ويقدر انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير
للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء
ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى
وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وساير ما يكون الرجل باقامته مسلما
ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة
قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا اما نصب بدل
من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذاك
المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة
كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله
والتوحيد يجتبي اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد
من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليه لطفه وما تفرقوا يعني اهل
الكتاب بعد انبيايهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد
عليه على السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التاخير الى
يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين
بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء

بينهم

له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر انه بكل
شيء عليم شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما
وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي
اليه من ينيب وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ولولا كلمة الفصل
سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي
بينهم وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب

بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم
وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم
المشركون اورثوا القران من بعد ما اورث اهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ
ورثوا وورثوا فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب
الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والايتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم
عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من
كتاب باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين
امنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى
قوله اولئك هم الكافرون حقا لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي
لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا
حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا
حجته الله يجمع بيننا يوم القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم ومنه محاجة
ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت كيف حوربوا
وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء
قلت المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة يحاجون في الله
يخاصمون في دينه من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم
الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن
خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر
واظهر دين الاسلام داحضة باطلة زالة انزل الكتاب اي جنس الكتاب والميزان
والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن
به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته
الحكمة او بالواجب من التحريم والتحليل وغير ذلك الساعة في تاويل البعث فلذلك
قيل قريب او لعل مجيء الساعة فان قلت كيف توفق ذكر اقتراب الساعة
مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين
القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرايع قبل ان يفاجيكم
اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف المماراة
الملاحة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام
الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها اتية لا ريب فيها

فلذلك فادع واستقم كما امرت
ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل
الله من كتاب وامرت لاعدل
بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع
بيننا واليه المصير والذين يحاجون
في الله من بعد ما استجيب له حجتهم
داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم
عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
وما يدريك لعل الساعة قريب
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين
امنوا مشفقون منها ويعلمون انها
الحق الا ان الذين يمارون في الساعة
لفي ضلال بعيد

والشهادة المقبول على انه لابد من دار جزاء لطيف بعباده بر بليغ البر بهم
قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد
من كلياته وجزئياته فان قلت فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد
توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان
البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا
الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لاخر ويصيب
هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لم يقسم
للاخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين
ولدا دون الاخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي
الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب سمى ما يعمله
العامل مما يبغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بان
من عمل للاخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي شيئا
منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب
قط في الاخرة ولم يذكر في معنى عامل الاخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه
المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من
زكاء عمله وفوزه في المآب معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها
وهو الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى عن الاذن فيه والامر به وقيل
شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف
اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله سبحانه ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم
جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم صلوات الله عليه انهن اضللن كثيرا
من الناس ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او ولولا العدة
ان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين
المشركين وشركائهم وقرا مسلم ابن جندب وان الظالمين بالفتح عطفا له على
كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الاخرة لقضي
بينهم في الدنيا ترى الظالمين في الاخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا ارق
قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد وباله واقع بهم وواصل
اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا كان روضة جنة المؤمن اطيب
بقعة فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤن قرئ يبشر من بشره
ويبشر من ابشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده
فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذي

الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو
القوي العزيز من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب
ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم
ياذن به الله ولولا كلمة الفصل
لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم
ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا
وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات لهم
ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل
الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده

بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده روي انه
اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسال على ما يتعاطاه
اجرا فنزلت الاية الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسالكم
اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم
فكانت صلتهم لازمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسالكم اجرا قط
ولكن اسالكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم فان قلت
هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى
قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى
وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا
قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في
الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى
بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال عليه السلام علي وفاطمة وابناهما ويدل
عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد
الناس فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن
والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع الى احد
من ولد عبد المطلب صنيعة ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم
القيمة وروي ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس
رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم
في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول
الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوني
قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فاويناك او لم يكذبوك
فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال الراوي فما زال يقولها حتى جثوا على الركب
وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات
مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات
مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر
ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا
ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد
زف الى الجنة كما تزف العروس ومن جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب

الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا
اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى
ومن يقترف حسنة نزد له فيها
حسنا ان الله غفور شكور

المحمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة
مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة
الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله وبينهم قربى
فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني في القربى اي في حق القربى
ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله يعني انكم
قومي واحق من اجابني واطاعني فاذا قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني
ولا تهيجوا علي وقيل اتت الانصار رسول الله بمال جمعوه وقالوا يا رسول
الله قد هدانا الله بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق ومالك سعة
فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله اي الا
ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في
القربى ومن يقترف حسنة عن السدي انها المودة في آل رسول الله نزلت في ابي
بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها
لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان
سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها
كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى
وهي مصدر كالبشرى الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها
والتفضل على المثاب ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان
ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها
فان يشا الله يختم على قلبك فان يشا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري
عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان في مثل حالهم وهذا
الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في
جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل
الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون
مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل
ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
يعني انه لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على
باطله فدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل
الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه
الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر
على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني
لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر

حتى

ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور

حتى لا يشق عليه اذاهم فان قلت ان كان قوله ويمح الله الباطل
كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط قلت
كما سقطت في قوله ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية على انها مثبتة في بعض
المصاحف يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه
وجعلته مبدأ قبولي ومنشاه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه
والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا
يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن
بد من التقصي على طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته
قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين
وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة
معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة
النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة
المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات عن الكبائر اذا تيب عنها
وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما يفعلون قرئ بالتاء والياء اي يعلمه
فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته ويستجيب الذين آمنوا ويستجيب لهم
فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب
تفضلا او اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل
الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من
فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن
ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ
والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى
هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا　　وبين بني رومان نبعا وشوحطا

يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي والتغابن او من البغي وهو البذخ والكبر
اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم
من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك
انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها ينزل بقدر بتقدير يقال
قدره قدرا وقدرا خبير بصير يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم
واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير

الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان قلت
قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان
كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون
البغي بغير البسط فلم شرطه قلت لا شبهة في ان البغي مع الفقر اقل
ومع الغنى اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام فلو عم
البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن قرئ قنطوا بفتح
النون وكسرها وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من
الخصب وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا
اذن اراد هذه الآية ويجوز ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال ينزل الرحمة التي
هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة الولي الذي يتولى عباده باحسانه الحميد
المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته وما بث يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا حملا على
المضاف اليه او المضاف فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض
وحدها قلت يجوز ان ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا
ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في فخذ من افخاذهم
او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة عليهم السلام
مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في
السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم وما
لا نعلم من اصناف الخلق اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل
اذا يغشى ومنه اذا يغضبوا وقال الشاعر
واذا ما اشاء ابعث منها ... آخر الليل ناشطا مذعورا في مصاحف اهل
العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة
بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأ وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط
والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن
بعض فاما من لا جرم له اصلا كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من
الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق
ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم
ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفي عنه مولاه اكثر كان قليل
النظر في احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته في
طاعاته اكثر من جناياته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من
وجوه والله يطهر عبده بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيامة ولولا

عفوه

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير

عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه
في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة
وعنه رضي الله عنه هذه ارجى آية في القرآن للمؤمنين بمعجزين بفائتين ما
قضي عليكم من المصائب من ولي من متول بالرحمة الجوار السفن وقرئ
الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنساء كانه علم في راسه نار
وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل
رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر البحر لكل صبار على بلاء الله شكور لنعمائه
وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات
الله فهو يستملي منها العبر يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشأ يبتل المسافرين
في البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجوار على متن البحر ويمنعهن
من الجري واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب
ويعفو عن كثير منها فان قلت علام عطف يوبقهن قلت على يسكن
لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها فان
قلت فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت
معناه او ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت
فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام فان قلت فما
وجوه القراءات الثلاث في ويعلم قلت اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما
الرفع فعلى الاستئناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم
منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن
منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله وخلق الله السموات والارض بالحق
ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول
ما تصنع اصنع واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك
جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو
في قوله ان تأتني آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فاستريحا
فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه
ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام
ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه
ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها
كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة فان قلت فكيف يصح
المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قال او ان يشأ يجمع بين ثلاثة امور
هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد عن عقابه ما اوتي

وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص

[illegible]

فضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع
لابي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون
وخطاه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون عطف على للذين آمنوا وكذلك
ما بعده ومعنى كبائر الاثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس
رضي الله عنه كبير الاثم الشرك هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب
لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد
يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت في
الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به
واطاعوه واقاموا الصلوة واتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا
فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور
قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى
قوله وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله وعمر
ابن الخطاب الخلافة شورى هو ان ينتصروا اي الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم
ولا يعتدوا وعن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم
فيجترئ عليهم الفساق فان قلت ___ اهم محمودون على الانتصار
قلت ___ نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف في
القتل ان كان ولي دم او رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل
مطيع محمود كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال
الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب
والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها من غير زيادة
فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه بالعفو
والاغضاء كما قال فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة
مبهمة لا يقاس امرها في العظم وقوله انه لا يحب الظالمين دلالة على ان الانتصار
لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما
كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم
القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم
على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله
بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم فاولئك
اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون

فيها

فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة
الدنيا وما عند الله خير وابقى
للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش واذا ما غضبوا هم
يغفرون والذين استجابوا لربهم
واقاموا الصلوة وامرهم شورى
بينهم ومما رزقناهم ينفقون و
الذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
وجزاؤ سيئة سيئة مثلها
فمن عفا واصلح فاجره على الله
انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر
من بعد ظلمه فاولئك ما عليهم
من سبيل انما السبيل على الذين
يظلمون الناس ويبغون في الارض

فيها ويعلون ويفسدون ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر وفوض
امره الى الله ان ذلك منه لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من
قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله
فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن
عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس
الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف
زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان
زينب اسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة دونك
فانتصري ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده ومن يخذل الله فما له من ناصر
يتولاه من بعد خذلانه خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل
وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين من طرف خفي اي يبتدئ
نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف
وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما
يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر
من طرف خفي وفيه تعسف يوم القيمة اما ان يكون متعلقا بقوله خسروا او
يكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما ان يكون متعلقا بقال اي يقولون يوم
القيمة اذا راوهم على تلك الصفة من الله من صلة لا مرد له اي لا يرده الله
بعد ما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر احد
على رده والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا
شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله
وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما
تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض
والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان
هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان
لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لما ذكر اذاقة الانسان
الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان لله الملك وانه يقسم النعمة والبلاء
كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث
وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط
فان قلت ___ لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم
ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت ___ لانه ذكر البلاء في آخر الآية
الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه

بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن
يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى
الظالمين لما راوا العذاب يقولون
هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون
عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف
خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين
خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة
الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما
كان لهم من اولياء ينصرونهم من
دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا
لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله
ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير
فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم
حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا
اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
فان الانسان كفور لله ملك
السموات والارض يخلق ما يشاء
يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشاء عقيما انه عليم قدير

ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما
يشاءه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان
اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء
واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان
التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين
الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير
وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض اخر فقال ذكرانا واناثا كما
قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل
نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم
ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم بمصالح العباد
قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا
على ثلاثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى
الى ام موسى والى ابراهيم في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله تعالى الزبور الى داود
في صدره قال عبيد بن الابرص
فاوحى الي الله ان قد تامروا بابل ابي اوفى فقمت على رجل اي الهمني وقذف
في قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان
يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب مثل
اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا
يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه رسولا
من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل
بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا
وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء
حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان
يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا
موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا
خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان
الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله رسلك
او رسولك وقوله ومن وراء حجاب معناه او اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا
في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان
يوحي او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه
نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل

او

وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي اليه ما يشاء انه

او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي ان اليهود قالت للنبي
صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر
اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت
وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية
ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الاية انه علي عن صفات المخلوقين
حكيم يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بغير واسطة
اما الهاما واما خطابا روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق يحيون به
في دينهم كما يحيى الجسد بالروح فان قلت قد علم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما كان يدري ما القران قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان
وكل الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال
ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب
الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون
من الكفر قلت الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل
وبعضها الطريق اليه السمع فعني به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك
ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله تعالى
وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان من نشاء من
عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه صراط الله بدل وقرئ
لتهدي اي يهديك الله وقرئ لتدعو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون له

سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم بالكتاب المبين وهو القران وجعل قوله انا جعلناه قرانا عربيا جوابا للقسم
وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد
واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين للذين انزل
عليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان
طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة جعلناه
بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل
الظلمات والنور وقرانا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها
ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا
لولا فصلت اياته وقرئ ام الكتاب بالكسر وهي اللوح كقوله بل هو قران مجيد

عليم حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب

في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل
وتستنسخ علي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة
اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام الكتاب هكذا افنضرب
عنكم الذكر صفحا بمعنى افننحي عنكم الذكر ونزوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم
ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب غرائب الابل
وقال طرفه اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء
للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على
خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرانا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه
وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له
على معنى افنعزل عنكم انزال القران والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى
الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم
جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من
قرا صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه اخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح
وينتصب على الحال اي صافحين معرضين ان كنتم لان كنتم وقرئ اذ كنتم واذ
كنتم فان قلت كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين
على البت قلت هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر من المدل بصحة
الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم
بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك
في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وما ياتيهم حكاية حال ماضية مستمرة
اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه
الضمير في اشد منهم للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله
يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القران في غير موضع منه ذكر
قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول
الله ووعيد لهم فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما
سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله تعالى فانشرنا به
بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه قلت
هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي
من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه
اليه بقدر بمقدار يسلم معه العباد والبلاد ولم يكن طوفانا مغرقا والازواج
الاصناف ما تركبون اي تركبونه فان قلت يقال ركبوا الانعام
وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت غلب

المتعدي

ولدينا لعلي حكيم افنضرب عنكم الذكر
صفحا ان كنتم قوما مسرفين
وكم ارسلنا من نبي في الاولين
وما ياتيهم من نبي الا كانوا به
يستهزءون فاهلكنا اشد منهم
بطشا ومضى مثل الاولين ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي
جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم
فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي
نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به
بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي
خلق الازواج كلها وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون

المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على
ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها
في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما يروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على
الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل
ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما انه راى رجلا ركب دابته فقال سبحان الذي سخر لنا
هذا فقال ابهذا امرتم فقال وبم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم كان قد اغفل التحميد
فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لاداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا
الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات
فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال
ابن هرمة واقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر وحقيقة اقرنه
وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم في
الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد فان قلت
كيف اتصل بذلك قوله وانا الى ربنا لمنقلبون قلت كم من راكب دابة عثرت
به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا
فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر واتصالا بسبب من اسباب التلف كان من حق الراكب وقد
اتصل بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة
فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون
مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب
موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه
تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر
والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن
وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره ولقد بلغني ان بعض
السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمانت
به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اولئك الراكبين وبين ما امر
الله به في هذه الاية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة وجعلوا له من عباده
جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي ولئن سالتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد
جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من
عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد
بضعة من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء

لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة
ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من
عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين

في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول لا يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزات المرأة ثم انصنعوا بيتا وبيتا

ان اجزأت حرة يوما فلا عجب · زوجتها من بنات الاوس مجزئة

وقرئ جزء بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله ام اتخذ بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن وقد بلغ بهم المقت الى ان وادوهن كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير البنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حاله ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امراته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

ما لابي حمزة لا ياتينا · يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ان لا نلد البنينا · ليس لنا من امرنا ما شينا

وانما ناخذ ما اعطينا

والظلول بمعنى الصيرورة كما تستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة الذميمة صفته وهو انه ينشا في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا ياتي ببرهان يحجّ به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امراة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها وفيه انه جعل النشا في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويانف منه ويربا بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشا وينشا وينشا ونظير المناشاة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم جهلا واستحقروهم وقرئ عبيد الرحمن وعبد الرحمن جعلوا اسموا وقالوا انهم

اناث

ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم اومن ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم

اناث وقرئ أَشهدوا وأُأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بالف بينهما وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم وان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولم يتطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا خلقهم واخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والتاء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفران ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشية الله كما يقول اخوانهم المجبرة فان قلت ما انكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين قلت لا دليل على انهم قالوه على وجه الاستهزاء وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على سبيل الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي ان يكونوا جادين وتشترك كلها في انها كلمات كفر ولو قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا التعويج كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازئا فان قلت ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشية الله قلت تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم الضمير في من قبله للقرآن او الرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشية الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال ام آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا آباءنا على امة على دين وقرئ امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي

ستكتب شهادتهم ويسألون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون

توم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي تكون عليها الآم وهو القاصد
وقيل على نعمة وحالة حسنة على اثارهم مهتدون خبران والظرف صلة لمهتدون
مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون
مشاق الدين وتكاليفه قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون اباءكم
ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم قالوا انا ثابتون على دين ابائنا لا ننفك عنه
وان جئتنا بما هو اهدى واهدى قرئ براء بفتح البا وضمها وبريء فبريء وبراء
نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر
والمونث يقال نحن البراء منك والخلاء منك الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون نصبا
على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا
بدلا من المجرور بمن كانه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني فان قلت
كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين احدهما ان ذات الله سبحانه
وتعالى مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما تعبدون والثاني ان الله
عز وجل غير معبود بينهم والاوثان معبودة قلت قالوا كانوا يعبدون
الله مع اوثانهم وان يكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في قوله ما تعبدون
موصوفة تقديره انني براء من الهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله سيهدين
على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع
بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال
والاستقبال وجعلها وجعل ابراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي
تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه
في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعل من اشرك يرجع
بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ
كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت
هؤلاء يعني اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة
وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم
الحق وهو القران ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الايات البينة فكذبوا
به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابراهيم وقرئ بل متعنا
فان قلت فما وجه من قرا متعت بفتح التاء قلت كان الله تعالى
اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل
متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة
التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب

وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت اباءهم حتى

علم

علیهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان
لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه
ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه
هذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله فان قلت قد جعل مجيء
الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر
فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له
وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا
عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا
عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال
ولما جاءهم جاءوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم
معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرايعه
والاصرار على افعال الكفر والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من اهل زمانه
بقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه
صورة امرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما والقريتان مكة والطائف وقيل
من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي
عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة
الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا
ما يقول محمد لنزل هذا القران علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود
كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا
بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاءوا بالانكار من
وجه اخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القران ذكر له على
وجه الاستهانة به وارادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن
عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة
للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم
المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة
الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم
انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز
وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها
فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل
منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا

حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا

في مراجعهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا
ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم
وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير امر المعيشة الدنية
في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة
الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الاخرة والسلم الى
حلول دار السلامة ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله
وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا فان قلت
معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من
يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال قلت الله
تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع
واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطريق التي احلها
فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم
يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش
والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو
عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن
يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ
سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف
كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في
سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي
المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها
فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف
لما متاع الدنيا اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي
للذي هو متاع الحيوة كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان
نافية وقرئ الا وقرئ وما لذلك الا [illegible] فلما قلل
امر الدنيا اردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة
واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة
زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة
وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان
يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب
فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء فان قلت

سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم
ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
وان كل ذلك لما متاع الحيوة
الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين

فحين

فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي تؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق
الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس
على الاسلام قلت التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي اليه من
الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين
فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين فقراء واغنياء وغلب الفقر على الغنى
قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره
قيل قد عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به
الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تأته
تعشو الى ضوء ناره اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود
واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم اعشو اذا ما جارتي برزت حتى يواري
جارتي الخدر وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط وحق
هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن
وهو القرآن كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن
ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشيطان كقوله وقيضنا
لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقيض اي يقيض له
الرحمن ويقيض له الشيطان فان قلت لم جمع ضمير من وضمير
الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم قلت لان من مبهم في جنس العاشي
وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين
جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على ان الفعل
له ولشيطانه قال الشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق
والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران فان قلت فما بعد المشرقين
قلت تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما
غلب وجمع المتفرقين بالتثنية اضاف البعد اليهما انكم في محل الرفع على الفاعلية
يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب
اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان
كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك ان تجعل الفعل للتمني
في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني
مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان
حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر
ويقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روحه ذلك

ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل
ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا
قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم
انكم في العذاب مشتركون

ونفس بعض كربه وهو التاسي الذي ذكرته الخنساء اعزي النفس عنه بالتاسي
فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه فان قلت
ما معنى قوله اذ ظلمتم قلت معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم
ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيمة واذ بدل من اليوم ونظيره
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني ولد كريمة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه
الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم انكار
تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم
الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع
من في القبور ما في قوله فاما نذهبن بك بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت دخلت
معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدرك وصدور المؤمنين
منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام في الآخرة كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون
وان اردنا ان نريك في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت
مشيئتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال
ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة
وقرئ بالذي اوحى اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء
عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرناه الى اليوم الآخر فكن متمسكا بالذي اوحينا
اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد
كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شيء من
اللين والرخاوة في امرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل الظفر
ولا يثبطه تاخيره وانه وان الذي اوحي اليك لذكر لشرف لك ولقومك
ولسوف تسئلون عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم
على ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة
السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت
عبادة الاوثان قط في ملة من ملل انبياء وكفاه نظرا وفحصا في كتاب الله المعجز المصدق
لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا
وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث
لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسالة الشعراء الديار والرسوم والاطلال
وقول من قال سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها
ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء
ليلة الاسراء في بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل

معناه

افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان
في ضلال مبين فاما نذهبن بك
فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم
فانا عليهم مقتدرون فاستمسك
بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم
وانه لذكر لك ولقومك ولسوف
تسئلون واسئل من ارسلنا من
قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون ولقد ارسلنا موسى باياتنا

معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التوراة والانجيل وعن الفراء هم
انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه سأل الانبياء وما اجابوه به
عند قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم باياتنا وهو
مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية اذا هم منها يضحكون
اي يسخرون منها ويهزؤون بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجاة فان قلت
كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة قلت لان فعل المفاجاة معها
مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاوا وقت
ضحكهم فان قلت اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما اختها
التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات قلت اختها التي هي آية
مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الآيات على سبيل
التفضيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو افضل رجل رايته تريد تفضيله
على امة الرجال الذين رايتهم اذا قروتهم رجلا رجلا فان قلت هو كلام
متناقض لان معناه ما من آية من التسع الا وهي اكبر من كل آية واحدة منها فتكون
كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام
انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء التي
تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير ان تختلف آراء الناس في
تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا
رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة
يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري
ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية
قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى
اين طرفاها لعلهم يرجعون ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت
لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره به
ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان
يوجد وان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة
لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك
وقرئ يا ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فان قلت كيف سموه
بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلت قولهم اننا لمهتدون وعد
منوي اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يكشف بدعوته ويكشف
عنهم العذاب الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فكانت

وسلطان مبين الى فرعون وملائه فقال
اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا
اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا
هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا
يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك
اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم
العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون

تجيء وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم
مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول
والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة
وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
فدل به على ان الاية للاصنام على ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل
لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم
عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير ام هو على هذا القول
تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما
قالوا هذا القول يعني آلهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ آلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام
وباسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا ويجوز ان
يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا
ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت
النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو
لمحمد صلوات الله عليه وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية والاستهزاء
ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا
من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه
ونحن اشد منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي
فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه
بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل وما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه
حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة
عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر
لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم
كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان
الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وانه وان عيسى
عليه السلام لعلم للساعة اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به
وقرأ ابن عباس رضي الله عنه لعَلَم وهو العلامة وقرئ للعَلَم وقرأ ابي لذكر على
تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على
ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده
حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والامام يؤم
بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم
يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به

وعن

وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان

وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة لان فيه الاعلام بها
فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون واتبعوا هداي وشرعي ورسولي وقيل
هذا امر لرسول الله ان يقوله هذا صراط اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن
ان جعل الضمير في وانه للقرآن عدو مبين قد بانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة
ونزع عنه لباس النور بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات
الواضحات بالحكمة يعني الانجيل والشرائع فان قلت هلا بين
لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قلت كانوا يختلفون في الديانات
وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما
بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر دينهم الاحزاب الفرق المتحزبة بعد
عيسى وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب فان قلت
من بينهم الى من يرجع الضمير فيه قلت الى الذين خاطبهم عيسى في قوله
قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل
ينظرون الا اتيان الساعة فان قلت اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله
وهم لا يشعرون فيستغنى عنه قلت لا لان معنى قوله وهم لا يشعرون
وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز ان
تأتيهم بغتة وهم فطنون يومئذ منصوب بعدو اي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين
المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله فانها
الخلة الباقية المزدادة قوة اذا رأوا ثواب التحاب في الله والتباغض فيه وقيل
الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي
معيط يا عبادي حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ والذين
آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف اي الذين صدقوا بآياتنا
وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل
اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم
ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين وقرئ يا عباد تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة
النعيم وقال الزجاج يكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل
والكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا
حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون وتلك
اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ والجنة خبر والتي اورثتموها صفة للجنة او الجنة
صفة للمبتدأ الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها خبر المبتدأ او التي اورثتموها
صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه

انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض
الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون
ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين
ظلموا من عذاب يوم اليم هل ينظرون الا
الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا
وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم
وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف
من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس
وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون

الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورّثتموها منها تاكلون من للتبعيض لا تاكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها والمبلس اليائس الساكت سكوت ياس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار وقرا علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس رضي الله عنه ان ابن مسعود قرا ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرا ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضي علينا فان قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس قلت تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم انه لا فرج لهم ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضي الله عنه انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلوات الله عليه يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرا لقد جئتكم ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سالوا مالكا ان يسال الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك كارهون لا تقبلونه وتنفرون عنه وتشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا ام احكم مشركو اهل مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله فان قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعها ونطلع عليها ورسلنا يريد الحفظة عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى ابن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات والارض فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم

ذلك

لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان

٢٦٧

ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه لكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد ابن جبير رحمه الله تعالى للحجاج حين قال له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرا بعضهم العبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال ذلك وعبد ووحد وروي ان النضر ابن عبد الدار ابن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد ابن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ ولد بضم الواو ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه صفة الاجسام ولو كان جسما لما يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية بينهم وبين الشيطان كقوله اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات

رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم

وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك ونحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قايل لك شيئا وزاده طولا ان الموصول داخل في حيز الصلة ويحتمل ان يكون في السما صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السما على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض قري ترجعون بضم التاء وفتحها ويرجعون بيا مضمومة وقري تحشرون بالتاء ولا يملك الهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثنا منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان من جملة الذين يدعون من دون الله الملايكة وقري تدعون وتدّعون بالتاء وتشديد الدال وقيله قري بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هولاء قوم لا يومنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هولاء قوم لا يومنون فاصفح عنهم واعرض عن دعوتهم تايسا عن ايمانهم ودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير في وقيله لرسول الله واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الاية وهي سبع وخمسون اية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتدا المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وقوله انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القران والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل

بينها

وتبارك الذي له ملك السموات والارض وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يوفكون وقيله يا رب ان هولاء قوم لا يومنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها

بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراة كذلك الله عز وعلا يكتب لعباده المومنين البراة في تلك الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة ماة ركعة ارسل الله اليه ماة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يومنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه افات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال النبي عليه السلام ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه السلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا وما اعطي فيها رسول الله من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان فان قلت ما معنى انزال القران في هذه الليلة قلت قالوا انزل جملة واحدة من السما السابعة الى سما الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل ينزله على رسول الله صلوات الله عليهما نجوما نجوما فان قلت انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القران من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما ينتج الله فيها من الامور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القران وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد واجالهم وجميع امورهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبتدي في الاستنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سما الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصايب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقي على السنة الخلق

فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك

مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرّق بالتشديد ويفرق على بنائه للفاعل
ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرء زيد بن علي رضي الله عنه نفرق بالنون كل
امر حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي
لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز امرا من عندنا نصب
على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكمة ثم زاده جزالة وكسبه
فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه
علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع
فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا
حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه
اما من ضمير الفاعل اي انزلناه امرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال
كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل فان قلت انا كنا مرسلين رحمة
من ربك بم يتعلق قلت يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة
من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القران لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب
الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا
ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله وما يمسك
فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر من عندنا
لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من
باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض في تكليف
العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع المضمر
ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي امر من عندنا
بل هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرء الحسن رحمة من ربك على تلك
رحمة من ربك وهي تنصر انتصابها بانها مفعول له انه هو السميع العليم وما بعده
تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه وقرئ رب السماوات وربكم
ورب ابائكم بالجر بدلا من ربك فان قلت ما معنى الشرط الذي هو
قوله ان كنتم موقنين قلت كانوا يقرون بان للسموات والارض
ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا
الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا
انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاءه ان بلغك حديثه
وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم
غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب يوم

انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباءكم الاولين بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تاتي السماء

تاتي السماء مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف
في الدخان فعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وبه اخذ الحسن انه دخان ياتي من
السماء قبل يوم القيمة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس احدهم كالراس الحنيذ
ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه
خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى ابن
مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله
وما الدخان فتلا رسول الله هذه الاية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب
اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم
والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند
ابواب كندة يقول ان دخانا ياتي يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من
علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء
لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وساحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان
الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه
ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه فناشده الله والرحم
وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم
بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان يغشى الناس يشملهم
ويلبسهم وهو في محل الجر صفة الدخان وهذا عذاب الى قوله مؤمنون منصوب
المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك
انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب انى لهم الذكرى كيف
يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم
ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله
من الايات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه
وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى
الجنون ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما نكشف عنكم العذاب
تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال
فان قلت كيف تستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة
قوله انا كاشفوا العذاب قليلا قلت اذا اتت السماء بالدخان تضور
المعذبون به من الكفار والمنافقين وعوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب

بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم

انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد ارتعائهم يومًا قريبًا نكشفه عنهم يريدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون وهو منتقم لا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد او لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم في الرزق وكان ذلك سببًا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام وابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه لان الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي هي ان المفسرة لان مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان والحديث ادوا الي عباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل تقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها اي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبي الله بسلطان مبين بحجة ظاهرة ان ترجمون ان تقتلون وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ان هؤلاء بان هؤلاء اي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادي وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبر ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين رهوا فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل اي مشيا

نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون

ساكنا

ساكنا على هينة اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر ان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرئ بالفتح بمعنى لانهم ومقام كريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او في موضع رفع على الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن ولا مؤمنة مات في غربة غابت فيه بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه ولذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا من فرعون بدل من العذاب المهين كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه

كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم

اوعاليا متكبرا كقوله ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا الضمير في اخترناهم لبني اسرائيل وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة وانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم من الايات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الايات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لينظر كيف يعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هؤلاء اشارة الى كفار قريش فان قلت كان الكلام واقعا في الحيوة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى قلت معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها ان يتعقبها حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذن بين هذا وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فاتوا بآبائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا لسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على صحة ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال باسم الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه السلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لانه

على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين

يتبع

يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله اهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنه اهم اشد ام قوم تبع وما بينهما وما بين الجنسين وقرا عبيد ابن عمير وما بينهن وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل لا يغني مولى عن مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها عن اي مولى كان شيئا من اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه قرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رحمه الله القراءة بالفارسية على شريطة وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداته لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك يغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها فان قلت هلا قيل صبوا فوق راسه من الحميم كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليهم وذاقوا من صب

اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم

ولقوله تعالى افرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون
اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز
ويتكرم على قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين
جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ
انك بمعنى لانك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قرا به على المنبر ان هذا
العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون وتتمارون وتتلاجون
قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع
مستعملا في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والامين من قولك امن
الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف
كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق
ما غلظ منه وهو تعريب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع في القرآن
العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى
التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب
كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوبة على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم
وقرا عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين انما
تكون حورا او غير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلهن مثلا وفي قراءة عبد
الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرا عبيد بن عمير لا يذاقون
فيها الموت وقرا عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت فان قلت كيف
استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها
قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة
الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب
التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل
فانهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء من ربك
وثوابا يعني كل ما اعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل اي ذلك
فضل فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة ومعناه ذكرهم بالكتاب المبين فانما
يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه قومك
ليتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر
له سبعون الف ملك وعنه عليه السلام من قرا حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية وقيل ست وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين ... لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ... واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون

وفي خلقكم ... للمؤمنين ... وما يبث من دابة آياته

حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف
مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا ان في السموات والارض يجوز ان
يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم فان
قلت علام عطف وما يبث اعلى الخلق المضاف ام الضمير المضاف اليه
قلت بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف
عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه
كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد قرئ آيات لقوم يوقنون بالرفع والنصب
على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون فمن
العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي
اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات
واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرا
ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على عاملين
على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الآية
عنده قلت فيه وجهان احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه
تقدم ذكره في الآيتين قبلها وتعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والثاني ان
تنتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله وعلى التكرير
ورفعها على اضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث
من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات
والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله
واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة
وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى
عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار
ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا
ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق تلك
اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال اي
متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلي
شيخا وقرئ يتلوها بالياء بعد الله وآياته اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد
وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يكون بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه
كقوله الله نزل احسن الحديث وقرئ تؤمنون بالياء والتاء الافاك الكذاب
والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار

الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالايات والاذعان
لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده وقيل نزلت في النضر بن الحارث وما
كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران والاية عامة فيمن كان
مضارا لدين الله فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت
كمعناه ويطلب الفرار واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم
الايذان بان فعل المقدم عليها بعد ما رآها وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة
عندها واستكباره عن الايمان بها كان مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير
الشان كما في قوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل
غير السامع واذا بلغه شيء من اياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الايات هزوا
ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الايات التي انزلها
الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الايات ولم يقتصر على الاستهزاء بما
بلغه ويحتمل واذا علم من اياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق
به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ اياتنا هزوا وذلك نحو اعتراض ابن الزبعرى قوله عز
وعلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله وقوله خصمتك
ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الاية كقول ابي العتاهية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهدي يكفيها

حيث اراد عتبة وقرئ علم اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين والوراء
اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال اليس ورائي ان تراخت منيتي
ادب مع الولدان ازحف كالنسر ومنه قوله عز وجل من ورائهم اي من قدامهم ما كسبوا
من الاموال في رحلهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا اشارة
الى القران يدل عليه قوله والذين كفروا بايات ربهم لان ايات ربهم هي القران اي هذا
القران كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية واي رجل والرجز اشد
العذاب وقرئ بجر اليم ورفعه ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص في البحر على
اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر فان قلت
ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع
الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها
وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تاكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وان يكون ما في الارض مبتدا ومنه خبره وقرا ابن عباس رضي الله
عنه منة وقرا سلمة بن محارب منه على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي
او على انه خبر لمبتدا محذوف اي ذلك او هو منه حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى

قل لهم

ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا
كان لم يسمعها فبشره بعذاب
اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها
هزوا اولئك لهم عذاب مهين من
ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا
ولا ما اتخذوا من دون الله من اولياء
ولهم عذاب عظيم هذا هدى
والذين كفروا بايات ربهم لهم
عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم
البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم

قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله تعالى باعدائه من
قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب
المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت
في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب
كنا بين يدي عمر بن الخطاب فقرا قارئ هذه الاية فقال عمر ليجزى عمر بما صنع ليجزي
تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم
يوم القيمة فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين
امنوا وهم معارف قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزي ايما
قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى
ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال
المكروه ومعنى قول عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزى بصبره واحتماله وقوله لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عند نزول الاية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي
وقرئ ليجزى قوما اي الله عز وعلا ولنجزي قوما وليجزى قوما على معنى وليجزى
الجزاء قوما الكتاب التوراة والحكم الحكمة والفقه او فصل الخصومات بين
الناس لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما احل الله لهم من الارزاق
واطاب وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت احدا مثل ما اتيناهم بينات
ايات ومعجزات من الامر من امر الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما
جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم
اي لعداوة وحسد على شريعة على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبع
شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم
المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين ابائك ولا تولهم
انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين
الفصل بين الولايتين هذا القران بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين
والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة
ورحمة من العذاب لمن امن وايقن وقرئ هذه بصائر اي هذه الايات ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان
جارحة اهله اي كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين
فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف
لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا ترى انك لو قلت ان نجعلهم
سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرأ سواء
بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا

قل للذين امنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا
يكسبون من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون
ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم
والنبوة ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على العالمين واتيناهم
بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون ثم جعلناك على
شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع
اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا
عنك من الله شيئا وان الظالمين
بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة
لقوم يوقنون ام حسب الذين
اجترحوا السيئات ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات

غير جملة ومن قرء ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق
النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا
وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات
واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى
ثواب الله ورضوانه واولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم
وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين
مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم
كلام مستانف على معنى ان محيى المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيى المحسنين
ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي
ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون
وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من
اي الفريقين انت ولتجزى معطوف على الحق لان فيه معنى التعليل او على معلل
محذوف تقديره وخلق السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس
اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل
الهه وقرئ الهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا راى ما هو احسن
رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله
الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي
عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف
المحصلة والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشاوة بالحركات
الثلاث وغشوة بالكسر والفتح وقرئ تتذكرون نموت ونحيا نموت نحن ونحيا
او لا دنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد
ذلك او يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها
وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ الا دهر يمر وما يقولون
ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو
المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح باذن الله
وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة
بشكوى الزمان ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا تسبوا الدهر فان الله هو
الدهر اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر قرئ حجتهم بالنصب والرفع على
تقديم خبر كان وتاخيره فان قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة
قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت
حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قوله تحية بينهم

وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان

ضرب وجيع

ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان تكون لهم حجة البتة
فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لقولهم فاتوا بآبائنا
ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما
قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم
ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى
داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان
بآبائهم وكان اهون عليه عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم
يقوم جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من
الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة
وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم
قرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة الى كتابها الى صحائف اعمالها
فاكتفى باسم الجنس لقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم
تجزون محمول على القول فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله
عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه اما
ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر
ملائكته ان يكتبوا بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة
ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم في رحمته في جنته وجواب اما محذوف تقديره واما
الذين كفروا فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم والمعنى الم تكن رسلي فلم تكن آياتي
تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه وقرئ والساعة بالنصب عطفا على وعد وبالرفع
عطفا على محل ان واسمها ما الساعة اي شيء الساعة فان قلت ما معنى ان نظن
الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل
حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا
بقوله وما نحن بمستيقنين سيئات ما عملوا اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم
السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ننساكم نترككم في العذاب كما تركتم عدة
لقاء يومكم وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا
انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببالكم كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت
ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله بل مكر
الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاء جزائه وقرئ لا يخرجون
بفتح الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه فلله
الحمد فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السماوات والارض والعالمين فان
مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار

جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز العظيم واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا [illegible]

حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة

كبريائه وعظمته في السماوات والأرض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلاثون اية وقيل خمس وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق اي بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى
ينتهي اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك اليوم الذي لا
بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له
ويجوز ان تكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم بكتاب من قبل هذا
اي من قبل هذا الكتاب وهو القران يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال
الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك
فائتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله
او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت
الناقة على اثارة من شحم اي بقية من شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ اثرة
اي من شيء اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ اثرة
بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالإثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما
الاثرة فالمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة فاسم ما يؤثر كالخطبة
اسم ما يخطب ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ
ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل
كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة
احد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيمة واذا قامت القيمة وحشر الناس
كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم
في الدنيا بالاستجابة وفي الاخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم
لانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا
يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله
من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ
يدعو غير الله من لا يستجيب له ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه
طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو
سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم بينات جمع بينة وهي
الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام في للحق مثلها في قوله للذين امنوا لو
كان خيرا ما سبقونا اي لاجل الحق ولاجل الذين امنوا والمراد بالحق الايات
وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع المضمرين للتسجيل عليهم

بالكفر

بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
ما خلقنا السموات والارض الا بالحق

بالكفر وللمتلو عليهم بالحق لما جاءهم اي بادهوه بالجحود ساعة ما اتاهم واول
ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا
ظاهرا امره في البطلان لا شبهة فيه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الايات
سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجيب كأنه قيل دع
هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى
يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها
العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا
يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الايات قل ان افتريته على سبيل الفرض
عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي
ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال
فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا
ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا
ومنه قوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا ثم قال هو اعلم بما تفيضون
فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا
تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد
عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو
الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وامنوا
واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا فان قلت فما معنى اسناد
الفعل اليهم في قوله فلا تملكون لي قلت كان فيما اتاهم به
النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكأنه قال
لهم ان افتريته وانا اريد بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى عبادة
الله فما تغنون عني ايها المنصوحون ان اخذني الله تعالى بعقوبة الافتراء عليه
البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا بدع
ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه
الايات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا
من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه علي واخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيبات
فان الرسل قبلي لم يكونوا يأتون الا بما اتاهم الله من اياته ولا يخبرون الا بما اوحي
اليهم ولقد اجاب موسى صلوات الله عليه من قول فرعون فما بال القرون
الاولى بقوله علمها عند ربي وما ادري لانه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي
وبكم في المستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه ان اتبع الا
ما يوحى الي وعن الحسن وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب

قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين
ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي
من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به
شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم
قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا

مناد المغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخل وشجر وعن ابن عباس رضي الله عنه ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء اي يفعل الله عز وجل فان قلت ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت اجل ولكن النفي في ما ادري لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن الا ترى قوله اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في خبر ان وذلك لتناول النفي اياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحى لي اي الله عز وجل جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتامله فتحقق انه هو النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله فان قلت اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم قلت الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته

ثم

الا نذير مبين قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي ... قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا

٢٧٦

لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا

ثم في قوله قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو العاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسأت واقبلت عليك واعرضت لم نتفق في انك اخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله نزل على موسى صلوات الله عليه وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك للذين آمنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل صهيب وعمار وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه فان قلت لا بد من عامل في الظرف في قوله واذ لم يهتدوا به ومن متعلق لقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام قلت العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضماره قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين كتاب موسى مبتدا ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى اماما وقدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز ان يكون مفعولا لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء

والياء ولينذرون نذر ينذر اذا حذر وبشرى في محل النصب معطوف على محل
لينذر لانه مفعول له قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما
واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه
على الحال اي ذات كره او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة
حمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع
اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل
ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى فان
قلت لم كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي
فصالا كما سمي المدة بالامد من قال
كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله وفيه فائدة
وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى
وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله
وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث
وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين وقيل
لم يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها
نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة
عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس فان قلت
ما معنى في في قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته
موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم
ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي من المسلمين من المخلصين وقرئ يتقبل ويتجاوز
بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون فان قلت ما معنى
قوله في اصحاب الجنة قلت هو نحو قولك اكرمني الامير في ناس من
اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب
على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر
مؤكد لقوله نتقبل ونتجاوز لان قوله نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى بالتقبل والتجاوز وقيل
نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة
دعائه فيهم وقيل لم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم
هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر والذي قال مبتدا خبره اولئك الذين
حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس والقائل ذلك القول ولذلك
وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن
قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه عاص لربه وقيل نزلت في عبد

الرحمن

ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ووصينا الانسان بوالديه احسانا
حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده
وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان
اعمل صالحا ترضيه واصلح لي في ذريتي
اني تبت اليك واني من المسلمين اولئك
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا
ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة
[illegible]
والذي قال لوالديه اف لكما [illegible]
[illegible] وقد خلت القرون من قبلي
وهما يستغيثان الله ويلك امن ان
وعد الله حق فيقول ما هذا الا

الرحمن ابن ابي بكر قبل اسلامه وقد دعاه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما
وقال ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسالهما عما يقول
محمد ويشهد لبطلانه ان المراد بالذي قال الجنس القائلين لذلك وان قوله الذين
حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد الرحمن كان من افاضل المسلمين وسرواتهم
وعن عائشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية الى مروان
بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم
فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما
فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته
ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرئ اف بالكسر
والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به
الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان معناه
هذا التافيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ اتعدانني بنونين واتعداني
باحدهما واتعداني بالادغام وقد قرأ بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل
اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم
ومن طرح احدهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض وقرئ اخرج وقد
خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد يستغيثان الله يقولان
الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه
بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك في امم
نحو قوله في اصحاب الجنة وقرئ ان بالفتح على معنى امن بان وعد الله حق
ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء
ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما فان قلت كيف
قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات قلت يجوز ان
يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون
تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا
يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات
ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم
عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها
ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون
عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما يجاء بهم
اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه
في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها

حق عليهم
اساطير الاولين اولئك الذين
القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس انهم كانوا خاسرين ولكل
درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم
لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا
على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا

وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر واسنمة ولكني
رايت الله نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو
شئت كنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون
لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى
عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير
قال بل انتم اليوم خير وقرئ اذهبتم بهمزة الاستفهام وآ اذهبتم بالف بين همزتين
الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها الاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج
وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر
من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر او
الانذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين يديه
ومن بعده والمعنى ان هودا عليه الصلاة والسلام قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا
الا الله اني اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل
الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير
ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله انذر قومه ولك ان
تجعل قوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين انذر قومه
وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب
العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه مثل ذلك فاذكرهم
الافك الصرف يقال افكه عن رايه عن الهتنا عن عبادتها بما تعدنا من معاجلة
العذاب على الشرك ان كنت صادقا في وعدك فان قلت من اين طابق قوله
انما العلم عند الله جوابا لقوله فاتنا بما تعدنا قلت من حيث ان
قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال
لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك
عند الله فكيف ادعوه بان ياتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه انتم ومعنى
وابلغكم ما ارسلت به وقرئ بالتخفيف ان الذي هو شاني وشرطي ان ابلغكم ما
ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم
جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين
غير ما اذن لهم فيه فلما راوه في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون

فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون فلما راوه عارضا مستقبل

٢٧٨

اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما

مبهما قد وضح بقوله عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب وافصح والعارض
السحاب الذي يعرض في افق من السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض
مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين
وصفا للنكرة بل هو القول قبله مضمر والقائل هو هود عليه السلام والدليل
عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال
الله قل تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن
الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك لا ترى الخطاب
للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتاويل القراءة
بالتاء وهي عن ابن الحسن لا ترى بقايا ولا اشياء منهم الا مساكنهم ومنه بيت ذي
الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى الا
مسكنهم ولا يرى الا مسكنهم وروي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة
فترفعها في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت
رايت ريحا فيها كشهب النار وروي اول ما عرفوا به انه عذاب انهم راوا ما كان
في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا
بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف
فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم
في البحر وروي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين
خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنه اعتزل هود ومن معه
في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من
عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم اني اسالك خيرها وخير ما ارسلت به
واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا راى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب
وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد
حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فان قلت ما فائدة اضافة الرب الى
الريح قلت الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته
لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مامورة من جهته عز
وعلا يعضد ذلك ويقويه ان ان نافية اي فيما مكناكم فيه الا ان ان احسن في
اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل
في مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد اغث ابو الطيب في قوله
لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل
فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده الاخفش

يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض ادناه الخطوب وتؤول بانا مكناهم في مثل ما
مكناكم والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير اية في القران هم احسن اثاثا ورئيا كانوا
اكثر منهم واشد قوة واثارا وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار من
شيء اي من شيء من الاغناء وهو القليل منه فان قلت بم انتصب اذ كانوا
يجحدون قلت بقوله فما اغنى فان قلت لم جرى مجرى التعليل
قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته
اذ اساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ
وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك ما حولكم يا اهل مكة من القرى من
نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرها والمراد اهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون
القربان ما تقرب به الى الله اي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني
الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لفساد
المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهل منعهم من الهلاك الهتهم بل ضلوا عنهم
اي غابوا عن نصرتهم وذلك اشارة الى امتناع نصرة الهتهم لهم وضلالهم عنهم
اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها الهة وثمرة شركهم وافترائهم على
الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ افكهم والافك والافك كالحذر والحذر وقرئ
وذلك افكهم اي وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم
على التشديد للمبالغة وافكهم جعلهم افكين وآفكهم اي قولهم الافك ذو الافك
كما تقول قول كذب وذلك افك وما كانوا يفترون اي ما كانوا يفترون من الافك
صرفنا اليك نفرا املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد
لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع انفارا وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه
لو كان ههنا احد من انفارنا فلما حضروه الضمير للقران اي فلما كان بمسمع منهم
او لرسول الله وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى اي اتم قراءته وفرغ منها قالوا قال
بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له
روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما
هذا الا لنبإ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى
منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلاة الفجر فاستمعوا
لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه
الى طلبته واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به مستمعين

فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين

وهو لا يشعر فانباه الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر الجن ويقرأ
عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن
يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره
ليلة الجن احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا
وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا حتى
خفت على رسول الله وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع
صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله هل رايت شيئا قلت نعم
رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا
والسورة التي قراها عليهم اقرأ باسم ربك فان قلت كيف قالوا من
بعد موسى قلت عن عطاء انهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس
ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى فان قلت
لم بعض في قوله من ذنوبكم قلت لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان
كالمظالم ونحوها ونحوه قوله عز وعلا ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر
لكم من ذنوبكم فان قلت هل للجن ثواب كما للانس قلت
اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب اليم
واليه كان يذهب ابو حنيفة رحمه الله والصحيح انهم في حكم بني ادم لانهم مكلفون
مثلهم فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق
ونحوه قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا بقادر محله الرفع
لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي
في اول الاية على ان وما في حيزها قال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم
جاز كانه قيل اليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء
من البعث وغيره وقرئ يقدر ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه
افعيينا بالخلق الاول اليس هذا بالحق هو محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر
هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله فذوقوا العذاب والمعنى
التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين
اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر ومن يجوز ان تكون للتبعيض ويراد باولي
العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى
عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده
وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له
قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين
سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها قال

قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم

الله تعالى في ادم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان تكون
للبيان فيكون اولوا العزم صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي
لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر وانهم مستقصرون حينئذ
مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ ومعناه ان
هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك الا
الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ
فهل يهلك وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام
وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقون عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد
كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلوات الله عليه مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون اية وقيل ثمان وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه
قال ابن عباس رضي الله عنه هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثنى
عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل
هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام
وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته
جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي
بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بها امرها او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم
مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه
مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل
ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم
واظهر دينه على الدين كله والذين امنوا قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل
من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام وقوله وامنوا بما
نزل على محمد اختصاص للايمان بما نزل على رسول الله من بين ما يجب الايمان به
تعظيما لشانه وتعليما انه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة
الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق
اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول

كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم
يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل
يهلك الا القوم الفاسقون
بسم الله الرحمن الرحيم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا
الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو
الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم

ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم
الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي وذلك لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح
بالهم اي حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين والتسليط على الدنيا بما اعطاهم
من النصرة والتاييد ذلك مبتدا وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال
اعمال احد الفريقين وتكفير السيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل
وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كما ذكر بهذا
السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل
ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء
البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير
راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم
لاجل الناس ليعتبروا بهم فان قلت اين ضرب الامثال قلت
في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا للمؤمنين او في ان
جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين
لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف
الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء
معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب
الرقاب عبارة عن القتل لا ان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها
من الاعضاء وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه
وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون
بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا
في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ
القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو
الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في
قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان اثخنتموهم اكثرتم
قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ واثقلتموهم بالقتل والجراح
حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم
ما يوثق به منا وفداء منصوبان بفعلهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما
تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين
ان يفادوهم فان قلت كيف حكم اسارى المشركين قلت
اما عند ابي حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام
ويقولون في المن والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن

ذلك بانهم الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا
الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس
امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق
فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب
اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم

مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن
ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل
الذمة وبالفداء ان يفادى بالاسارى منهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي
مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا
حربا للمسلمين واما الشافعي فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه
نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج
بان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى اثال الحنفي وفادى
رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الراي وقرئ فدى بالقصر مع
فتح الفاء اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى
واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانه
لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها
وقيل اوزارها آثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم
بان يسلموا فان قلت حتى بم تعلقت قلت لا تخلو اما ان
ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم تبق لهم
شوكة وقيل اذا نزل عيسى صلوات الله عليه وعند ابي حنيفة اذا علق
بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار
وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم
ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء بما ذكرنا من
التاويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض
اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم
بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا
الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب
لهم من العذاب وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن
يضل اعمالهم وتضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل
وعن قتادة انها نزلت في يوم احد عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل
احد منزله ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها
لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان
الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه
الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري
وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة عن غيرها

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن
ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا
في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم
ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها

من عرفها الدار وازفها والعرف واصف المحدود ان تنصروا دين الله ورسوله
ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام
والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال
اتعس الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت
على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم
وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد
فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس يريد
في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار كرهوا القران وما انزل الله فيه
من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان والشهوات والملاذ
فشق عليهم ذلك وتعاظمهم دمر الله اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص
والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم واموالهم وكل ما كان لهم
وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها
او للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم
وفي قراءة ابن مسعود ولي الذين امنوا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون
اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب
سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا
الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما
قتلاكم ففي النار يعذبون فان قلت قوله ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق مناقض لهذه الاية قلت لا تناقض بينهما لان الله
مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالكهم ومالك امرهم واما على معنى الناصر
فهو مولى المؤمنين خاصة يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا اياما قلائل
ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تاكل الانعام في مسارحها ومعالفها
غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح مثوى لهم منزل ومقام وقرئ وكائن
على وزن وكاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم
من قوم هم اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك
كانوا سبب خروجك فان قلت كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد
مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كانه قال اهلكناهم فهم لا ينصرون
من زين له هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله
لمن يكون على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القران المعجز وسائر
المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ امن كان على بينة وقاله سوء عمله

هم يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت اقدامكم والذين
كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله
فاحبط اعمالهم افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها
ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين
لا مولى لهم ان الله يدخل الذين امنوا
جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا
يتمتعون ويأكلون كما تأكل
الانعام والنار مثوى لهم وكاين
من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان
على بينة من ربه كمن زين له سوء
عمله واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التي

[illegible]

واتبعوا الحمل على لفظ من ومعناه فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى
النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه
وانخراطه في سلكه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه
قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فان قلت
فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف
الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه
وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار
التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل

افرح ان ارزأ الكرام وان   اورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار لانطوائه
تحت حكم قول من قال أتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف
الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكأنه قال نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبان
يستبدل عنهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل
الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدا خبره كمن هو خالد وقوله فيها انهار
داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان
يكون خبر مبتدا محذوف هي فيها انهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها
انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي رضي الله عنه
امثال الجنة اي صفاتها كصفات النار وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن
اذا تغير طعمه وريحه وانشد ليزيد بن معاوية

لقد سقتني رضابا غير ذي أسن   كالمسك فت على ماء العناقيد

من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من
الطعوم لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ او وصف بمصدر وقرئ بالحركات
الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة اي لاجل
لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار
ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع
وغيره ماء حميما قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم
فاذا شربوه قطع امعاءهم هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا
منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة
الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء

وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله

وقيل

وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس انا منهم وقد سميت فيمن
سئل آنفا وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت
الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا زادهم الله هدى
بالتوفيق وآتاهم تقواهم اعانهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي
بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول صلى
الله عليه وسلم او لاستهزاء المنافقين ان تأتيهم بدل اشتمال من الساعة
نحو ان تطؤهم من قوله تعالى رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تأتهم
بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وفي مصاحف اهل مكة كذلك فان قلت
فما جزاء الشرط قلت قوله فأنى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم
ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى فان
قلت حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى فان
قلت بم يتصل قوله فقد جاء اشراطها على القراءتين قلت
باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام
اكرمه والاشراط العلامات قال ابو الاسود

فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا   فقد جعلت اشراط اوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلوات الله عليه وعليهم منها وانشقاق
القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام
وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في
المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو واخاف ان يكون الصواب بغتة بفتح الغين
من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين
قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على
ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار
ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم
في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون في منازلكم او متقلبكم في حياتكم
ومثواكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق
بان يتقى ويخشى وان يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة انه سئل
عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى
قوله سابقوا الى مغفرة وقال واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد
فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد
العلم كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا انزلت سورة

على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة

في معنى الجهاد فاذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم
وسقطوا في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة
فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين وقيل لها محكمة لان
النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير
منسوخ الى يوم القيمة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها
النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة
وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال
الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام نظر المغشي عليه
من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من اصابته الغشية عند
الموت فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب ومعناه
الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر اي جد
والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى
ان ذلك من عزم الامور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو
صدقوا في ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه السنتهم عسيت وعسيتم لغة اهل
الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان يفعل وعسى ان تفعلوا ولا يلحقون
الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب
على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ فان قلت فما معنى فهل
عسيتم ان تفسدوا في الارض قلت معناه هل يتوقع منكم الافساد
فان قلت كيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وما يكون
قلت معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف
تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم
امور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا
وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه
في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة
بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن ابي طالب
رضي الله عنه توليتم اي تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم
وافسدتم بافسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع اولئك اشارة
الى المذكورين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا
عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين امنوا

فاذا انزلت سورة وذكر فيها
القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض
ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا
عزم الامر فلو صدقوا الله لكان
خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم

المؤمنين

افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين
لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى
لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا
ما انزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله
يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم
اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه
فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم
مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو
نشاء لاريناكهم فلعرفتهم

المؤمنين الخلص الثابتين وانهم يتشوفون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت
سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها افلا يتدبرون القران
ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على
المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل
عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا
في القران زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكن اخذوا بالمتشابه فهلكوا فان
قلت لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها قلت اما
التنكير ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على
بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال
المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على
المصدر الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان كقولك
ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء
وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا واملى لهم ومد
لهم في الآمال والاماني وقرئ واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم
كقوله انما نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في اعمارهم
وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف فان
قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته في التورية وقيل هم المنافقون
الذين قالوا القائلون اليهود والذين كرهوا ما انزل الله المنافقون وقيل
عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل
بعض الامر التكذيب برسول الله او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل
هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله
والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الامر في بعض ما تأمرون به او في بعض
الامر الذي يهمكم والله يعلم اسرارهم وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك
سرا فيما بينهم فافشاه الله عليهم فكيف يعملون وما حيلتهم يومئذ وقرئ
توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تائيه كقوله
تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يتوفى احد
على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفي
الموصوف ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله ورضوانه الايمان برسول
الله اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله وللمؤمنين واظهارهم
على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم لاريناكهم لعرفناكهم
ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك بسيماهم بعلامتهم وهو

وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمونهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم
ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات
ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم هذا منافق فان قلت اي فرق
بين اللامين في قوله فلعرفتهم ولتعرفنهم قلت الاولى هي الداخلة في
جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة
مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه واسلوبه وعن ابن عباس رضي
الله عنه هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا
من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له
صاحبك كالتعريض والتورية قال الشاعر

وقد لحنت لكم لكيما تفقهوا   واللحن يعرفه ذووا الالباب

وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب اخباركم ما يحكى عنكم
وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه
ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرئ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى
ونحن نبلو اخباركم وقرئ وليبلونكم حتى يعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه
كان اذا قراها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت
استارنا وعذبتنا وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب
لانها مع كفرهم برسول الله باطلة وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي
عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون
منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم
وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوا
الطاعات بالكبائر كقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان
تحبط اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا
اعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط
الكبائر اعمالكم وعن ابن عمر رضي الله عنهما كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا
الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا
فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر
ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء
وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه
ايضا بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب

بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله
يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلوا اخباركم
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
ولا تبطلوا اعمالكم ان الذين كفروا

وقيل

وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ماتوا وهم كفار هم اصحاب القليب
والظاهر العموم فلا تهنوا فلا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم
وهما المسالمة وانتم الاعلون اي الغالبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم
وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا
تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا
مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب باضمار ان ونحو قوله وانتم الاعلون قوله
انك انت الاعلى ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او
حميم او حربته وحقيقته قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكانما وتر
اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا
يسئلكم اموالكم اي ولا يسئلكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال
ان يسئلكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية
في كل شيء يقال احفاه في المسئلة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه استاصله
تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق
صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في
يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان
وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالتاء والياء مع فتحهما ورفع اضغانكم هؤلاء موصول
بمعنى الذين صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء
الموصوفون ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا
في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم
لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم ناس
يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله
وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ثم اخبر
لا يامر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات
ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا
يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان
والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويات بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل
الانصار وعن ابن عباس رضي الله عنه كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة
فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان
الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان
منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله
شيئا وسيحبط اعمالهم فلا تهنوا وتدعوا
الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن
يتركم اعمالكم ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
فلن يغفر الله لهم انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم
اجوركم ولا يسئلكم اموالكم
ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج
اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون
لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله
الغني وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم

[illegible] انا فتحنا لك [illegible]
[illegible]

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هو فتح مكة
وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة
له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في اخباره لأنها في
تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو
شأن المخبر ما لا يخفى فإن قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت
لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام
النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك
على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأعراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون
فتح مكة من حيث أنه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد
عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لأنه منغلق ما لم يظفر به فإذا ظفر به وحصل
في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين
القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم
وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح فإن قلت كيف يكون
فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل
الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد
صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي عليه الصلاة والسلام فقال بئس
الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح
ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت
بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة أصاب
أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس
وبلغ الهدي محله وأطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه
نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها
فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم
ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالإسلام
والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح
كلها إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا
لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت
من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد
جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من

حديث

بسم الله الرحمن الرحيم
إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم
نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما

حديث مارية وما تأخر من حديث زيد نصرا عزيزا فيه عز ومنعة أو وصف بصفة
المنصور إسنادا مجازيا أو عزيزا صاحبه السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أي أنزل
الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والأمن ليعرفوا فضل الله عليهم
بتيسير الأمن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا إلى يقينهم أو
أنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا إيمانا بالشرائع
مقرونا إلى إيمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم
التوحيد فلما آمنوا بالله أنزل الزكوة والصلوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا إيمانا إلى إيمانهم
أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيمانا إلى إيمانهم
وقيل أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد إيمانهم ولله جنود السموات والأرض يسلط
بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين
بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله
فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما
غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق
عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الأفعال فعل صدق وفي المسخوط
الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين
ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء أي ما يظنونه
ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الدمار والهلاك وقرئ
السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند
المؤمنين دائرة صدق فإن قلت هل من فرق بين السوء والسوء قلت
هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء إلا أن المفتوح غلب في أن يضاف
إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو نقيض
الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه
مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل الذي
ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع
عليه اسم السوء كقوله عز وعلا إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة شاهدا تشهد
على أمتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه
وتقووه بالنصرة وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح أو من السبحة والضمائر
لله عز وعلا والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد
أبعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول الله
ولأمته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف
وتعززوه بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بإظهار

وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي أنزل السكينة
في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم
ولله جنود السموات والأرض وكان
الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك
عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة
السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم
جهنم وساءت مصيرا ولله جنود
السموات والأرض وكان الله عزيزا
حكيما إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا

الضمير بكرة واصيلا عن ابن عباس رضي الله عنه صلوة الفجر وصلاة الظهر
والعصر لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله
فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله
تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق
مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد
اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه
قال جابر ابن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت
الشجرة على الموت وان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا
اختبا تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله
ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها و بما عاهد وعهد فسنؤتيه بالنون
والياء يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله تعالى اوفوا
بالعقود والموفون بعهدهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة
وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى
مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا
معه حذرا من قريش ان تعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله
عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب
وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم
وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه
ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون بالسنتهم ما
ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون
وانما هو الشك والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة فمن
يملك لكم فمن يمنعكم من مشية الله وقضائه ان اراد بكم ما يضركم من قتل او
هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم الاهلون جمع
اهل ويقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما
اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان
او الله عز وعلا وكلاهما جاء في القران وزين لهم الشيطان اعمالهم زينا لهم اعمالهم
والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين
في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه
وعقابه للكافرين مقام مقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان
بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك

ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما
ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد
عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما
سيقول لك المخلفون من الاعراب
شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر
لنا يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا
ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان
الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن
ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
[illegible] في قلوبكم وظننتم
[illegible] وكنتم قوما بورا
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
[illegible] سعيرا ولله ملك

السموات

السموات والارض يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وكان الله
غفورا رحيما سيقول المخلفون
اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها
ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام
الله قل لن تتبعونا كذلكم قال
الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا
بل كانوا لا يفقهون الا قليلا
قل للمخلفين من الاعراب ستدعون
الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم
او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله
اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم
من قبل يعذبكم عذابا اليما

السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيته ومشيته
تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما
رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر
بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم
مغانم خيبر ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا موعد الله لاهل
الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا
موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا
تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرها لا يفقهون
لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب
قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم
واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم
بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن
الحديبية الى قوم اولي باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة
الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم
الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من
مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية الا
من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهذا دليل على امامة ابي بكر
الصديق رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا
معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون
لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية فان قلت
عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه
من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون
رسول الله الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم كما توليتم من قبل يريد في غزوة
الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة
او الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة ابي او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا نفى الحرج عن
هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون
وهي بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به

[illegible]

فنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي
لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكن ادلك على رجل هو اعز
بها مني واحب اليهم عثمان ابن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا
لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل
فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس
عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس
الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر ابن عبد الله لو كنت ابصر
لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة
وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه
وبيدي غصن من الشجرة اذب به عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على
الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله انتم اليوم خير اهل الارض
وكان عدد المبايعين الفا وخمسماة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعماة وقيل
الفا وثلاثماة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه
فانزل السكينة فانزل الطمانينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم واثابهم فتحا
قريبا وقرئ واتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم عن مكة وعن الحسن فتح
هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر
وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم
وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله مغانم كثيرة وهي ما يفي على
المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس
عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم
فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه
الكفة اية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح
عليهم وقيل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء
وحي فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم
صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه
اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين
وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر عليها واستولى و
اظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها
تقديره وقضى الله اخرى قد احاط الله بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع
على الابتدا لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط خبر المبتدا والجر باضمار رب فان
قلت قوله ولتكون اية للمؤمنين كيف موقعه قلت هو كلام

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون ... وكان الله

معترض

معترض معناه ولتكون الكفة اية للمؤمنين ويجوز ان يكون المعنى وعدكم الغنائم
فعجل هذه الغنيمة وكف الاعدا لينفعكم بها ولتكون اية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله
بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة واية ويزيدكم بذلك هداية واتقانا
ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفا اهل خيبر
لغلبوا وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه
سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي ايديهم ايدي اهل مكة اي قضى بينكم وبينهم
المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد
ابو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة
الحديبية لما روي ان عكرمة ابن ابي جهل خرج في خمسماة فبعث رسول الله من هزمه
وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنه اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة
حتى ادخلوهم البيوت وقرئ يعملون بالتاء والياء قرئ والهدي والهدي بتخفيف
الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب
في صدوكم اي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم
عن نحر الهدي معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدي
ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة على ان المحصر
محل هديه الحرم فان قلت فكيف حل رسول الله ومن معه وانما نحرت هديهم بالحديبية
قلت بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله كانت في
الحل ومصلاه في الحرم فان قلت فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان
يبلغ محله قلت المراد المحل المعهود وهو منى لم تعلموهم صفة للرجال
والنسا جميعا وقوله ان تطؤوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم
والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه بغير علم متعلق
بان تطؤوهم يعني ان تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة
قال الشاعر ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان آخر وطئة وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين
مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة ان
تهلكوا ناسا مومنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم
مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان
يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال ومومنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو
الجواب فان قلت اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون
قلت يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل
دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والماثم اذا جرى منهم بعض التقصير فان قلت

على كل شي قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا

ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا قلت لما دل عليه الاية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا اذ يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز ابن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يابوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله تعالى لنبيه وللذين معه اهل الخير ومستحقيه ومن هو اولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وفي مصحف الحارث ابن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه ايام الحجاج راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله ابن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار واوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه فان قلت بم تعلق بالحق قلت اما بصدق اي صدقه فيما راى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة

اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام

البالغة

البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف فان قلت ما وجه ادخال ان شاء الله في اخبار الله سبحانه وتعالى قلت فيه وجوه ان يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين بادب الله ومقتدين بسنته او يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هي حكاية ما قاله رسول الله لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بقوله امنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك اي من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر قريبا ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود بالهدى ودين الحق بدين الاسلام ليظهره ليغلبه على الدين كله على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان المشركين والجاحدين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى صلوات الله عليه حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والايات وفي هذه الاية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن عن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك محمد اما خبر مبتدا اي هو محمد لتقدم قوله هو الذي ارسل رسوله واما مبتدا ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر انه قرئ محمدا رسول الله بالنصب على المدح والذين معه اصحابه اشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرئ

ان شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا

اشداء ورحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدم في معه ويجعل
تراهم الخبر سيماهم علامتهم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان
والسيماء والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله
من اثر السجود يفسرها اي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين
علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم
اجمعين يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدث في مواقعه منهما اشباه
ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود وآثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير
وهي السمة في الوجه فان قلت فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا
صوركم وعن ابن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا قد اثر في وجهه السجود فقال له
ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت
ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق
يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا
لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين اعيننا شيء ونرى
احدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري أثقلت الرؤوس ام
خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه
من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن
المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما
صلوا بالليل لقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك الوصف مثلهم
اي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال كزرع وقيل تم الكلام
عند قوله ذلك مثلهم في التورية ثم ابتدأ ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان يكون
ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطأه كقوله وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال
اشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه
بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره
من المؤازرة وهي المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد
اي فشد ازره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ
فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق
وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ
بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضي الله عنهم وهذا مثل ضربه الله لبدء امر الاسلام
وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده

سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية والانجيل كزرع اخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع

ثم

ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا منهم مغفرة واجرا عظيما
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي

ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد
منها حتى يعجب الزراع فان قلت ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا
قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة
ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة
مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبوا
الرجس من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في
قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة ونظيرهما معنى سلفه واسلفه وفي
قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان ان يحذف ليتناول كل ما يقع في
النفس مما يقدم وان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى
نفس التقدم كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل
كقوله هو الذي يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه
وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده
قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تائي تتقدموا الا ان الاول اقلاد بالحسن
واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من
القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة
قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله
قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا
كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضعه وقد جرت هذه العبارة
هاهنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها
هكذا فائدة ليست في الكلام العريان وهو تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه
من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى
ان لا تقطعوا امرا الا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي
المنزل واما مقتدين برسول الله وعليه ديدن وتفسير ابن عباس رضي الله عنه
وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز ان يجري
مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت من عمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب
الدلالة على قوة الاختصاص القوي ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان
الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما

تلوها من رفع اصواتهم فوق صوته لانه من احفظه الله الله بهذه الاثرة واختصه
هذا الاختصاص القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين
يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو
الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر ابن الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا
رجلين من بني سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز من
سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله فقال بئس ما صنعتم كانا
من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله فنزلت اي لا تعملوا شيئا
من ذات انفسكم حتى تستامروا رسول الله وعن مسروق دخلت على عائشة
رضي الله عنها في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت
اني صائم فقالت قد نهى رسول الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن
الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت وامرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يعيدوا ذبحا اخر وهذا مذهب ابي حنيفة الا ان تزول
الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلوة وعن
الحسن ايضا لما استقر رسول الله بالمدينة اتته الوفود من الافاق فاكثروا
عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة
ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها
وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها انه اذا جرت مسئلة في مجلس
رسول الله لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشى بين يديه الا للحاجة وان يستاذن
في الافتتاح بالطعام وا[تقوا] الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن
التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما تقتضي مراقبة الله تجنبه فان التقي
حذر لا يشافه امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في ان لا تبعة عليه فيه
وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار
فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتامره بما لو امتثل فيه امرك
لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما
تقولون عليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب اعادة النداء عليهم
استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات
لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم وما اخذوا
به عند حضور مجلس رسول الله من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم
بعظيم الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام مرضاة صاحب الشرع اعظام ما ورد
به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يالو اعلا بما يحدد علمه وارتداعا

عما

الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم

٢٦٠

يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم

عما يصدعنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه
بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه غاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم
حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية
الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله
ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه
من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في
مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب
المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس
رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله والله
لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان
يكلم النبي صلى الله عليه وسلم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو
بكر اذا قدم على رسول الله وفد ارسل عليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم
بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت
ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون
مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما
يهاب به العظماء وتوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل الى ما يستبان
فيه المامور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي
لا يتاذى به رسول الله وهو ما كان منهم في [حرب] او [مجادلة] معاند او ارهاب
عدو وما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب
لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس رضي الله عنه اجهر الناس
صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت
الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة زجر ابي عروة السباع اذا
اشفق ان يختلطن بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق
مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لا ترفعوا باصواتكم
والباء مزيدة محذوها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي رفعت عيني بالحجاز
الى اناس بالمناقب وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا
ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة
واستجفائهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في ثابت ابن
قيس ابن شماس وكان في اذنه وقر جهوري الصوت فكان اذا كلم رفع صوته وربما كان

يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتاذى بصوته وعن انس ان هذه الاية
لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله فاخبر بشانه فدعاه فساله فقال
يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان
يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير
وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من
المنافقين فوق صوت رسول الله فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون
ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون
يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين
وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض
وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس
والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة
ما قد اعتيد منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها
وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع
على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون
المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف
المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل
ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد
الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله فكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل
التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا فان قلت لخص الفرق بين الوجهين
قلت تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما
شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على
الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه فان قلت باي النهيين يتعلق
المفعول له قلت بالثاني عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول
كقوله آتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى
الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط
اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل
الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله ولا تطغوا فيه فيحل
عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت
ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته
حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبض عمله مثل احبطه وحبط
الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء في اضراره

بالعمل

وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك

بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة
الامال وقد دلت الاية على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من
الاثام ما يحبط عمله والثاني ان في اثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند
الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال
يحترز ويتوقى ويتحفظ امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر
كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم
صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان
تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم
للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا
الامر اي كائن له ومختص به قال انت لها احمد من دون البشر اعداء
من لليعملات على الوجى وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم
بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم
انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار
عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص
ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان
افتعال من محنه اذا اختبره وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو
وكل شيء جهدته فقد محنته وانشد

اتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت اطالها

قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ
به اخا السرار وهذه الاية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم
اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدا
اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء
نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين
وقروا رسول الله من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله وقدر
شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم
ضد ما استوجب هؤلاء والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من
خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشات من ذلك المكان فان
قلت افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه
قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما
الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع
على الجهة الواحدة ان يكون مبتدا ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم
مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون

من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهر كان
مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع
منهم في ادبار الحجرات وفي وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة
الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الجهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة
بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة
وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد
حجرات نساء رسول الله وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد
تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك
وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من الحجرة التي كان فيها
ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان
كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين
فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن
حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالحاشم
ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان
القلة تقع موقع النفي في كلامهم روي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج
ونزلت وسئل رسول الله عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس
قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الاية على النمط
الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله
واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا
عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه
ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها
التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم بالاستجفاء بهم واستركاك
عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله
وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة
الى اخر هذه الاية فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك
النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ووطاء
لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه
عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله في حال
خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة

ما

٢٩٨

ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا

ما اجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه
جلة المهاجرين والانصار باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في
التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله يقتطف ثمر الالباب ويقتبس محاسن الاداب
كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال
ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية
لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال
الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول
وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس ولهذا قيل للحبس على اليمين او
القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر فان قلت
هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة
تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة
في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله اليهم غاية قد ضربت
لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها فان قلت فاي
فائدة في قوله اليهم قلت فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم
للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل
الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له
والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته
عن هؤلاء ان تابوا وانابوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن
عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي
وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم
فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما
شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله
قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله
فاتهم فقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم
ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم خالد
ابن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات
وفي تنكير الفاسق والنبا شياع في الفساق والانباء كانه قال اي فاسق جاءكم
باي نبا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا
قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع
منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة
عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه

ايضا فقست الشي اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج
عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا
وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات
والبيان والتعرف ولما كان رسول الله والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر
احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان
جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع
فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما
بجهالة حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعني جاهلين بحقيقة
الامر وكنه القصة والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان
تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام
لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته
ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد
تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق
صاحبه الجملة المصدرة بلو لا يكون كلاما مستانفا لادائه الى تنافر النظم ولكن
متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور
وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها
وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب
فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتسمه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك
لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه
الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين
زينوا لرسول الله الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك
من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى
عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي
الى بعضكم ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من
ايجازات القران ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين
هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله اولئك هم الراشدون والخطاب لرسول
الله اي اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته فان قلت
ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها قلت القصد الى توبيخ بعض المؤمنين
على ما استهجن منهم من استتباع راي رسول الله لارائهم فوجب تقديمه لانصباب
الغرض اليه فان قلت فلم قيل لو يطيعكم دون اطاعكم قلت
للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم راي

فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
واعلموا ان فيكم رسول الله لو
يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم ولكن الله حبب اليكم
الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان اولئك هم الراشدون
فضلا من الله ونعمة والله عليم

في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف
ويحمي الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا فان قلت كيف
موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا
قلت هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين
حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق
موقعها في الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد
بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن
لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الاية على ظاهرها يؤدي الى ان
يثني عليهم بفعل الله وقد نعى الله هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فان قلت فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه
وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود قلت
الذي سوغ ذلك لهم انهم راوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر
عن مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم يجعلوه
من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة النقاد وعلماء
المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات الخير
وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل
الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا
ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج
عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما
امر به الشارع والعرق العاصي العائد واعتصت النواة اشتدت والرشد
الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو
الوازع كل صخرة رشادة وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضوء
من صم الرشاد وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت
من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط
ان يتحد الفاعل قلت لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين
والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان
ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة
التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك
او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع
رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى
الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز حكيم حين

يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم عن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد
الله ابن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن
رواحة والله ان بول حماري لاطيب من مسكك وروي حمارنا افضل منك وبول حمارنا
اطيب من مسكك ومضى رسول الله وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدوا وجاء
قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف
فرجع اليهم رسول الله فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قراها عليهم فاصطلحوا والبغي
الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان
الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وعن
ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين
فلطفت على الراوي تلك الجلسة فظنه قد طرحها فان قلت ما وجه
قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرا ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرا عبيد بن عمير
على تاويل الرهطين او النفرين قلت هو مما حمل على المعنى دون اللفظ
لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى امر الله
فان فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت
وعن ابن عمر رضي الله عنه ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدته من امر هذه
الاية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كفت
وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يا ابن ام عبد هل تدري ما حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله
ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم
فيئها ولا يخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما
جميعا فالواجب في ذلك ان يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة
فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما
القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة
بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن
اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه
لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان تكون احداهما الباغية على الاخرى
فالواجب ان يقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين
المبغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد
بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة
لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا

فلت

حكيم وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت
احديهما على الاخرى فقاتلوا التي
تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت
فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا
ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون

فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته
ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد
واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة
العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات
ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعاة القسط فان قلت
فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول قلت لان المراد بالاقتتال
في اول الاية ان تقتتلا باغيتين او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على
المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بارادة الحق
والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان
فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين
واقسطوا امرنا باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات
البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين
يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط
يابس واقسطته الريح واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته
للسلب اي ازال القسط وهو الجور هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح
بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين
اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز
عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب
مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته
ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان يصادف ما وهى
من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة في الدين احق
بذلك وباشد منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه
ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه
ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل فان قلت
فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع قلت لان اقل من يقع بينهم الشقاق
اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في
شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج
وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك
متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد
ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع وحسموه
واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة

اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله
لعلكم ترحمون

يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب

الى اماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال
رافته عليكم حقيقا على ان يعتقدوا به رجاءكم القوم الرجال خاصة لانهم القوام
بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه الصلاة والسلام
النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم
وزور في جمع صائم وزائر او تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما
احببت نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية
وفي قول زهير اقوم آل حصن ام نساء واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد
هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور
وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين
ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع
وان تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من
امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم
على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد
يخلو ممن يتلهى ويستضحك به فيؤدي ذلك واذا وجد واحد الى تكثير
السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما قوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف
قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان
حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل واحد ان المسخور
منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر
الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى
القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن
تقتحمه عينه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله
اخلص ضميرا وانقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره
الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم
من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت
ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو
سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين
ان يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى
الاولى التي لا خبر لها كقوله وعسى ان تكرهوا شيئا واللمز الطعن والضرب
باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا انفسكم ايها المؤمنون بالانتهاء
عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير
بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه

كي يحذره

كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها
الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد
وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر
في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس
يستحيي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلاة ايها
الرجل الصلاة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب
بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب
نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد
لمز نفسه حقيقة والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان
يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه
هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما ما
يحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حق
المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب
الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر
بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل
من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة
في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن
الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤوا ببلال وخباب وصهيب وعمار وابي ذر
وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة انها كانت تسخر من زينب بنت
خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها
بسبيبة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظري ما
تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء رسول الله ام سلمة بالقصر
وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول
الله هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت
في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله ليسمع
فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله فقال لرجل تنح فلم يفعل
فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير
بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها
ابدا الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم كما
يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى

الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمومنين بسبب ارتكاب
هذه الجرائر ان يذكروا بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلاثة اوجه استقباح
الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يحاباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشان
الكاترة الصبوة والثاني انه كان في شتايمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق
فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه
والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق
غير مومن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد
التجارة يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى الى
مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب
الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمامور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض
موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم فان قلت بين
الفصل بين كثيرا حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت مجيئه نكرة
يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا
تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة
بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما
يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف
منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون الذي يجب اجتنابها عما سواها
ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك
اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر
فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة
بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان
يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان
اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق
اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان
يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب الذي يستحق
صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال
قال لقد فعلت هذي النوى بي فعلة اصاب النوى قبل الممات
اثامها والهمزة فيه عن الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه وقرئ ولا
تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل
من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء
بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا
ولا يغتب بعضكم بعضا

في

قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن التتبع لعورات المسلمين
ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره
الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في
خدورهن قال يا معشر من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا
عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه
ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن
عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود قد نهينا عن التجسس فان
ظهر لنا شيء اخذنا به غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب
كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان
لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم تمثيل
وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات
شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من
الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من
الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان
حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة
كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي
وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم
عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه
اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء
البشرية عليكم ان تجحدوا كراهته وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما
هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على
كراهته فان قلت هلا عدي بالى كما عدي في قوله تعالى وكره اليكم
الكفر وما القياس قلت القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول
واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء اذا ثقل استدعى زيادة مفعول
واما تعديه بالى فتاول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه
الشيء فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه فهو حبيب اليه والمبالغة في التواب للدلالة
على كثرة من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان
معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب
قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما
وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين

ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله

الثانيين وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما
طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما
اداما وكان اسامة على طعام رسول الله فقال له ما عندي شيء فاخبرهما سلمان
فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله
قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما ونزلت
من ذكر وانثى من ادم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد
الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الاخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل
في النسب والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي
الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب
يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ
والفخذ يجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن
وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها
وقرئ لتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون
ولتتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف
بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير ابائه لا ان تتفاخروا بالاباء والاجداد وتدعوا
التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب
الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقرئ ان بالفتح كانه
قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله
الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان
مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الاية وعنه عليه السلام
من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم
الاخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله في سوق المدينة فراى غلاما
اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه
عند كل صلاة ففقده فسال عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سال عنه بعد
ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين
والانصار امر عظيم فنزلت الايمان هو التصديق مع طمانينة النفس والثقة
والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين باظهار الشهادتين
الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان
من غير مواطاة القلب فهو اسلام وما واطا فيه القلب اللسان فهو ايمان

فان

فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه
نظم الكلام قل لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم
قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم
تؤمنوا وروعي في النوع من التكذيب ادب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل
كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل
من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا
بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة
التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا امنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه
النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على
المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم
امنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد
بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان
في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة
قلت ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم
وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم
ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام
واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء
قد امنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال الته السلطان حقه
اشد الالت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي
عن ام هشام السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه
الاصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يالتكم ونحوه ومثله في المعنى لا تظلم
نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق
ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم
ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس ان نفرا من بني اسد
قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات
واغلوا اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله ويقولون اتتك العرب
بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون
عليه فنزلت ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى امنوا ثم
لم يقع في نفوسهم شك فيما امنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا ان الحق معه
فان قلت ما معنى ثم هنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب ان يكون
مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمانينة

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير قالت الاعراب امنا قل لم

٢٩٧

تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله

التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين احدهما ان من
وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه
وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر
على ذلك راكبا راسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات
ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني ان الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان
افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي
اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز
ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد
مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات باسرها
واجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وان يتناول
الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله
اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم امنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد او هم
الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات يقال ما علمت بقدومك اي ما شعرت
به ولا احطت به ومنه قوله تعالى اتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال من عليه بيد اسداها
اليه كقولك انعم عليه وافضل عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها
اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير
من غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما
وسياق هذه الاية فيه لطف ورشاقة وذلك ان الكائن من الاعاريب قد سماه
الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله ما كان منهم قال الله
سبحانه لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به
من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا علي اسلامكم
اي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا ثم قال بل الله يعتد عليكم ان امدكم
بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له
ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي اضافة
الاسم اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتامل وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم
وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اذ هداكم وقرئ
يعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه عز وجل يعلم
كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء
فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله مع كل معلوم
واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد

من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام في ق والقران المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا سواء
لالتقائهما في اسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط علما
بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو تسبب من الله المجيد فجاز اتصافه
بصفته قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان
ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وسطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على
صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا ان ينالهم سوء ويحل بهم
مكروه واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف
ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله على
خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وابداعه واقرارهم بالنشاة
الاولى ومع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال
الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد
واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون
على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت
ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد
فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع
وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم وما انذروا به من
البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه
اذا متنا بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد فان قلت فما
ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه المنذر من المنذر
به وهو البعث قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل
الى ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على
رجعهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب
وعن السدي ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم كتاب حفيظ
محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب
بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤوا بما هو افظع من تعجبهم وهو
التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر
فهم في امر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة
ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم

بأموالهم وأنفسهم اولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

واللام هي التي في قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القران
وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى اثار قدرة الله في خلق
العالم بنيناها رفعناها بغير عمد من فروج من فتوق يعني انها ملسا سليمة
من جميع العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور مددناها
دحوناها رواسي جبالا لولاهي لتكفات من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج
به لحسنه تبصرة وذكرى لكل عبد لنتبصر به ونذكر كل عبد منيب راجع الى ربه
مفكر في بدايع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى اي خلقها لتبصره ماء مباركا كثير
المنافع وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد وهو ما يقتات به
من نحو الحنطة والشعير وغيرها باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف نضيد
منضود بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من
الثمر رزقا على انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له
اي انبتناها لنرزقهم كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك
تخرجون احيا بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتدا اراد بفرعون قومه كقوله
من فرعون وملاهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل يجوز
ان يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الراجع اليه على
اللفظ دون المعنى فحق وعيد فحل ووجب وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه
تسلية لرسول الله وتهديد لهم عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار
والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم
لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة
على الاعادة بل هم في لبس اي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه
قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس
الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احيا الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك
القياس الصحيح ان من قدر على الانشا كان على الاعادة اقدر فان قلت
لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول قلت قصد في
تنكيره الى خلق جديد له شان عظيم وحال شديدة حق من سمع به ان يهتم به
ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله الوسوسة الصوت الخفي ومنها
وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر للانسان ويهجس في ضميره من حديث
النفس والبا مثلها في قولك صوت بكذا او همس به ويجوز ان تكون للتعدية
والضمير للانسان اي ما يجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث
نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب

اليه

الية مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن هذا شانه لا يخفى
عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل
عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد
الازار قال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه
بواحد الحبال الا ترى الى قوله كان وريديه رشا خلب والوريدان عرقان
مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه
وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة الحبل
الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه قلت فيه وجهان احدهما
ان تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق
فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل
العلبا مثلا واذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة
ومتاخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه
وهو اقرب الى الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان
استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى
الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض
صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعلمه
من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت
تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا
للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا
وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس
بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك
احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا رقيب ملك يرقب
عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه
في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام
كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات
امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان
الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه وقريء ما يلفظ على البناء
للمفعول لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما
انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقترابه

فهو في امر مريج افلم ينظروا الى السماء
فوقهم كيف بنيناها وزيناها
وما لها من فروج والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها
من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى
لكل عبد منيب ونزلنا من السماء
ماء مباركا فانبتنا به جنات
وحب الحصيد والنخل باسقات
رزقا للعباد واحيينا
به بلدة ميتا كذلك الخروج

ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى
المتلقيان عن اليمين وعن الشمال
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب

299

ذلك بان عبر عنهم بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق ونفخ في
الصور وسكرة الموت شدته الذاتية بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني
واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله
او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق
له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان تكون الباء مثلها في تنبت بالدهن
اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله
خلق السموات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة
الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان
واوجبت له وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان
الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل
سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت
ذلك اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق
الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه
سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله فحكاه لصالح بن كيسان
فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم
حكاها للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فقال اخالفها جميعا
هو للبر والفاجر ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك
يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه
الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع للامرين كانه قيل
معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه
بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة قرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر
على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به جسدك كله او
غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيمة تيقظ وزالت عنه
الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار
لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض
له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي
عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه واخر
يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغوائي
واضلالي فان قلت كيف اعراب هذا الكلام قلت
ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد
خبر او خبر مبتدا محذوف القيا خطاب من الله للملكين السائقين السائق

عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك
ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور
ذلك يوم الوعيد وجاءت كل
نفس معها سائق وشهيد لقد
كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا
في جهنم كل كفار عنيد مناع
للخير معتد مريب الذي جعل مع الله

والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل
نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب
اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا
واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي
اضربا عنقه وقرا الحسن القين بالنون الخفيفة ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا
من النون اجراء للوصل مجرى الوقف عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله مناع
للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط او
مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة
كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل فيه منكم لم انفعه بخير ما عشت
معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مبتدا مضمن
معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من
كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد فان قلت لم اخليت هذه الجملة
الجملة عن الواو وادخلت على الاولى قلت لانها استونفت كما تستانف
الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون
فان قلت فاين التقاول هنا قلت لما قال قرينه
هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا
لدي علم ان ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو
اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة
على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان
ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا استيناف مثل قوله قال قرينه كانّ
قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف
الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان
في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي
ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس
بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم او معدية
على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول
لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا
بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فان قلت ان
قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد في الدنيا

في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي
وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل
القول لدي وما انا بظلام للعبيد

والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا
وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة فان قلت
كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان يكون من قولك
هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت
ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك وقرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير
يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام
او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول
وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها
من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتبيينه وفيه معنيان
احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على
امتلائها كقوله لأملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها
وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها
واستيداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة
والمزيد اما مصدر كالمجيد والمحيد واما اسم مفعول كالمبيع غير بعيد نصب
على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير
والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف
اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز
غير ذليل قرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ولكل أواب بدل
من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا
اشارة الى الثواب او الى مصدر أزلفت والأواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ
الحافظ لحدود الله ومن خشي بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا
من موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم أواب لان من لا يوصف به
ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره
يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم
من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من
المفعول اي خشيه وهو غائب ولم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال
او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه
وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذي وعده به من عذابه وقيل في الخلوة
حيث لا يراه احد فان قلت كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة
الرحمة قلت للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه واسع
الرحمة كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا

وقلوبهم

يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول
هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين
غير بعيد هذا ما توعدون لكل
أواب حفيظ من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب
ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود

وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ووصف القلب بالانابة وهي
الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام
اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله تعالى وملائكته
يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود و
لدينا مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤه وقيل ان السحاب يمر
باهل الجنة فيمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد
فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب
قال الحارث ابن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال
ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم
على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في
بلاد القرون هل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة
من قرأ فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب
وهو ان تنتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت اخفاف
ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد هل من
محيص من الله او من الموت لمن كان له قلب واع لان من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له
والقاء السمع الاصغاء وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه
غائب وقد ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه ما شئت من زهزهة
والفتى بمصقلاباذ لسقي الزروع او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله
او وهو من بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد
على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرئ السدي وجماعة ألقي السمع على
البناء للمفعول ومعناه لمن ألقي غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو
حاضر الذهن متفطن وقيل الالقاء سمعة السمع منه اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة
القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض
في ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش
وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنه اخذ فاصبر
على ما يقولون اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون
من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل
هي منسوخة باية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال بحمد ربك حامدا ربك
والتسبيح محمول على ظاهره او الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر
والعصر ومن الليل العشاآن وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات
والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه

لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد
وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد
هل من محيص ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب او ألقى السمع
وهو شهيد ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام
وما مسنا من لغوب فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
ومن آناء الليل فسبحه وادبار

الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم
كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس رضي الله عنه الوتر بعد العشاء والادبار
جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء
السجود كقولهم اتيك خفوق النجم واستمع يعني واستمع لما اخبرك به من حال يوم
القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به عن المحدث عنه كما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ ابن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه
بعد ذلك فان قلت بم انتصب اليوم قلت بما دل عليه
ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من
يوم ينادي والمنادي اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن
لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالمحشر من مكان قريب
من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض
وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام
البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد البعث والحشر
للجزاء قرئ تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول
وتنشق سراعا حال من المجرور علينا يسير بتقديم الظرف على الاختصاص اي لا يتيسر
مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية
لرسول الله بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث
وقيل اريد التحلم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى
اجبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم
اذا كان واليهم ومالك امرهم من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها
لانه لا ينتفع الا به دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح
وقرئ بادغام التاء في الذال والحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ
وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا والجاريات
يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي ذا سهولة والمقسمات امرا الملائكة
لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك

وعن

السجود واستمع يوم يناد المناد من
مكان قريب يوم يسمعون الصيحة
بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي
ونميت يوم تشقق الارض عنهم
سراعا ذلك حشر علينا يسير
نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم
بجبار فذكر بالقران من يخاف
وعيد
بسم الله الرحمن الرحيم
والذاريات ذروا فالحاملات وقرا
فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا

وعن مجاهد يتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك
الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر
سلوني قبل ان لا تسالوني ولن تسالوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات
قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك
قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب
يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا
غير لانها تنشئ السحاب وتقلبه وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم
الامطار بتصريف السحاب فان قلت ما معنى الفاء على التفسيرين
قلت اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي
تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله
من الامطار وتجارات البحر ومنافعه واما على الثاني فلانها تبتدئ في الهبوب
فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر ان ما
توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق
كعيشة راضية والدين الجزاء والواقع الحاصل الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء
اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر اثار تثنيه وتكسره قال زهير
مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة
لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها
والمعنى انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها
من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن
حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل
والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم
والحبك بوزن الابل قول مختلف قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القران
شعر وسحر واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض
مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه الضمير للقران
او الرسول اي يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم كقوله لا يهلك على الله
الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اي علم فيما لم يزل انه مافوك
عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات
على ان وقوع امر القيمة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه
فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيمة من هو المافوك
ووجه اخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن اكل
وعن شرب اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم

انما توعدون لصادق وان الدين لواقع
والسماء ذات الحبك انكم لفي قول
مختلف يؤفك عنه من افك قتل

في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك
عنه من أفك على البناء للفاعل اي من أفك الناس عنه وهم قريش وذلك ان الحي كانوا
يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله فيقولون احذره فيرجع
فيخبرهم وعن زيد بن علي رضي الله عنه يأفك عنه من أفك اي يصرف الناس عنه
من هو مأفوك في نفسه وعنه ايضا يأفك عنه من أفك اي يصرف الناس عنه من هو
افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن اي يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلبا
قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك
ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول
المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل
الله في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون فيقولون ايان يوم
الدين اي متى يوم الجزاء وقد تكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع
ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان قلت معناه ايان
وقوع يوم الدين فان قلت فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت
بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون
مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان قلت فما محله
مفتوحا قلت يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا
على هو يوم هم على النار يفتنون وقراءة ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون
ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كانها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم
هذا القول وهذا مبتدأ والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون
ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب اخذين ما اتاهم
ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما اتاهم الا ما هو متلقى
بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات
اي يقبلها ويرضاها محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده
ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك
ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز ان تكون ما مصدرية
او موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على
الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال
قد حصت البيضة راسي فما اطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل
لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون
الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم
وقوله هم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون

المصرين

قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون
يسألون ايان يوم الدين يوم هم على
النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي
كنتم به تستعجلون ان المتقين
في جنات وعيون اخذين ما اتيهم
ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون وفي

اموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض
ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون

المصرين وكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه فان قلت
هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم والمعنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا
ويحيونه كله قلت لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها
تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت السائل الذي يستجدي والمحروم
الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلوات الله عليه ليس
المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي
لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد
يكسب وفي الارض ايات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة
كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين
فيها والماشين في مناكبها وهي مجزاة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من
صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بانواع النبات وانواع الاشجار
بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم
وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها
المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك
للموقنين للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة
فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا اية عرفوا وجه تأملها فازدادوا
ايقانا مع ايقانهم وايقانا الى ايقانهم وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها
من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير
فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف
المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من
الايات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الابصار والاسماع
والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء
من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شيء منها جاء العجز واذا استرخى
اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات
وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان اذا رأى
السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون
الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون
في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء قرئ مثل بالرفع صفة للحق اي حق مثل
نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى
غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا

مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل
اي حق مثل نطقكم وهذا كقول الناس ان هذا الحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما
انك هاهنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الايات والرزق وامر النبي صلى الله
عليه وسلم او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على
قعود فقال ممن الرجل قلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه
كلام الرحمن عز وعلا قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم
قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه
فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت رقيق
فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الاية
صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرات
فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب
الجبار الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت
معها نفسه هل اتاك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله
وانما عرفه من طريق الوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه في الاصل
مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة
جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث
اضافهم ابراهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك واكرامه اياهم ان ابراهيم خدمهم بنفسه
واخدمهم امراته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد
مكرمون اذ دخلوا نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فباضيف من
معنى الفعل او باضمار اذكر سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله
نسلم عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتدا وخبره محذوف معناه
عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كانه قصد ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا
بادب الله وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما
والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم للسلام الذي
هو علم للاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين عهدهم
كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او راى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم
او كان هذا سؤال لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ الى اهله
فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يباده بالقرى
من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة
مال نبي الله ابراهيم البقر فقربه اليهم بعجل والهمزة في الا تاكلون للانكار انكر عليهم ترك
الاكل او حثهم عليه فاوجس فاضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم

هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
سلام قوم منكرون فراغ الى اهله
فجاء بعجل سمين فقال الا تاكلون
فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
وبشروه بغلام عليم

فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت
عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك
انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم
حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فما
فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين
وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا
فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم وفي
موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين
فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم

يريدون به سوءا وعن ابن عباس رضي الله عنه وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا
للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه
بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق وهو اكثر
الاقاويل واصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امراة ابراهيم وهو بعلها
وعن مجاهد هو اسماعيل في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب
ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحيا وقيل فاخذت في
صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتا وعن عكرمة رنتها
فصكت فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب
عجوز انا عجوز فكيف الد كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك اي
انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروي ان جبريل عليه الصلاة
والسلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة
لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله تعالى رسلا في بعض الامور قال
فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبتكم الى قوم مجرمين الى قوم لوط حجارة من
طين يريد السجيل وهي طين طبخ كما يطبخ الاجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة
معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها
من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا سماهم مسرفين
كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما ابيح لهم الضمير
في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد
وانهما صفة مدح قيل هم لوط عليه السلام وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين
نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا ان الايمان
محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله اية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية
قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء اسود منتن وفي موسى معطوف
على وفي الارض ايات او على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله
علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه فازور واعرض كقوله ونأى بجانبه وقيل
فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر
هو ساحر مليم ات بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في
فاخذناه فان قلت كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه
بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم
تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها
وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى ادم ربه لان الكبيرة

والصغيرة يجمعها اسم العصيان كما يجمعها اسم القبيح والسيئة العقيم التي لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء
وعن ابن عباس رضي الله عنه الدبور وعن ابن المسيب الجنوب والرميم كل ما رم اي بلي
وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك حتى حين تفسير قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم
الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون كانت نارا يعاينونها وروي ان
العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله
فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه منتصرين ممتنعين
من العذاب وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح
وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح بايد
بقوة والايد والاد القوة وقد آد يئيد وهو ايد وانا لموسعون لقادرون من الوسع
وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل
جعلنا بينها وبين الارض سعة فنعم الماهدون فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء
اي ومن كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل
والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها
زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء
وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى
الله الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله اني لكم
نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل
كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد
ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته
ساحرا او مجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى ولا يصح ان يكون الكاف منصوبة باتى
لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات لكان صحيحا يعني مثل ذلك
الاتيان لم يات من قبلهم رسول الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول يعني اتواصى به
الاولون والاخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون
اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان
والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم
يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك في اعراضك بعد ما بلغت
الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير بايام الله والموعظة
فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذين عرف الله منهم انهم يدخلون في الايمان

ويزيد

ويزيدا للداخلين فيه ايمانا وروي انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله واشتد
ذلك على اصحابه وراوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله وذكر
اي وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها فان
قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت
انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين
فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت
من جميعهم يريد ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد
انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفي ربحا
او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش
او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب
المعيشة وابواب الرزق فاما مالك الملك لعبيده وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في
انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم
ومتفضل عليكم برزقكم وما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي المتين
الشديد القوة قرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تاويل الاقتدار
والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ
الرازق وفي قراءة النبي صلوات الله عليه اني انا الرازق الذنوب الدلو العظيمة
وهذا تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال
لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب قال عمرو بن شاس
وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب قال الملك نعم واذنبة
والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله
مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل
سجل اصحابهم من يومهم يوم القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع واربعون اية وقيل ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الطور الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى وهو بمدين والكتاب المسطور في الرق
المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي تكتب فيه الاعمال
قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى
وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القران ونكر لانه كتاب مخصوص

وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون

بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق منشور

وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم ...

من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها والبيت المعمور الضراح في السماء
الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار
والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء وقيل الموقد من قوله واذا
البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة كلها نارا يسجر بها نار جهنم
وعن علي رضي الله عنه انه سال يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في البحر
قال علي ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور لواقع لنازل قال جبير بن
مطعم اتيت رسول الله اكلمه في الاسارى فالقيته في صلوة الفجر يقرء سورة الطور فلما
بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب تمور تضطرب وتجيء وتذهب
وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداعصة في الركبة غلب
الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم
كالذي خاضوا الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى
اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا
في اقفيتهم وقرئ زيد بن علي رضي الله عنه يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار
وادخلوا النار دعا مدعوين يقال لهم هذه النار افسحر هذا يعني كنتم تقولون
للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى
ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا
عن الخبر وهذا تقريع وتهكم سواء خبر محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه
فان قلت لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون
قلت لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازي
عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا
منفعة فلا مزية له على الجزع في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال
في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة وقرئ فاكهين
وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف
لغوا اي متلذذين بما آتاهم ربهم فان قلت علام عطف قوله تعالى
ووقاهم ربهم قلت على قوله في جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل
ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان تكون
الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او
طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله
هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعني صفة استعملت
استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه
قيل هنا عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ههنا هناكم الاكل والشرب

والبيت المعمور والسقف المرفوع ان عذاب
ربك لواقع ماله من دافع يوم تمور السماء
مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ
للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم
يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي
كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم

او هناكم ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة
بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب وقرئ بعيس عين والذين امنوا
معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء
منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بموانسة
الاخوان المؤمنين واتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية فيجمع الله
لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبموانسة الاخوان
المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان
كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم فان
قلت ما معنى تنكير الايمان قلت الدلالة على انه ايمان
خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من
الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم واتبعتهم
ذريتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه اخر وهو ان يكون والذين
امنوا مبتدا خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما التناهم
وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم
من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه
الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ التناهم وهو
من بابين من الت يالت ومن الات يليت كامات يميت وآلتناهم من آلت يولت
كآمن يؤمن ولتناهم من لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد
كل امرئ بما كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح
الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها
والا اوبقها وامددناهم وزدناهم في وقت دون وقت يتنازعون يتعاطون
ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا لا لغو فيها ولا تاثيم
اي لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين
في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم فاعله اي ينسب
الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم
والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء
وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم مكنون في الصدف
لانه رطبا احسن وصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة
هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم
بحور عين والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم
بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم
من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب
رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما
يشتهون يتنازعون فيها كاسا
لا لغو فيها ولا تاثيم ويطوف عليهم غلمان
لهم كانهم لؤلؤ مكنون

والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه
الف ببابه لبيك لبيك يتساءلون يتحادثون ويسال بعضهم بعضا عن احواله
واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله
وقرئ ووقّانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح
الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة من قبل يعني من
قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونسئله الوقاية انه
هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ
انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك
قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن
يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله
وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين وقرئ يتربص به
ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من
حوادث الدهر قال امن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت
وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب
قالوا انتظروا به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة
من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي احلامهم عقولهم والبابهم
ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتامرهم احلامهم بهذا التناقض في القول وهو
قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى
ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم فان قلت
ما معنى كون الاحلام آمرة قلت هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله
اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون تقوله
اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن
مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا
واحد من العرب وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله
ومعناه ان مثل محمد في فصاحته ليس بمعوز في العرب فان قدر محمد على نظمه
كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ام خلقوا ام احدثوا وقدروا
التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر ام هم الذين
خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم
وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل
اخلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل اخلقوا من غير اب وام ام

واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون [illegible]

عندهم خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او عندهم خزائن علمه حتى
يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون
حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون
بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة
وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم
وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق
استماع مستمعهم مغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اي لزمهم مغرم ثقيل
فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون
ما فيه حتى يقولون لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا وهو كيدهم
في دار الندوة برسول الله وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة اليهم او اريد بهم كل
من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم
وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته كسفا
القطعة وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم
لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه
فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وقرئ يصعقون يقال
صعقه فصعق وهو وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق وان للذين ظلموا
وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط
سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا لحكم ربك
بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا مثل اي بحيث
نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله
ولتصنع على عيني وقرئ باعينّا بالادغام حين تقوم من اي مكان قمت وقيل
من منامك وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ وادبار بالفتح اي
في اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في
هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين
وادبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور
كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وهي احدى وستون آية وقيل ثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم
النجم الثريا وهو اسم غالب لها يقال اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء

ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسئلهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم

النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيرة يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القران وقد نزل منجما في عشرين سنة اذا هوى اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة ابن الزبير ان عتبة ابن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لاتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا اجمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلوات الله عليه والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما اتاكم به من القران ليس بمنطق يصدر عن هواه ورايه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الاية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه وحيا لا نطقا عن الهوى شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبرائيل صلوات الله عليه ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة الطرف وراى ابليس تكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه في اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورايه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورة نفسه [illegible] الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة [illegible] وذلك ان رسول الله احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق [illegible] كما يسد الشمس فملا الافق وقيل ما راه احد من الانبياء عليهم الصلوة والسلام في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ثم دنى من رسول الله فتدلى فتعلق عليه في الهوى ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر قال الشاعر

تدلى

قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى

تدلى عليه بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلي ان راى خيرا تدلى وان لم يره تولى قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرء زيد ابن علي قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة حتى ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال وقد جعلتني من خزيمة اصبعا فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله وقد جعلتني من خزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى على تقديركم لقوله او يزيدون الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحي اليه قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب فؤاد محمد ما راه ببصره من صورة جبرائيل اي ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما راه حق وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبرائيل بصورته افتمارونه من المماراة وهي المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه من المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا

لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا

وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين نزلة اخرى مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو المرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل نزلة اخرى في صورة نفسه فراه عليها وذلك ليلة المعراج قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش [illegible] ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها [illegible] كانها في منتهى الجنة واخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل تنتهي اليها ارواح الشهداء جنة الماوى الجنة التي يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل تاوي اليها ارواح الشهداء

وقرئ علي وابن الزبير وجماعة جنّة المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة
انها انكرته وقالت من قرأ به فأجنّه الله اذ يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها
فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله
اشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من
الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها
رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ
بصر رسول الله وما طغى اي اثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان
يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن
منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه
الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فأري عجائب الملكوت
اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف
بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون
عليها ويعكفون للعبادة اي يلتوون عليها اي يطوفون وقرئ اللاتّ بالتشديد
وزعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن
مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا
والعزى كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تأنيث الاعز وبعث اليها رسول الله
خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة
يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول
يا عزّ كفرانك لا سبحانك   اني رأيت الله قد اهانك   فرجع فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا   ومناة كانت صخرة لهذيل
وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك
كانت تمنى عندها اي تراق ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها
الانواء تبركا بها والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم
لاولاهم اي قالت ضعفاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم
عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا
يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم ألكم الذكر
وله الانثى [illegible] اناث وقد جعلتموهن لله
شركاء ومن شأنكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم وينسبن اليكم
فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا لله وتسمونها آلهة تلك اذا قسمة ضيزى جائرة من
ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ

ضئزى

يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ
البصر وما طغى لقد رأى من آيات
ربه الكبرى أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر
وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى

٢٠٩

ضئزى من ضأزه بالهمز وضَيزى بفتح الضاد هي ضمير الاصنام اي ما هي الا اسماء
ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشد
منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها او ضمير الاسماء
وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسماء الالهة يعني ما هذه الا
الاسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان
تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان
يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وان آلهتهم تشفع لهم
وما تشتهيه انفسهم   كون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل
ام للانسان ما تمنى هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمنى
والمراد طمعهم في شفاعة الالهة وهو تمنٍ على الله في غاية البعد وقيل هي قوله
لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين
مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الآخرة والاولى اي هو
مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء
منهما يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربهم وزلفاهم وكثرتهم
واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا
قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة
له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام الى لعبدتها
ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله
فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى   به من علم اي بذلك وبما
يقولون وفي قراءة ابي بها اي بالملائكة او التسمية   لا يغني من الحق شيئا يعني
انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن
والتوهم فاعرض عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد الا الحيا
ولا تتهالك على اسلامه ثم قال ان ربك هو اعلم اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا
يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي من احببت وما
عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا تقابله
ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان [illegible] يجزي
وليجزي بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل [illegible]
الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين [illegible] منهم ويجوز ان
يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم
بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء ويجزي بالحسنى بالمثوبة
الحسنى وهي الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى [illegible]

إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم
ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون
إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد
جاءهم من ربهم الهدى أم للإنسان ما تمنى
فلله الآخرة والأولى وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء
ويرضى إن الذين لا يؤمنون بالآخرة
ليسمون الملائكة تسمية الأنثى
وما لهم به من علم إن يتبعون إلا
الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا
فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا
الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله
وهو أعلم بمن اهتدى ولله ما في
السموات وما في الأرض ليجزي الذين
أساؤوا بما عملوا [illegible]

الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله سبحانه وتعالى واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه مكثه والم بالطعام قل منه اكله ومنه لقاء اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما الهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم والهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هو النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنوب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ادم وقيل ان يخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر الذي قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخر فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم روي ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد ابن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضى الله وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل فهو يرى فهو يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق وفى قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل

ان ربك واسع ... اذ انشأكم من ... فلا تزكوا انفسكم ... اعطى قليلا واكدى اعنده ...

كان بين نوح وبين ابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم عليه السلام وعن عطاء ابن السائب عهد ان لا يسال مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل الك حاجة فقال اما اليكم فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون الى وحين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف ان لا تزر مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل ان لا تزر الا ما سعى الا سعيه فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم يجزاه اي يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى قرئ بالفتح على معنى ان هذا كله في الصحف الاولى وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه والى الله المصير اضحك وابكى خلق قوتي الضحك والبكاء اذا تمنى اذا تدفق في الرحم يقال منى وامنى وعن الاخفش تخلق من مني الماني اي قدر المقدر وقرئ النشأة والنشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الاحسان والاساءة واقنى واعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله ابو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم في دينهم يريد انه رب معبودهم هذا عادا الاولى قوم عاد وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف وقرئ عادا الاولى وعاد لولى بادغام ...

صحف موسى وابراهيم الذي وفى ان لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى

التنوين في اللام وطرح همزة اولى ولنقل ضمتها الى لام التعريف وثمودا وقرئ وثمود
اظلم واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه
حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة
والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فائتفك
وقرئ والمؤتفكات اهوى رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم اهواها الى الارض
اي اسقطها فغشاها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من
الصخر المنضود فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله او للانسان
على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر
والمواعظ للمعتبرين هذا القرآن نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات
الاولى التي انذر بها من قبلك او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين
وقال الاولى على تأويل الجماعة ازفت الآزفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله
اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها
لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة اي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير
انه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر
بمعنى الكشف كالعافية وقرطلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة
وهي على الظالمين ساءت الغاشية افمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون انكارا
وتضحكون استهزاء ولا تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو
وانتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل ساهون لاعبون وقال بعضهم لجارية
اسمدي لنا اي غني لنا فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الآلهة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم اعطاه الله عشر
حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انشقاق القمر من آيات الله ومعجزاته النيرة عن انس ان الكفار سألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت
وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق
يوم القيمة وقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا
وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات الله
اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن

حذيفة

حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق كما تقول
اقبل الامير وقد جاء البشير بقدومه على عهد نبيكم وان يروا آية معجزة مطرد وكل شيء
قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما راوا تتابع الآيات وترادف
المعجزات قالوا هذا القول وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من
استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اي هو مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان
نسيغه كما لا يساغ المر المقر وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم
وتعليلا وقرئ وان يروا وكذبوا واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد
ظهوره وكل امر مستقر اي كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد
سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من
امرهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة
او سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني وكل امر ذو مستقر اي ذو استقرار او ذو
موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا
على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله ولقد جاءهم من
الانباء من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب
الكفار ما فيه مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة
له كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء
الافتعال زايا وادغام الزاي فيها حكمة بالغة بدل من ما او على هو حكمة وقرئ
بالنصب حالا من ما فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك ان تنصب
حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصصها
الصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او انكار وما منصوبة اي فاي
غناء تغني النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب يوم يدع الداع
بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعي اسرافيل
او جبرائيل كقوله يوم يناد المناد الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم
تعهد بمثله وهو هول يوم القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا
ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ
خاشعة على يخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني
البراغيث وهم طي ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ
خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال [illegible]
[illegible] وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة
العزيز تظهران في عيونهما وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر
الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤوا كالجراد

وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى فبأي آلاء ربك [illegible] هذا نذير من النذر الاولى ازفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة افمن [illegible]

[illegible] سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر

والدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه
وقيل ناظرين لا يقلعون بابصارهم قال تعبدني نمر ابن سعد وقد ارى ونمر ابن سعد
لي مطيع ومهطع قبلهم قبل اهل مكة فكذبوا عبدنا يعني نوحا صلوات الله عليه
فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت
معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا
عبدنا نوحا لانه من جملة الرسل مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب
والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا
هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه قرئ اني بمعنى
فدعا باني مغلوب واني على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا
مني واستحكم الياس من اجابتهم لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا
بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد من امته كان
يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
قرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين
يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك
وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الراس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء
والارض وقرئ الماءان اي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي
تمران تريد ضربان من التمر برني ومعقلي قال لنا ابلان فيهما ما علمتم وقرأ الحسن
الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على حال قدرها الله كيف شاء
وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض
سواء بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان
على ذات الواح ودسر اراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب
منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة
من حديد اراد ولكن قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات باكرع اراد ولو
في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الدرع
والجراد وهاتين الصفتين لم تصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار
وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه جزاء مفعول له لما قدم
من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح صلوات الله
عليه وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا
قال للرشيد رحمه الله الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام فقال انت نعمة
حمدت الله تعالى عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرأ قتادة

مهطعين الى الداع يقول الكافرون
هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم
نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون
وازدجر فدعا ربه اني مغلوب
فانتصر ففتحنا ابواب السماء
بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا

كفر

كفر اي جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء بالكسر اي مجازاة الضمير في تركناها للسفينة
او للفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة
وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة والمدكر المعتبر وقرئ
مذتكر على الاصل ومدكر بقلب التاء دالا وادغام الذال فيها وهذا نحو ازدجر والنذر
جمع نذير وهو الانذار ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان
شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد فهل من متعظ وقيل
ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه
ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر
فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني
الذي كنت اصنع ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها
الا اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب
قبل نزوله او انذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم في يوم نحس في يوم شؤم وقرئ في
يوم نحس كقوله في ايام نحسات مستمر قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم او استمر
عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في اربعاء في اخر الشهر
لا يدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم
عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بايدي بعض ويتدخلون في الشعاب
ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم كانهم اعجاز نخل
منقعر يعني انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم جثث طوال عظام كانهم اعجاز
نخل وهي اصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل
لان الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى اجسادا بلا رؤوس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو
حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية ابشرا منا واحدا نصب بفعل يفسره
نتبعه وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام كان يقول
ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه
فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب
والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال كان بها سعرا اذا العيس هزها ذميل
وارخاء من السير متعب فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا
قلت قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكونوا
من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا انكارا لان يكون مثلهم وقالوا
واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس
باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم أالقي الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي
من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارة

ولقد تركناها آية فهل من مدكر
ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر كذبت عاد فكيف
كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم
ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس
كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان
عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر
فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا
لفي ضلال وسعر أالقي عليه الذكر
من بيننا بل هو كذاب اشر

طلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة
من الكذاب الاشر اصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على الحكاية ما قال
لهم صالح مجيبا لهم او كلام الله تعالى على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم
حدث وحدث وحذر وحذر واخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشر اخ
والاخير والاشر اصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو اصل مرفوض وقد حكى
ابن الانباري تقول العرب هو اخير واشر وما اخيره وما اشره مرسلوا الناقة باعثوها
ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر
ما هم صانعون واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى ياتيك امري قسمة بينهم مقسوم
بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء محتضر محضور لهم
او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها صاحبهم قدار بن سالف احيمر
ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة
وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف صيحة واحدة صيحة جبرائيل
والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر
به ييبس بطول الزمان وتتوطاه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو
موضع الاحتظار اي الحظيرة حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم بسحر بقطع من
الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر
والاخر عند انصداعه وانشد مرت باعلى السحرين تذال وصرف لانه نكرة ويقال
لقيته بسحر اذا لقيته في سحر يومه نعمة انعاما مفعول له من شكر نعمة الله بايمانه
وطاعته ولقد انذرهم لوط عليه الصلوة والسلام بطشتنا اخذتنا بالعذاب
فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر
الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت
الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه
صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط فذوقوا فقلت
لهم ذوقوا على السنة الملائكة بكرة اول النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين
وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه بكرة غير مصروف تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين
اذا اردت التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوتك عذاب
مستقر ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الاخرة فان قلت
[illegible] قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
قلت فائدته ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين ادكارا
واتعاظا وان يستانفوا تنبها اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع لهم
العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة

وهذا

سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
[illegible]سلوا الناقة فتنة لهم
[illegible]هم واصطبر ونبئهم
[illegible] قسمة بينهم كل
[illegible] صاحبهم
[illegible]

وهذا حكم التكرير كقوله فباي الاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن
وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل اية اوردها في سورة والمرسلات وكذلك
تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة
للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان النذر موسى وهرون وغيرهما من الانبياء
لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير وهو الانذار بآياتنا كلها بالآيات
التسع اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا اهل مكة خير
من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم
خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك
بل شر منهم ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر
منكم وكذب الرسل كان امنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة نحن جميع جماعة
امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر
فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع
عن عكرمة لما نزلت هذه الاية قال عمر اي جمع يهزم فلما راى رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تاويلها ويولون
الدبر اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم وقرئ الادبار ادهى وامر اشد
وافظع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدي لدوائه وامر من الهزيمة والقتل
والاسر وقرئ سيهزم الجمع في ضلال وسعر في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق
في الدنيا ونيران في الآخرة مس سقر كقولك مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار
اذا اصابتهم بحرها لحقتهم بايلامها فكانها تمسهم مسا بذلك كما تمس الحيوان وتباشر
بما يؤذي ويولم وذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته
اذا لوحته قال الشاعر ذو الرمة
اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل
وعدم صرفها للتعريف والتانيث كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر
وقرئ كل بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا
محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما
قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين
كلمح بالبصر اراد قوله كن يعني اذا اردنا تكوين شيء لم يلبث كونه [illegible]
[illegible] في الكفر من الامم السالفة في الزبر في دواوين الحفظة وكل [illegible]
ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل
هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد
صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك

اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم
بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي
ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر ولقد جاء آل فرعون
النذر كذبوا بآياتنا كلها فاخذناهم
اخذ عزيز مقتدر اكفاركم خير
من اولئكم ام لكم براءة في الزبر ام يقولون
نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون
الدبر بل الساعة موعدهم والساعة
ادهى وامر ان المجرمين في ضلال وسعر
يوم يسحبون في النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر انا كل شيء
خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر ولقد اهلكنا
اشياعكم فهل من مدكر وكل
شيء فعلوه في الزبر وكل
صغير وكبير مستطر
[illegible]

مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي
منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله
يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد الله عز وعلا الاءه فاراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب
الائه واصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها
واقصى مراقيها وهو انعامه بالقران وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة
واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها
والعيار عليها واخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين
وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكان الغرض في انشائه كان
مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق
الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة
واخلاؤها عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر
اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعله احد باحد فما تنكر من احسانه
بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك
منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب والنجم النبات الذي ينجم من الارض
لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق وسجودهما انقيادهما لله تعالى
فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده فان قلت
كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغنى فيهما عن الوصل
اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه
قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قلت
كيف اخل بالعاطف في الجمل الاولى ثم جيء به بعد قلت بكت [illegible] بالجمل
الاول واردة على سنن التعديد الذين انكروا الرحمن والاءه كما يبكت منكر ايادي
المنعم [illegible] بتعديدها [illegible] الذي قدمته ثم رد الكلام الى
منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف
فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف
قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب

من

من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري
الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر
وقيل علم القران جعله علامة واية وعن ابن عباس رضي الله عنه الانسان ادم
وعنه ايضا محمد صلى الله عليه وعن مجاهد النجم نجوم السماء والسماء رفعها
خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشا احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل
اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه
بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله
وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان
وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث
علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم
واعطائهم الا تطغوا لئلا تطغوا او هي ان المفسرة على ارادة القول واقيموا الوزن
بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية
ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف
ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث
عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها
وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا
في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق
وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتقلبون فوقها
فاكهة ضروب مما يتفكه به والاكمام كل ما يكم اي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه
وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية الثمر
الواحد كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب
اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل
وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف
الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم
وفي مصاحف اهل الشام والحب ذا العصف والريحان او واخص الحب والريحان
ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه [illegible]
في ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام عليهما [illegible]
الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف
فان قلت قد اختلف التنزيل في هذا وذلك في قوله عز وجل من حماء
مسنون من طين لازب من تراب قلت هو متفق في المعنى ومفيد انه

والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا
في الميزان واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض
وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام
والحب ذو العصف والريحان فباي الاء ربكما تكذبان
خلق الانسان من صلصال كالفخار

قد خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا والجان ابو الجن قيل هو
ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج
الشيء اذا اضطرب واختلط فان قلت ما معنى قوله من نار قلت
هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة
كقوله فانذرتكم نارا تلظى قرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما
او اراد مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين ارسل البحر الملح والبحر العذب
متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في رأي العين بينهما برزخ حاجز من قدرة
الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة قرئ
يخرج ويخرج من اخرج وخرج ونخرج ايضا اي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان
بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسد
وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فان قلت لم قال منهما
وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا جميعا كالشيء الواحد
جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن
من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار
واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب الجواري
السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه لها ثنايا اربع حسان
واربع فكلها ثمان والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي
الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم وهو الجبل
الطويل عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات
ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والاكرام
صفة الوجه وقرئ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون
عن التشبيه بخلقه وعن افعاله او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده
الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظم صفات الله ولقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه
الصلاة والسلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد
استجيب لك فان قلت ما النعمة في ذلك قلت اعظم
النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك كل من اهل السموات والارض مفتقرون
اليه فيسأله اهل السموات [illegible] واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم
كل يوم هو في شأن اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه ان
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله

يومان

يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة
والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل
نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك
وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي
اخبرني ما اصابك لعل الله تعالى يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك
فاعلمه فقال ايها الملك شأن الله ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي
مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الملك احسنت وامر
الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله وعن عبد
الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك
لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم
هو في شأن وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان
الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامم
ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم فيها
الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس
للانسان الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو
في شأن فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ
خراجه سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع
بك من كل ما يشغلني عنك حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه
والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك
شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو
جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم اي الله سبحانه وتعالى
وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وبفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا
ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان
الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله
ايها الثقلان ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي
فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعني [illegible]
لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين [illegible]
فتحيط بجميع الخلائق [illegible] الا وجدوا الملائكة
قد احاطت به قرئ شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب
الخالص والنحاس هو الدخان [illegible]

سنفرغ لكم ايها الثقلان فباي آلاء
ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض فانفذوا لا تنفذون
الا بسلطان فباي آلاء ربكما تكذبان
يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس

[illegible] الجان من مارج من نار فباي آلاء
[illegible] تكذبان رب المشرقين ورب
[illegible] فباي آلاء ربكما تكذبان
[illegible] يلتقيان بينهما برزخ
[illegible] تكذبان
[illegible]

وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحُس اي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال كأنهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم انس بعض من الانس ولا جان اريد ولا جن اي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسئلون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهو سواد الوجوه وزرقة العيون فان قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسئلنهم وقوله وقفوهم انهم مسئولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون في موطن ولا يسئلون في اخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل سؤال التوبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد جأن فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حده فيؤخذ بالنواصي والاقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليه بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون اي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله تعالى قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذيب فان قلت لم قال جنتان قلت

الخطاب

تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان [illegible]

الخطاب للثقلين كانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال

ومن كل افنان اللذاذة والصبى لهوت به والعيش اخضر ناضر

عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن على ازواجهن ابصارهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن محمد ابن الحنفية رضي الله عنه هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش فان قلت لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها قلت اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله وجبريل وميكال او لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله اذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه خيرات خيّرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون والاخيرات وقرئ خيّرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة

فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان [illegible]

ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة منحيا من درة مجوفة قبلهم قبل اصحاب
الجنتين دل عليهم ذكر الجنتان متكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط
وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف
البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب
الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شي عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين
وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلدان وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف
ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته فان قلت كيف تقاصرت
صفات هاتين الجنتين على الاوليين حتى قيل ومن دونهما قلت
مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة
وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن فقد ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي سبع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت
بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع
الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله فان قلت
بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف
يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين
تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة
صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما راوا باسنا
قالوا امنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا
في مرية منه حتى تاتيهم الساعة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي
او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة تكذبها يقال
لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته
قالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق
شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور
وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش
المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب
من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما
حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

اي

اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة على هي خافضة رافعة
ترفع اقواما وتضع اخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك
يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما ان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء
يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا
وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال
فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال رجت حركت
تحريكا شديدا حتى يتهدم كل شي فوقها من جبل وبناء وبست الجبال وفتت
حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال
منبثا متفرقا وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت
وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج فان
قلت بم انتصب اذا رجت قلت هو بدل من اذا وقعت
ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس
الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض ازواجا اصنافا
يقال للاصناف التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج فاصحاب
الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم واصحاب المشامة الذين يؤتونها بشمائلهم
او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين
وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم
بالميامن وتشؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك
اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة
واصحاب المشامة اصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل
النار ذات الشمال والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا
الغبار في طلب مرضات الله وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه
ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب
وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه
ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب
المشامة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شي هم والسابقون
السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد
الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى اليك
وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا واولئك المقربون خبرا
وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون اولئك المقربون

اذا رجت الارض رجا وبست الجبال
بسا فكانت هباء منبثا وكنتم
ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب
المشامة والسابقون السابقون
اولئك المقربون في جنات النعيم

يلهم

والصواب ان تقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما
اصحاب المشئمة المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش
واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم والثلة الامة من الناس الكثيرة قال
وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد
وقوله وقليل من الاخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كان
الامة من الامم وهو الشجر كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى
ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن ادم الى محمد صلوات الله عليهما
وقليل من الاخرين وهم امة محمد وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن
الاخرين من متاخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتي
فان قلت كيف قال وقليل من الاخرين ثم قال وثلة من الاخرين
قلت هذا في السابقين وذاك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون
من الاولين والاخرين جميعا فان قلت فقد روي انه لما نزلت
شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قلت هذا لا يصح لامرين احدهما
ان هذه الاية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين
الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني
ان النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن رحمه الله سابقو الامم اكثر من سابقي
امتنا وتابعو الامم مثل تابعي امتنا وثلة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة موضونة
مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توصل
حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادني
بعضها من بعض متكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها اي استقروا
عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة
وتهذيب الاخلاق والاداب مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان وحد
الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا
لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي
رضي الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة
الاكواب اوان بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم والعرى لا يصدعون
عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها ولا ينزفون عنها وقرئ مجاهد
لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون
اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم يتخيرون ياخذون خيره وافضله ويشتهون
يتمنون وقرئ ولحوم طير وقرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب

الا

من الاولين وقليل من الاخرين
... موضونة متكئين عليها
... يطوف عليهم ولدان مخلدون
... باكواب واباريق وكاس
... لا يصدعون عنها ولا ...

الا رواكد حرهن هباء ومشج او للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم
كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان
مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء مفعول له
اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم سلاما سلاما اما بدل من قيلا بدليل قوله
لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان
يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام
وقرئ سلام سلام على الحكاية السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له
كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تثني اغصانه كثرة حمله من خضد
الغصن اذا ثناه وهو رطب والطلح شجر الموز وقيل هو شجر ام غيلان وله نوار
كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل
وعن علي رضي الله عنه انه قرئ وطلع وما شان الطلح وقرا قوله لها طلع نضيد
فقيل او نحولها قال ان اي القران لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس رضي الله
عنه نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له سوق
بارزة وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس
مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع
وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع
في بعض الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر
عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة
كقوله وحور عين وفرش جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة اي نضدت
حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش
مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون
ويدل عليه قوله انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش
ابتداء جديدا من غير
وهي المضاجع دل عليها انشاناهن
ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان ام سلمة سالته عن قول الله تعالى انا انشاناهن فقال
يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد
الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا
فلما سمعت رسول الله عائشة يقول [illegible] قالت [illegible] واوجعاه فقال لها رسول
الله ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة
فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام اخبروها
انها ليست يومئذ بعجوز وقرا الاية عربا وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي

المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها
لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما
واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر
مخضود وطلح منضود وظل ممدود
وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشاناهن
انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب
اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين

المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين
وازواجهن ايضا كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة
جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين واللام في قوله لاصحاب اليمين
من صلة انشانا وجعلنا في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء حار متناهي
الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد ولا كريم نفي لصفتي الظل
يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من
ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه
والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شانا ليس للاثبات وفيه تهكم
باصحاب المشامة وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة
وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو كذلك الحنث الذنب العظيم ومنه قولهم
بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالماثم ومنه حنث في يمينه خلاف
برها ويقال تحنث اذا تاثم وتحرج اوآباؤنا دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف
فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد
بنحن قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا
ولا اباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ اوآباؤنا وقرئ لمجموعون الى ميقات يوم
معلوم اي الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة
والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي
لا يتجاوزها من اراد دخول مكة الا محرما ايها الضالون عن الهدى المكذبون بيوم
البعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية
والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى وذكر على اللفظ في
قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر
الثاني على تاويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه شرب الهيم قرئ بالحركات
الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ايام اكل وشرب
بفتح الشين واما المكسور فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل التي بها
الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة
فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا
يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى
انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملاوا
منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم
فيشربونه شرب الهيم فان قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين

وهما

وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال
في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد
ولا كريم إنهم كانوا قبل
ذلك مترفين وكانوا يصرون

٢١٩

وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه
قلت ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما
هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب
الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين النزل الرزق الذي
يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي
السعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وقرئ نزلهم بالتخفيف فلولا تصدقون تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم
وان كانوا مصدقين به الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم
مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا ما تمنون
ما تمنونه اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة
ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى تخلقونه تقدرونه وتصورونه قدرنا
بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه
مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف
سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه ومعنى قوله وما نحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم
جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في
خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما
يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل
اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم
في صفات لا تعلمونها قرئ النشاة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس
حيث جهلهم في ترك قياس النشاة الاخرى على الاولى افرايتم ما تحرثون من
الطعام اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه
نباتا وينمي الى ان يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة ارايتم الى قوله افرايتم الى
والحطام اليابس كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم
فظلتم وقرئ بالكسر فظللتم على الاصل تفكهون تعجبون وعن الحسن تندمون
على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي التي اصبتم بذلك
من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة ياتيها البعداء ويتركها
القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون
انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو
الهلاك بل نحن محرومون محارفون محدودون لا حظ لنا ولو كنا مجدودين

فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم
تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا
بينكم الموت وما نحن بمسبوقين
على أن نبدل أمثالكم وننشئكم
فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة
الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم
ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن
لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم
إنا لمغرمون بل نحن محرومون

لما جرى علينا هذا وقرئ آانا الماء الذي تشربون يريد الماء العذب الصالح
للشرب والمزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب
ماء اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فان قلت لم ادخلت اللام
على جواب لو في قوله لجعلناه حطاما ونزعت ها هنا قلت ان لو
لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط ولم تكن
مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث
افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما
ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت
بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم وشهر موقعه وصار مالوفا
ماالوفا لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى
عن روبة انه كان يقول لمن قال له كيف اصبحت خير فيحذف الجار لعلم كل احد
بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس
حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفهم اذ فاذ نحذفها
اختصارا لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم
ذكرها والمسافة قريبة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان
هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم دون اية المشروب
للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد
واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي
ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء
اذا سقيت ضيوف الناس محلا سقوا اضيافهم شملا زلالا
وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت اية المطعوم
على اية المشروب تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين
تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل
والطروقة شجرتها التي منها الزناد تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها
اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون
اليها ويذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو ادم جزء من سبعين
جزءا من حر جهنم متاعا منفعة للمقوين الذين ينزلون القواء وهي القفر او الذين
خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام لم اكل شيئا فسبح
باسم ربك فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك
والعظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما يدل على قدرته وانعامه

الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرايتم النار التي تورون ءانتم ...

على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان تقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون
الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الائه واياديه الظاهرة
واما شكرا لله على النعم التي عددها ونبه عليها فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها
في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء
دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح
ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها
قبيح والثاني ان لافعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال
بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب
افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عليهم السلام عبادات موصوفة او لانه وقت قيام
المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك
اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها
ومساريها وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف
وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم
عليه وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم
اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع
جم المنافع او كريم على الله في كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع
عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت
الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه
الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا
وعن ابن عمر رضي الله عنهما احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس رضي الله
عنهما في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون
والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون
انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل صفة رابعة للقرآن
اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب
الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق
به التنزيل وهو تنزيل على حذف المبتدا وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني
القرآن انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا
به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون على حذف المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب
او وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون
وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم

فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون

تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبة السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر
ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون
مخففا وهو قولهم في القران سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب
بالحق كاذب ترتيب الاية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين
وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر
غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل
الميت يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله
واياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا
صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب
يؤدي الى الاهمال والتعطيل فانكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم وكان لم
يكن ثم قابض ولستم صادقين في تعطيلكم وكفركم المحيي المميت المبدئ المعيد فاما ان
كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة في اول السورة
فروح فله استراحة وروت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم
وقرئ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا
وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام
لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما
فنزل من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم قرئت بالرفع والجر
عطفا على نزل وحميم ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من
اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل
ليلة ابدا لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما
ان من شان ما اسند اليه التسبيح وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل
باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى
سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان
يكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله
ولوجهه خالصا [illegible] السموات والارض ما يتاتى منه التسبيح ويصح فان قلت
[illegible] قلت يجوز ان لا يكون له محل من الاعراب ويكون [illegible]
لقوله تعالى له ملك السموات [illegible] ان يكون مرفوعا على هو يحيي منصوبا حالا من المجرور
في له والجار عاملا فيها ومعنا يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت

الاحياء هو الاول هو القديم الذي كان قبل كل شيء والاخر الذي يبقى بعد
هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس
فان قلت ما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة
على انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثالثة انه الجامع بين الظهور
والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين
الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية وهو في جميعها ظاهر وباطن
جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الاخرة
بالحاسة وقيل الظاهر هو العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه
والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذلك مع العدول عن الظاهر
المفهوم مستخلفين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه
لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيه فليست هي
باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله
وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه
او جعلكم مستخلفين مما كان في ايدي من قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث
انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها
انفسكم لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع
قائما اي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم واو الحال فهما حالان
متداخلتان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى
واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب
الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول
ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا لم يبق لكم علة بعد ادلة
العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب
لا مزيد عليه وقرئ اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ليخرجكم الله
باياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته لرؤوف وقرئ
لرؤف الا تنفقوا في ان لا تنفقوا ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء
فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل
الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق
في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق
في مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة
الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين
انفقوا قبل الفتح هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي

هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم [illegible]

فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان من [illegible]

صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم
درجة وقرئ قبل بالفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة
الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله القرض الحسن
الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه
فكانه اقرضه اياه فيضاعفه له فيعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من
فضله وله اجر كريم يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه
وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض او
على فهو يضاعفه يوم ترى ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما
لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من
هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور في
الجهتين شعارا لهم واية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا
فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور جنيبا
لهم ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وقرئ ذلك الفوز
يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق
الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقيل انظرونا من النظرة وهي الامهال
جعل اتيادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه
وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم
بهم اي ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس
او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين
وتنحوا عنا فالتمسوا نورا اخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم
وانما هو تخييب واقناط لهم فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط
حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف لذلك السور باب لاهل الجنة
يدخلون منه باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره ما ظهر
لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقرأ زيد
ابن علي رضي الله عنه فضرب على البناء للفاعل الم نكن معكم يريدون موافقتهم في
الظاهر فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم
وغرتكم الاماني طول الامال والطمع في امتداد الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت
وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله عفو رحيم لا يعذبكم وقرئ الغرور
بالضم فدية ما يفتدى به هي مولكم قيل هي اولى بكم وانشد قول لبيد

فغدت

وكلا وعد الله الحسنى والله [بما تعملون] خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ... يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى [نورهم]

وما نزل من الحق

فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأويكم النار هي
موليكم وبئس المصير ألم يأن للذين آمنوا
أن تخشع قلوبهم لذكر الله ولا يكونوا
كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال
عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون اعلموا أن الله يحيي
الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون إن المصدقين والمصدقات
وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف
لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا
بالله ورسله أولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم

فغدت كلا الفرجين تحسب انه   مولى المخافة خلفها وامامها
وحقيقة مولكم محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل
هو مئنة للكرم اي مكان لقول القائل انه كريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر
لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحو قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر
الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل
النار الم يان من انى الامر يانى والم يان قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا
الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا
وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان الله
تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة من نزول القران وعن
الحسن اما والله لقد استبطاهم وهم يقرؤون من القران اقل مما تقرؤون فانظروا في طول
ما قراتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر رضي الله عنه ان هذه الاية قرئت
بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا
كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل ونزل وانزل ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ
بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب
بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا
التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة
واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره فان قلت ما معنى لذكر
الله وما نزل من الحق قلت يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القران
لانه جامع للامرين الذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها
اذا ذكر الله واذا تلي القران كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اي الوقت
الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي
الغيث الارض المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم
الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين فان قلت علام عطف قوله
واقرضوا قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم
الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان
[يتصدق] من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف
ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند
الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في

سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم فان قلت
كيف يسوى بينهم في الاجر ولابد من التفاوت قلت المعنى ان الله يعطي
المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى تساوي اجرهم مع اضعافه اجر اوليك
ويجوز ان يكون والشهداء مبتدا ولهم اجرهم خبره اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من
الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الاخرة فما هي الا امور عظام
وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع
قلة جدواها كنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون
لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما
عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع
وقرئ مصفارا سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الجنة عرضها
كعرض السماء والارض قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر
العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه
بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء
عريض لما حقر الدنيا وصغر شانها وعظم امر الاخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل
ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة
فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون المصيبة في الارض نحو الجدب وافات
الزروع والثمار وفي الانفس نحو الادواء والموت في كتاب في اللوح من قبل ان نبراها
يعني الانفس والمصائب ان ذلك ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير
وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين وجه الحكمة فيه فقال لكيلا
تاسوا ولا تفرحوا يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم
على الفائت وفرحكم على الاتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند
فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله
لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ
من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس قرئ بما اتاكم واتاكم من
الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود بما اوتيتم فان قلت فلا احد
يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت
المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب
الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه
مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا باس بهما الذين يبخلون
بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح

المطغي

اجرهم ونورهم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم اعلموا انما الدنيا لعب ولهو
... تفاخر بينكم وتكاثر في
... كمثل ...

المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له ولعزته عندهم وعظمته في عيونهم
يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل
ويرغبونهم في الامساك ويزينونه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته
ومن يتول عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسا على الفائت والفرح بالاتي
فان الله غني عنه وقرئ بالبخل وقرا نافع فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة
والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات
وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان روي ان جبرائيل نزل بالميزان فدفعه الى
نوح وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل ادم من الجنة ومعه خمسة اشياء
من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد
والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه باس شديد
وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد
الة فيها او ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر
السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال ابن عباس رضي الله عنه
ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز غني بقدرته وعزته في اهلاك من يريد هلاكه
عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والكتاب والوحي
وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم فمن الذرية او من المرسل
اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم
فاسق والغلبة للفساق قرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل
والسكينة فيمن رواها بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية لا يلزم فيها حفظ ابنية العرب
وقرئ رافة على فعالة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب
رسول الله رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين
انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه السلام
فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم
فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان
من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع
راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها
نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء
رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله

الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا
معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع
للناس وليعلم الله من ينصره ورسله
بالغيب ان الله قوي عزيز ولقد ارسلنا
نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم
فاسقون ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن
مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في
قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة
ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها ...

لا يحل نكثه فاتينا الذين امنوا يريد اهل الرافة والرحمة الذين اتبعوا عيسى وكثير
منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها
وابتدعوها صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة
من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها
عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم ليتخلصوا
من الفتن ويبتغوا بذلك رضى الله وثوابه فما رعوها حق رعايتها ولكن بعضهم فاتينا
المومنين المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها
يا ايها الذين امنوا يجوز ان يكون خطابا للذين امنوا من اهل الكتاب والذين امنوا من
غيرهم فان كان خطابا لمومني اهل الكتاب فالمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى
امنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله
ويجعل لكم يوم القيمة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر
لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا
ولا مزيدة ان لا يقدرون وان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون يعني ان
الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله
من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يومنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله
ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم
برسول الله يوتكم ما وعد من امن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله اولئك يؤتون
اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من
رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفر رضي الله عنه في
سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس
ممن امن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله فاذن
لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا
رسول الله ورجعوا فقدموا باموالهم فاسوا بها المسلمين فانزل الله الذين اتيناهم
الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يومن من اهل الكتاب قوله
يوتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من امن منا بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين
واما من لم يومن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وقرئ لكي يعلم
ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وليعلم بقلب الهمزة ياء وادغام
النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام
وقيل في وجهه ... في لام لا فصار ليلا ثم ابدلت من اللام المدغمة
ياء لقولهم ديوان وقيراط ومن فتح ...
... كما انشد ابن الاعرابي
ذكرها وان فرع ان الا بقدر وان بيد الله في ملكه وتصرفه

لهم وكثير منهم فاسقون
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله يؤتكم كفلين من
رحمته ويجعل لكم نورا تمشون
به ... والله ذو الفضل
... [illegible]

ولا يشاء الايات من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد
كتب من الذين امنوا بالله وكتبه ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات
لقد كلمت المجادلة رسول الله في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها التي
تجادلك اي تراجعك الكلام وتحاورك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس
ابن الصامت اخي عبادة راها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها
فابت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله فقالت ان اوسا
تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني
عليه كامه وروي انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم
الي جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت
يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه
فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي كلما قال رسول الله حرمت عليه هتفت
وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شانه ومعناه ان الله سميع بصير يعني انه يسمع
كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله قد سمع قلت
معناه التوقع لان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها
وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم في منكم توبيخ للعرب
وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم
ما هن امهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بامهاتهم
وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامراته انت علي كظهر امي ملحق
في كلامه هذا للزوج في الام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين
ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن
ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع
في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على
الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره
الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله
لعفو غفور لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر
فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها

بسم الله الرحمن الرحيم
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
وتشتكي الى الله
والله يسمع تحاوركما ان
الله سميع بصير الذين يظاهرون
منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان
امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون
منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور
والذين يظاهرون من نسائهم
ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من

لايحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه اخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون
لما قالوا لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه
بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت
قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار
تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى
ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس لشهوة او نظر الى
فرجها لشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب
ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه فان
قلت هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ قلت نعم اذا وضع
مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالراس والوجه والرقبة والفرج او مكان
الظهر عضوا اخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم
منه من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع
او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام امراتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب
ابي حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم
نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة
والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات
اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد
من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فان قلت فاذا امتنع المظاهر من
الكفارة هل للمراة ان ترافعه قلت لها ذلك وللقاضي ان يجبره على ان
يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها
لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان
قلت فان مس قبل ان يكفر قلت عليه ان يستغفر ولا
يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر
ربك ولا تعد حتى تكفر فان قلت اي رقبة تجزي في كفارة الظهار
قلت المسلمة والكافرة جميعا لانها في الاية مطلقة وعند الشافعي
لا تجزي الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزي ام الولد
والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا فان لم يؤد جاز وعند الشافعي لا يجوز
فان قلت فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس قلت
عليه ان يستانف نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي يوسف
ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل

والابنى

والابنى فان قلت كم يعطي كل مسكين في الاطعام قلت نصف
صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي
يقتات فيه فان قلت ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر
عند الكفارتين قلت اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين
الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على التماس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على
انه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستانف كما يستانف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره
لم يذكر للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء فان قلت الضمير في
ان يتماسا الى م يرجع قلت الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر
منها ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل
بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك
حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب
اليم يحادون الله يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت من قبلهم من اعداء
الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا ايات بينات تدل على صدق الرسول
وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم
يبعثهم منصوب باليم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد
غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا
وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رءوس الاشهاد
احصاه الله اي احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه
لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما يحفظ معظمات الامور ما يكون من كان التامة وقرئ
بالياء والتاء والياء على ان النجوى تانيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون
شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا تخلو من ان تكون مضافة الى ثلاثة اي من نجوى
ثلاثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل او جعلوا نجوى في انفسهم
مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرا ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار
يتناجون لان نجوى يدل عليه او على تاويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه
فان قلت ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة قلت
فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على
هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون
كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن
عباس رضي الله عنه انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما
يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا
وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق لان من علم بعض الاشياء

لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة

ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك

بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني
انه يقصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى
وانما هم طايفة مجتباة من اولي النهى والاحلام
ورهط من اهل الراي — الى خمسة الى ستة الى ما
اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة
والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك — على الاثنين والاربعة وقال ولا
اكثر فدل على هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا
الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا
وقري ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر
بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة
ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتدا كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون
ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى واكثر الا هو معهم ويجوز ان
يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم وقري ولا
اكبر بالبا ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وكانه
مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقري ثم ينبيهم على التخفيف
كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المومنين
يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم
وعدوان للمومنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقري يتنجون بالاثم
والعدوان ومعصيات الرسول حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في
تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين
اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له
ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا
يا ايها الذين امنوا خطاب للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمومنين
اي اذا تناجيتم فلا تشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى وعن
النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك
يحزنه وروي دون الثالث وقري فلا تنتجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا
تنتجوا انما النجوى اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين
امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين امنوا وليس الشيطان
او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله فان قلت — كيف لا يضرهم الشيطان
او الحزن الا باذن الله قلت — كانوا يوهمون المومنين في نجواهم وتغامزهم

يعني ... الم تر الى الذين نهوا
عن ... ثم يعودون لما نهوا عنه
ويتناجون بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول واذا جاوك
حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله ... عذابا

ان

ان عزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن
الله اي بمشيته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقري ليحزن
وليحزن تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح
عني اي تنح عني ولا تتضاموا وقري تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا
يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو
المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقري في المجالس
قيل كان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وقري في المجلس
بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم
مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير
ذلك انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم
بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاب فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال
الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المومنين بامتثال اوامره واوامر
رسوله والعالمين منهم خاصة درجات بما يعملون قري بالياء والتاء وعن عبد الله ابن
مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قراها قال يا ايها الناس افهموا هذه الاية ولترغبكم
في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين
حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبيا
ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه خير سليمان صلى الله عليه
وسلم بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وعن
بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك
العلم وعن الاحنف كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير
وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال بين يدي نجواكم استعارة ممن له
يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر رضي الله عنه من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه
الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلكم تقديم
خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك ... ومن
اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة
قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما

٤٢٦

وعلى الله فليتوكل المومنون يا ايها
الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا
في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم
واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات والله بما تعملون خبير
يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول
فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم
تجدوا فان الله غفور رحيم

الغني فليتسمحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان ذلك الا ساعة من نهار
وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي
كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر
كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر رضي الله عنه كان لعلي
ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله عنها
واعطاؤه الراية يوم خيبر واية النجوى قال ابن عباس رضي الله عنه هي منسوخة
بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة ءأشفقتم اخفتم تقديم الصدقات لما
فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فاذ لم
تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوا
فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات بما تعملون قرئ بالتاء والياء كان المنافقون
يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم
وينقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين
بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون
فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت
فان قلت ما فائدة قوله وهم يعلمون قلت الكذب ان
يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون
وخبرهم على خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس
وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا
رسول الله في حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر
بعيني شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام
تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق
فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما
انهم ساء ما كانوا يعملون يعني انهم كانوا في الزمان الماضي مستمرين على سوء العمل مصرين
عليه او هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة وقرئ ايمانهم بالكسر اي اتخذوا ايمانهم التي
حلفوا بها او ايمانهم الذي اظهروه جنة اي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم
فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن
الدخول في الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وانا وعدهم الله العذاب المهين
المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم
قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا فيحلفون لله تعالى انهم مسلمون
في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني ليس

ءأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون

العجب

العجب من حلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا عن
ارواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم
ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع
والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم
عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا
كما ترى في هذه الآية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم انهم على شيء من النفع اذا حلفوا
استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر مما ينفعهم
وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعني انهم الغاية
التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة استحوذ
عليهم استولى من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان احوذيا
نسيج وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان
لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم ان يذكروا الله
اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده في الاذلين في
جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي
بالحجة والسيف او باحدهما لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان
تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه
ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب
في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك
تأكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا اباءهم وبقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله فلا تجد شيئا
ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه
كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم
بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي
بروح من الايمان على انه في نفسه روح لحيوة القلوب به وعن الثوري انه قال كانوا
يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه
المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت
لا تجد قوما وروي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه وذلك ان ابا قحافة سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله اوفعلته

استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقيل في ابي عبيدة
ابن الجراح قتل اباه عبد الله ابن الجراح يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز
وقال لرسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم
انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب ابن عمير قتل اخاه عبيد ابن عمير
يوم احد وفي عمر رضي الله عنه قتل خاله العاص ابن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة
وعبيدة ابن الحارث رضي الله عنهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد ابن
عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب
من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

صالح بنوا النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له
فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون
يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب ابن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه
قريشا عند الكعبة فامر عليه السلام محمد ابن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة
وكان اخاه بالرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من
المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله
عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله ابن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا
من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا
على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم
وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات
على بعير ما شاءوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم
ال ابي الحقيق وال حيي ابن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام
في لاول الحشر يتعلق باخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقولك
جئته لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا
اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب
الى الشام او هذا اول حشرهم واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل
اخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر
ها هنا يعني الشام فليقرا هذه الاية وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر
لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظننتم ان يخرجوا لشدة
باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا ان حصونهم تمنعهم
من باس الله فاتاهم امر الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم

وهو

بسم الله الرحمن الرحيم
... في السموات وما في الارض
... هو الذي اخرج الذين
... من ديارهم ...

في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين

وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم
وسلب قلوبهم الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان يوافقوا المؤمنين
في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن
مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك فان قلت
اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه
قلت في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم
وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم
انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس
ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم وقرئ فاتاهم اي فاتاهم الهلاك
والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا في
صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم لاكتنازه وتداخل اجزائه وقرئ يخربون
ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة
الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استئصال شافتهم
وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب
والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن
للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما
المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم وممتنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب فان
قلت ما معنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين قلت لما عرضوهم
لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه فاعتبروا بما دبر الله في
من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله المسلمين
ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله قد عزم
على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم فلولا
انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت
لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة ولهم سواء اجلوا او قتلوا
عذاب النار يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة من لينة بيان
لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قال اي شيء قطعتم وانث الضمير الراجع
الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وهي
ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخيل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما
قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قال
كان قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها وجمعها لين وقرئ قوما
وعلى اصلها وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن ورهن واكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ

قائمة على اصولها فباذن الله فقطعها باذن الله وامره وليخزي الفاسقين
وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امر ان
تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها
فكان في انفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله تعالى اذن لهم في قطعها
ليزيدكم غيظا ويضاعف لهم حسرة اذا رأوكم يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها
ما شاؤا واتفق العلماء ان حصون الكفرة وديارهم لا باس بان تهدم وتحرق وتغرق
وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا باس بقطعها مثمرة او غير مثمرة وعن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه قطعوا منها ما كان موضعا للقتال فان قلت لم
خصت اللينة بالقطع قلت ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة
والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد وروي ان رجلين كانا
يقطعان احدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله فقال هذا تركتها لرسول الله
وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدلوا به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة
الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج من يقول كل مجتهد مصيب افاء الله على
رسوله جعله فيئا له خاصة والايجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه
السلام في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم
ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في
القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم والمعنى ان ما خول الله رسوله من اموال
بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في
ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء
يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم
طلبوا القسمة فنزلت لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها
غير اجنبية عنها بين لرسول الله ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه
حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة والدولة والدولة بالفتح
والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان اي يدور من الجد يقال دالت له الدولة
واديل لفلان ومعنى قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي
حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون
به او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم
كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون
من عز بز والمعنى كي لا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا
عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستأثر به وقيل
الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كي لا يكون الفيء شيئا يتداوله

الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول
اي كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء
وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة يعني كي لا يقع
دولة جاهلية ولينقطع اثرها او كي لا يكون تداول له بينهم او كي لا يكون
شيء متعاورا بينهم غير مخرج الى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة او فيء
فخذوه وما نهاكم عنه اخذه منها فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم واتقوا الله ان
تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله
والاجود ان يكون عاما في كل ما امر رسول الله ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك
هذا فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه للفقراء
بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول
والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء
في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان
الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل اولئك هم الصادقون
في ايمانهم وجهادهم والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين وهم الانصار فان قلت
ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوؤا الايمان قلت
معناه تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او وجعلوا الايمان
مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك
او دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف
المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مكانه او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان
ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة
والايمان وقيل من قبل هجرتهم ولا يجدون ولا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا
طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة
يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع
ما اعطوا ولا تطمح الى شيء منه يحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصله
خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار
الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن
الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من دياركم واموالكم وشاركتموهم في هذه
الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت
الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالقسمة ولا نشاركهم فيها فنزلت

الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال
يمارس نفسا بين جنبيه كزة اذا هم بالمعروف قالت له مهلا
وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فانه منع نفسه ومنه قوله تعالى واحضرت
الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به منه وخالف هواها بمعونة
الله وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا وقرئ ومن يوق والذين
جاءوا من بعدهم عطفا ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون
باحسان غلا وقرئ غمرا وهما الحقد ولاخوانهم الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم
كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر ولا نطيع في قتالكم احدا
من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة
لكاذبون في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب فان
قلت كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت
معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك
وكما يعلم ما يكون وهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون
اليهود ليهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم
نفاقهم لظهور كفرهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين رهبة
مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله في صدورهم دلالة على
نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وانتم اهيب في صدورهم من
الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم
اشد قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله
التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز ان يريد
ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولي باس
ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم لا يفقهون لا يعلمون
الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اي لا يقدرون على
مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين الا كائنين في
قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم
لقذف الله الرعب في قلوبهم وان تاييد الله ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف
وجدار وجدر وجدر وهما الجدار باسهم بينهم شديد يعني ان الباس الشديد
الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس
والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم
جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها يعني ان
بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة

وهذا

وهذا تخسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب
مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اهل بدر في
زمان قريب فان قلت بم انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود مثل
اهل بدر قريبا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله من قولهم
كلا وبيل اي وخيم سيئ العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الاخرة
عذاب النار مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر
ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرا منه
في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم الى قوله اني بريء منكم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه خالدان فيها على انه
خبر ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ
انا بريء وعاقبتهما بالرفع كرر الامر بالتقوى تاكيدا او اتقوا الله في اداء الواجبات لانه
قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد
يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى
جعله كالغد ونحوه قوله كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل
عبر عن الاخرة بالغد كان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير
النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر
فيما قدمن للاخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه
وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب
الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا نسوا الله نسوا حقه فجعلهم
ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده او فاراهم يوم القيمة
من الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم هذا تنبيه للناس وايذان
بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات
كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع
اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو
ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر
والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي رحمه الله بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل
بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر منهما تخييل كما مر في قوله
انا عرضنا الامانة وقد دل عليه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس والغرض
توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القران وتدبر قوارعه
وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى
امثاله في مواضع من التنزيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهده

نفسه فاولئك هم المفلحون والذين
جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
ربنا انك رؤف رحيم الم تر الى الذين
نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا

خالدين فيها
ذلك بانهم قوم لا يعقلون كمثل الذين
من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم في الاخرة
عذاب النار كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر قال اني
بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فكان
عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير
بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا
الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
اصحاب الجنة هم الفائزون لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون هو الله
الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة

وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة القدوس
بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة
سبوح قدوس رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام والسلام
عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة و
المؤمن واهب الأمن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى
من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب
على كل شيء الحافظ له مفيعل من الأمن الا ان همزته قلبت هاء والجبار القاهر الذي
جبر خلقه على ما اراد اي اجبره والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن
ظلم عباده والخالق المقدر لما يوجده والبارئ المميز بعضه عن بعض بالاشكال
المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب ابن ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصوَّر بفتح الواو
ونصب الراء الذي يبرئ المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات وقرأ ابن
مسعود وما في الارض عن ابي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي صلى الله عليه وسلم
عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد
علي فاعدت عليه فاعاد علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

روي ان مولاة لابي عمرو ابن صيفي ابن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال
امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت
الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها
وحملوها وزودوها فاتاها حاطب ابن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها
بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب ابن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر
فبعث رسول الله عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وكانوا فرسانا
وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة
فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع
فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها
وروي ان رسول الله امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر
رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت

ولا

ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في
قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم
قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم
يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه
وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك
يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت
عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدوي اخذ الى مفعوليه وهما عدوي واوليا
والعدو فعول من عدا كالعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على
الواحد فان قلت تلقون بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق
بلا تتخذوا حالا من ضميره واولياء صفة له ويجوز ان يكون استئنافا فان قلت
اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك
تلقون اليهم بالمودة قلت ذاك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل
اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة
عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه
بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول
الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون
اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله بسبب المودة فان قلت
وقد كفروا حال مماذا قلت اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم
او توادونهم وهذه حالهم ويخرجون استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال
من كفروا وان تؤمنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم متعلق
بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط
جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وتسرون استئناف ومعناه اي طائل لكم في
اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع
رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطأ طريق الحق
وقرأ الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم والمعنى ان ما كان ان يكون
سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم اي يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يظهروا
لكم ما في قلوبهم من العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن مثل اولئك لا
يناصحهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يالونكم خبالا
فان قلت كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون

قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب
فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شي كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون
ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم
كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من
ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شي عنده ان يقصد اعز شي عند
صاحبه لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم
وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم
يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطاء
رايهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك
الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت اليه وجدته باطلا وقرئ
يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ونفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
ويفصل ونفصل بالنون قرئ اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب
حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم
بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم
وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله تعالى وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة
قائمة حتى ان ازالوه وامنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة
والمقت مقة فانصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون
الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان الهتكم وما انتم عندنا على شي فان قلت
مم استثنى قوله الا قول ابرهيم قلت من قوله اسوة حسنة لانه اراد
بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها
فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو
اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شي وهو غير حقيق بالاستثنا
الا ترى الى قوله قل فمن يملك من الله شيئا قلت اراد استثناء
جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع
له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار فان قلت
بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا قلت بما قبل الاستثنا وهو من جملة
الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمؤمنين بان يقولوه
وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتسا
بابرهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة
اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرئ برءاء كشركاء وبراء كظراف وبراء
على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة

مثل

لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم
يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون
بصير قد كانت لكم اسوة حسنة
في ابرهيم والذين معه اذ قالوا
لقومهم انا برآؤا منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول
ابرهيم لابيه لاستغفرن لك

مثل الظماء والظماءة ثم كرر الحث على الائتساء بابرهيم وقومه تقريرا وتاكيدا عليهم
ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وابدل من قوله لكم قوله لمن
كان يرجو الله واليوم الاخر وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم
يترك نوعا من التاكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الايات تشدد المؤمنون في عداوة
ابائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما راى الله منهم الجد والصبر
على الوجد الشديد وطول التمني للسبب المبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم
بتيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من
التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة
ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت
مع زوجها عبيد الله ابن جحش الى الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية فابت وصبرت
على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه
وساق عنه اليها اربعماة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه
وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى ولعل
او قصد به اطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال
وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين ان تبروهم بدل
من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهيكم
عن مبرة هولاء وانما ينهيكم عن تولي هولاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم
في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم
يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل ارادهم خزاعة وكانوا صالحوا
رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين امنوا بمكة ولم
يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسما بنت ابي بكر امها
قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت
فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها
وعن قتادة نسختها اية القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم
وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا
ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات
لتصديقهن بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك او لانهن
مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات
ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة
بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى
ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله الله اعلم بايمانهن

حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم
الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم
لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين
انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك
هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم
المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم
بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات

منكم لانكم لا تكبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن
وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو
الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى
ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك واتوهم ما انفقوا واعطوا ازواجهن
مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل
مكة رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت
سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل
زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي ابن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد
شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف فنزلت وعن
الضحاك كان بين رسول الله وبين المشركين عهد ان لا تاتيك منا امراة ليست على دينك
الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج رد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي
صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد
براءة واستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها ما انفق ثم تزوجها عمر رضي الله عنه
فان قلت كيف سمى الظن علما في قوله فان علمتموهن قلت
ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وان
صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم فان قلت
فما فائدة قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه قلت
فائدته بيان ان لا سبيل الى ما تطمئن به النفس وتثلج به الصدر من الاحاطة بحقيقة
ايمانهن فان ذلك مما استاثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم
كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات
اذا اتوهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان
يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه واما ان
يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به باس واما ان
يبين انما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة
رحمه الله ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا
وقعت الفرقة ولا ترى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا
بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب ويعني اياكم واياهن ولا يكن بينكم
وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كانت
له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه
وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات
مع الكفار ومفارقتهن واسالوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسالوا

ما

ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم
[illegible] واتوهم ما انفقوا
[illegible] ان تنكحوهن
[illegible] ولا تمسكوا بعصم الكوافر
[illegible] ما انفقتم وليسالوا

وليسالوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا
بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الاية
يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او
جعل الحكم حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت هذه الاية ادى المؤمنون ما امروا به
من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور
الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء
من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد فان قلت
هل لايقاع شيء في هذا الموقع فائدة قلت نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء
من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فعاقبتم
من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك
تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره
ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فاتوا من فاتته امراته الى الكفار مثل مهرها من
مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم
وقرئ فاعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى
اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي
صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم
وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم وقيل
جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرات راجعة عن الاسلام ست نسوة
ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية
كانت تحت عمر ابن الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس ابن
عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل
كانت تحت هشام ابن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة ولا يقتلن اولادهن وقرئ يقتلن
بالتشديد يريد وأد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين
يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين
اليدين وفرجها الذي تلده به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف في كل امر
به من المحسنات ونهاهن عنه من المقبحات وقيل ما وافق طاعة الله فهو معروف
فان قلت لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله
لا يامر الا بمعروف قلت نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق
جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله
عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم
الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على
ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
ولا ياتين ببهتان يفترينه بين
ايديهن وارجلهن ولا يعصينك
في معروف فبايعهن واستغفر لهن
الله ان الله غفور رحيم

نزع يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر ابن الخطاب
رضي الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي
سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله ان يعرفها فقال عليه السلام ابايعكن
على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام
وانك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد
فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله
هنات فما ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما
غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند
بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين
فقالت وتزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امراة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت
ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة ابن ابي سفيان قتل
يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا ياتين ببهتان فقالت
والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا
يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك
في شيء وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن
وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه روي ان
بعض فقراء المسلمين كانوا يوصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما
مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الاخرة لعنادهم رسول الله وهم يعلمون
انه الرسول المبعوث في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل
من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الاخرة لانهم
تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم
لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك
بم وفيم وعم ومم والام وعلام وحتام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء
واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف
على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع
ثلاثة اربعة بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب
واخلاف الوعد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال
الى الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا

يوم

احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن
فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل و
طعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد اذى
المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر
النبي عليه السلام انك قتلته فقال انما قتلته لله ورسوله فقال عمر يا رسول
الله قتله صهيب فقال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن
نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من افصح كلام
وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب
بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من
شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره
دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه
واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على
الرابة ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله
ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه
الشكوك وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال
تامرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله سبحانه في قوله ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله عقب ذكر مقت المخلف دليل على ان المقت قد تعلق
بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرا زيد ابن علي رضي الله عنه
يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في
تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد
استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم
فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله
صفا كانهم بنيان حالان متداخلان اذ منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما
قال كان كذا وكذا تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في
نفسه وجحود اياته وعصيانه فيما يعود اليهم نفعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية
الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه وقد تعلمون
في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله وقضية علمكم
بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله
وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد
الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم بان منع الطافه عنهم والله
لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف فان قلت

عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم
بنيان مرصوص واذ قال موسى لقومه
يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول
الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
والله لا يهدي القوم الفاسقين

يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة
كما يئس الكفار من اصحاب

فا معنى قد في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كانه قال وتعلمون
علما يقينا لا شبهة لكم فيه قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى
لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى ارسلت اليكم في تصديقي ما تقدمني من
من التوراة وفي حال تبشيري برسول ياتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب
الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها
والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح
الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه
انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل فان
قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا اباما في الرسول من معنى الارسال
او باليكم قلت بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز
ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت
صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين واي الناس
اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين
فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى
الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه وقرئ طلحة ابن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعي
دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعى بمعنى يدعو وهو الله عز وجل
اصله يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة
تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا ابا لك
تاكيدا لمعنى الاضافة في لا اباك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال
الاسلام بقولهم في القران هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه
ليطفئه والله متم نوره اي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة ودين الحق
الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الاديان المخالفة له ولعمري
لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد
اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام وقرئ ارسل نبيه تنجيكم قرئ مخففا
ومثقلا وتؤمنون استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى
الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود امنوا بالله ورسوله
وجاهدوا فان قلت لم جيء به على لفظ الخبر قلت للايذان
بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي
غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت فان
قلت هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه قلت وجهه
ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون

بالايمان

وقد تعلمون انى
واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني
[رسول الله] اليكم مصدقا لما بين يدي
[من الت]وراة ومبشرا برسول ياتي
[من بعدي] اسمه احمد فلما جاءهم
[بالبينات] قالوا هذا سحر مبين ومن
[illegible]

بالايمان والجهاد يغفر لكم فان قلت فما وجه قراءة زيد ابن علي رضي الله
عنه تؤمنوا وتجاهدوا قلت وجهها ان تكون على اضمار لام الامر كقوله
محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من شيء تبالا
وعن ابن عباس رضي الله عنه انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناها
فنزلت هذه الاية فمكثوا ما شاء الله تعالى يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم
الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر
الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له
مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم
فان قلت ما معنى قوله ان كنتم تعلمون قلت معناه
ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه
احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم فتخلصون وتفلحون واخرى تحبونها
ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الاجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة
اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح
فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل فان قلت
علام عطف قوله وبشر المؤمنين قلت على تؤمنون لانه في معنى الامر
كانه قيل امنوا وجاهدوا يثبكم الله تعالى وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين
بذلك فان قلت بم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا قلت
يجوز ان ينصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم
ويدخلكم ويؤتكم اخرى نصرا من الله وفتحا قرئ كونوا انصار الله وانصارا لله
وقرأ ابن مسعود كونوا انتم انصار الله وفيها زيادة حث للنصرة عليهم فان
قلت ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى
صلوات الله عليه من انصاري الى الله قلت التشبيه محمول على المعنى وعليه
يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى
الله فان قلت ما معنى قوله من انصاري الى الله قلت يجب
ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي ينصرون الله والذي
يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري خلاف اضافة
انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري
من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه
من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرأ من انصار الله والحواري
اصفياؤه واول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه
من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتي

ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر
لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من
تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنة عدن ذلك هو الفوز العظيم
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وبشر المؤمنين يا ايها الذين امنوا كونوا
انصار الله كما قال عيسى بن مريم
للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون
نحن انصار الله فامنت طائفة من

وحواري من امتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل فامنت طائفة منهم بعيسى وكفرت به طائفة فايدناهم فيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد ابن علي رضي الله عنه كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قريت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كانه قيل هو الملك القدوس ولو قريت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد الامي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدات الكتابة بالطايف اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار ومعنى بعث في الاميين رسولا منهم بعث رجلا اميا في قوم اميين كما جاء في حديث شعيا اني ابعث اعمى في عميان واميا في اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله وقرى في الاميين بحذف ياء النسب يتلو عليهم اياته يقراها عليهم مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة امي بغير تعلم اية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبايث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة وان في وان كانوا هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه واخرين عطف على الاميين يعني انه بعث في الاميين الذين على عهده وفي اخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين ياتون من بعدهم الى يوم القيمة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب ويعلمهم اي يعلمهم ويعلم اخرين لان التعليم اذا تناسق الى اخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتاييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته شبه اليهود في انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين باياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله وهم اليهود الذين كذبوا بايات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا

بها

...وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

...ما في السموات وما في الارض ... هو الذي ... منهم ... ويعلمهم ...

بها فكانهم لم يحملوها وقرى حملوا التوراة اي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرى يحمل الاسفار فان قلت يحمل ما محله قلت النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني هادوا هودوا اذا تهودوا اولياء لله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال ولا يتمنونه ابدا بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما يقولها احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا يوقنون بصدق رسول الله ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد منهم ان يتمنى وهي احدى المعجزات وقرى فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى الله فينبئكم بما انتم اهله من العقاب وقرا زيد بن علي انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي تفرون منه كلاما براسه في قراءة زيد اي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استونف انه ملاقيكم يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل الجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرى بهن جميعا فان قلت من في قوله من يوم الجمعة ما هي قلت هي بيان لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام الصلاة ثم كان ابو بكر وعمر على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا اخر فامر بالتاذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام الصلوة فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال له العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة ... فانزل الله اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وخطب

يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديكم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها

بحا...

قد ابطل الله قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا
وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط
الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلام اتاني جبريل عليه
السلام وفي كفه مراة بيضا وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا
ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الاخرة يوم المزيد وعنه
ان لله في كل جمعة ستماة الف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة
ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله
له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب
المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم
وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون
بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه بكر فراى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه يقول اراك رابع
اربعة وما رابع اربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة رحمه الله الا في مصر
جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع
ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله
عليه السلام فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات
والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام ومن ولاه من قاض او صاحب شرطة
لم يجز وان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة سوى
الامام وعند الشافعي باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى
والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرا عمر
وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا
يقرا فاسعوا فقال من اقراك هذا قال ابي ابن كعب فقال لا يزال يقرا بالمنسوخ لو كانت
فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف
في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وان ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن
ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد ابن الحسن رحمه الله في موطئه
ان عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا باس به ما لم يجهد نفسه
فيذكر الله الخطبة والصلوة وللتسمية الخطبة ذكرا قال ابو حنيفة رحمه الله ان اقتصر
الخطيب على مقدار ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله عنه
انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام

مقالا

مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك
بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليه احد وعند صاحبيه والشافعي لا بد
من كلام يسمى خطبة فان قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير
الله قلت ما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء
المومنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة
والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو
من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي
في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر
الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم
وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق
بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع
والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة للذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل
لهم بادروا تجارة الاخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع
منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب فان قلت
فاذا كان البيع في هذا الوقت مامورا بتركه محرما او هو فاسد قلت عامة
العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول
عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن
بعض الناس انه فاسد ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء
الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان تكون
هممهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم
منوط به وعن ابن عباس لم يومروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة
اخ في الله وعن الحسن وسعيد ابن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن بعض
السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من الدنيا وامور ها نظرا لا مر الله
روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية ابن خليفة بتجارة من
زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا
اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال عليه السلام
والذي نفس محمد بيده لو تتابعوا جميعا لاضطرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت
العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث
مرات في كل مقدم عير فان قلت فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة
الجمعة كيف يصنع قلت ان بقي وحده او مع اقل من ثلاثة فعند ابي حنيفة
يستانف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا بقي وحده معه مضى فيها

وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند
الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير
الرازقين

يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة
فاسعوا الى ذكر الله

وعند زفرات انفروا وافيل التشهد بطلت فان قلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين
قلت تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرء سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من
لم يأتها من امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطات فيها قلوبهم السنتهم فقال الله
عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد
انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا
عن المواطاة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون بتسميته شهادة او اراد والله يشهد
انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر
على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فان قلت اي فائدة في قوله والله يعلم
انك لرسوله قلت لو قال والله يشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون
لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام
اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان يراد قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان
الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم
واعزم بالله في موضع اقسم واولي وبه استشهد ابو حنيفة على ان اشهد يمين ويجوز ان
يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرا الحسن ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم
ويعضده قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن
سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة
الى قوله ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوأ الناس اعمالا لا
بسبب انهم امنوا ثم كفروا والى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستخفاف بالايمان
اي ذلك كله بسبب انهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة فان
قلت المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله امنوا ثم
كفروا قلت فيه ثلاثة اوجه احدها امنوا نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا
كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم
ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان تفتح له
قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم ... كفرهم بعد ايمانهم ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني
امنوا ... ثم نطقوا بالكفر ... شياطينهم استهزاء بالاسلام
كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا ... انما نحن مستهزءون والثالث ان يراد اهل الردة منهم

فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن علي فطبع الله كان عبد الله بن ابي رجلا جسيما صبيحا
فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة
الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم
فان قلت ما معنى قوله كانهم خشب مسندة قلت شبهوا في استنادهم
وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا
انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير
منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسندة
الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم
والخطاب في رايتهم تعجبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يخاطب وقرئ
يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم خشب او هو كلام مستانف لا محل له
من الاعراب وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة
ومدر وهي في قراءة ابن عباس رضي الله عنه وعن اليزيدي انه قال في خشب جمع خشباء
والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني
مفعولي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم
من الرعب اذا نادى مناد في العسكر وانفلتت دابة او نشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم
وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم
ومنه اخذ الاخطل ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا
يوقف على عليهم ويبتدا هم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء
العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر
بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان
قلت فحقه ان يقال هي العدو قلت منظور فيه الى الخبر
كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل اهل صيحة قاتلهم
الله دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا
عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم لووا رؤوسهم
عطفوها اعراضا عن ذلك واستكبارا وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم
فهزمهم وقتل منهم فازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر بن الخطاب وسنان
الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار
فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت
هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك

وانهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا
تسمع لقولهم كانهم خشب
مسندة يحسبون كل صيحة
عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله
انى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا

يا كلاب اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه
وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم
بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال ودونه فضل الطعام لم يركبوا
رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع
ذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض في قومك
ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب
فاخبر زيد رسول الله فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله قال فاذا ترعد آنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله
مهاجري فامر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه
السلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والذي انزل عليك الكتاب
ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال
الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد
وهم وروي ان رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطا سمعك
قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيدا من خلفه
فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين
ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد
الله غير رسول الله اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك
والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وانا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى
امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروي انه قال له لئن لم تقر لله
ورسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه
الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله
عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك
اي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك لوى راسه ثم قال امرتموني ان اومن
فامنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل
لهم تعالوا ولم يلبث الا ايام قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم الاستغفار
وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم
وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه وقرا ابو
جعفر استغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا
كما في آلسحر والله ينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت
ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا ازوادهم ولله خزائن السموات والارض وبيده
الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن عبد
الله وابن ابي جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن

الاعز

[illegible]

لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل ولله خزائن السموات والارض
ولكن المنافقين لا يعلمون يا ايها
الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما
رزقكم الله من قبل ان ياتي احدكم
الموت فيقول رب لولا اخرتني الى
اجل قريب فاصدق واكن من
الصالحين ولن يؤخر الله نفسا
اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون

الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرا الحسن وابن ابي عبلة
لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل او مثل
الاذل ولله العزة الغلبة والقوة ولمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المؤمنين
وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين
وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل
معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له
ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عز وتلا هذه الاية لا تلهكم
لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النماء فيها
بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا اولادكم
وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في
حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شيء وادونه
في جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا
عن الدين فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني
وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل
القران وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد
الانفاق الواجب من قبل ان ياتي احدكم الموت من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين
ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت
القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله وعن ابن عباس رضي الله عنه تصدقوا قبل ان
ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال
ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان ياتيه الموت فيسال الكرة فلا يعطاها وعنه انها
نزلت في مانعي الزكوة والله لو راى خيرا لما سال الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسال
المؤمنون الكرة قال نعم انا اقرا عليكم به قرانا يعني انها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون
بها وكذا عن الحسن ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سال الرجعة وعن عكرمة نزلت
في اهل القبلة لولا اخرتني وقرئ اخرتن يريد هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل
فاصدق وقرا ابي فاتصدق على الاصل وقرئ واكن عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان
اخرتني اصدق واكن ومن قرا واكون على النصب فعلى اللفظ وقرا عبيد بن عمير واكون
على وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا الناس عن جعفر
[illegible] منافاة المنفي للحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تاخير الموت عن وقته مما لا سبيل
اليه وانه هاجم لا محالة وان الله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق
الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرئ يعملون بالياء
والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثمانية عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قدم الظرفان ليدل بتقديمها على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان
الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء ومبدعه والقايم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد
لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة
الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم ات بالكفر وفاعل
له ومنكم ات بالايمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير
منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم الذين
هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم
فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل
تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم
وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به فان قلت
نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر
ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكونون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل
القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس
المحرمة فقتل به مؤمنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل
بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد قلت قد علمنا ان الله تعالى حكيم عالم
بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله
فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه
كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها بالحق بالغرض الصحيح والحكمة
البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم وقرئ
صوركم بالكسر لتشكروا واليه المصير فيجازيكم على الشكر والتفريط فان قلت
كيف احسن صورهم قلت جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان
لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من ساير الصور ومن حسن صورته انه خلق
منتصبا غير منكب كما قال عز وعلا في احسن تقويم فان قلت فكم من
دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن
الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها
انحطاطا بينا واضافتها الى الموفى عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة
من حده الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى املح واعلى
في مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك
عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه ما في السموات

والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور ان شيئا من
الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ
على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا
يشكر نعمته فما اجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم
نعمة من الله على عباده والكفر اعظم كفران من العباد لربهم الم ياتكم خطاب
لكفار مكة وذلك اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من
العذاب في الاخرة بانه بان الشان والحديث كانت تاتيهم رسلهم ابشر يهدوننا
انكروا ان يكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا واستغنى الله اطلق ليتناول
كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم فان قلت قوله وتولوا واستغنى
الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا قلت
معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك
الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء
كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدي العلم قال الشاعر
ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قايم مقامهما والذين كفروا اهل مكة وبلى
اثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف وعنى
برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقران وقرئ يجمعكم ويكفر ويدخله
بالياء والنون فان قلت بم انتصب الظرف قلت بقوله
لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار
اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون التغابن مستعار من تغابن القوم
في التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا
ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا
اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا
وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة ومعنى
ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له وان تغابنه
هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في الدنيا وامورها وان جلت وعظمت [illegible]
المصيبة [illegible] الا باذن الله الا بتقديره ومشيته كانه اذن للمصيبة ان
تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع
عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه
لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد

ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور
الم ياتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا
وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بانه كانت
تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر
يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله
والله غني حميد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم
لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير
فامنوا بالله ورسوله والنور الذي
انزلنا والله بما تعملون خبير يوم
يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه
سيئاته ويدخله جنات [illegible]
[illegible] ذلك الفوز العظيم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] الارض [illegible]

قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه
نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن
واجد له مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ يهد قلبه بالنون ويهد قلبه بمعنى
يهتد ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدى على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر
فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه فان توليتم فلا عليه اذا توليتم
لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ ويبين فحسب وعلى الله فليتوكل المؤمنون
بعث لرسول الله على التوكيل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه
ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا
يعادون اباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى فاحذروهم الضمير للعدو
او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون عن عدو فكونوا منهم على
حذر ولا تامنوا غوائلهم وشرهم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم
بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة
فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا
بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم
فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم
فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم
الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك
الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه هم
باذاهم فنزلت فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم
منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال
اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان احمران يعثران
ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في حجره على المنبر وقال صدق الله انما اموالكم
واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم
الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما ما استطعتم جهدكم ووسعكم
اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون
عنه وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب بمحذوف
تقديره ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال
هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون
عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم
يكتب لكم بالواحدة عشرا او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه شكور مجاز اي

يفعل

ان تقرضوا الله قرضا حسنا ... والله شكور حليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين

اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل
من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وهي احدى عشرة او اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة

خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم
كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا
لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون بامر
دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم
تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله
عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في
حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته
لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل
عدتهن واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة
لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين الى ان تنقضي عدتهن وهذا
احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابرهيم
النخعي ان اصحاب رسول الله كانوا يستحبون ان لا يطلقوا ازواجهم للسنة الا واحدة
ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل
ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان
يكره الثلاث مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على
الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لابن عمر رضي الله عنهما حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما
السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر
رضي الله عنه مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء
فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وعند الشافعي لا باس بارسال الثلاث
وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك رحمه الله يراعي في
طلاق السنة الواحدة والوقت وابو حنيفة رحمه الله يراعي التفريق والوقت والشافعي
رحمه الله يراعي الوقت وحده فان قلت هل يقع طلاق المخالف للسنة
قلت نعم وهو اثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا طلق امراته
ثلاثا بين يديه فقال له اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر انه قال
يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذا عصيت ربك وبانت منك امراتك وعن عمر

رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امراته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك
عليه وعن سعيد ابن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه
في حيض او ثلاث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان قلت
كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير المدخول بها قلت
الصغيرة والايسة والحامل كلهن سواء عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله
يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر فقالا لا يطلق للسنة الا واحدة
واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت فان قلت
هل يكره ان يطلق المدخول بها واحدة باينة قلت اختلفت الرواية فيه
عن اصحابنا والظاهر الكراهة فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول
المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والايسات والصغاير والحوامل
فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن وغير المدخول بهن فان قلت
لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية
معنى قايم في كلهن وبعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن
لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض واحصوا العدة
واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن ولا تخرجوهن
حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج
واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى فان قلت ما معنى الجمع
بين اخراجهم وخروجهن قلت معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا
عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن والا ياذنوا لهن في الخروج اذا طلبن
ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان
ياتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا ان يزنين فيخرجن
لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقهن في
السكنى وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة ابي الا ان
يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه الامر الذي يحدثه
الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة
الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم
ترغبون وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن وهو اخر العدة وشارفنه فانتم بالخيار
ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة
واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في اخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة وتعذيبا لها واشهدوا
يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة رحمه الله كقوله
واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي رحمه الله هو واجب في الرجعة مندوب اليه

حسبه

...يكم لا تخرجوهن من ... الا ان يأتين ... العدد

في الفرقة وقيل فايدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها
ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث منكم قال الحسن من
المسلمين وعن قتادة من احراركم لله لوجهه خالصا وذلك ان يقيموها لا للمشهود
له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اي ذلكم الحث على اقامة الشهادة
لوجه الله ولاجل القيام بالقسط يوعظ به ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم
ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها
واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق
ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه
ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل عمن طلق ثلاثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس انه سئل عن
ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك
ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قراها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدايد يوم
القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق
الله فما زال يقراها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا
له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكا اليه
الفاقة فقال ما امسى عند ال محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا
حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من
الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الاية بالغ امره اي يبلغ ما يريده لا
يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ امره بالاضافة وبالغ امره بالرفع
اي نافذ امره وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال
قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا
علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم
للقدر والتوكل روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللاتي لا يحضن
فنزلت فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل
ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين
اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب
بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغاير والمعنى فعدتهن

لله ذلك يوعظ به من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل
شيء قدرا واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة
اشهر واللائي لم يحضن واولات

ثلاثة اشهر فحذف لدلالة المذكور عليه اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل
على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وابي وابو هريرة وغيرهم لا يفرقون
وعن علي وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء
لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني ان هذا اللفظ مطلق
في الحوامل وروت ام سلمة ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال
فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي يجعل له
من امره يسرا ييسر له من امره ويحلل من عقده بسبب التقوى ذلك امر الله يريد ما
علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل بما انزل الله من هذه
الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة
على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم
اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن فان
قلت من في من حيث سكنتم ما هي قلت هي من التبعيضية مبعضها
محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى
يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال قتادة لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في
بعض جوانبه فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه
والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان
لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن
وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها طلقها فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب
ربنا وسنة نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لها السكنى والنفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا
عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او تشغل مكانهن او غير ذلك
حتى تضطروهن الى الخروج وقيل ان يراجعها اذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها امرها
وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي منه فان قلت فاذا كانت كل مطلقة
عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن قلت
فائدته ان الحمل ربما طال وقتها فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة
الحائل فنفى ذلك الوهم فان قلت فما تقول في الحامل المتوفى عنها قلت
مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة لها [illegible] الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة
عليه من امراة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من [illegible] الصغير من ماله
بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن

لكم

الاحمال اجلهن ان يضعن [illegible] يتق الله يجعل له من [illegible] انزله [illegible] سيئاته

لكم يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة
الزوجية فاتوهن اجورهن حكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه
الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي الائتمار بمعنى التامر كالاشتوار
بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتامروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليامر بعضكم
بعضا والخطاب للاباء والامهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر
الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع
له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة
كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية
وانت ملام وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان
عاسرته امه لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما
امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره
وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب اي شرعنا ذلك لينفق وقرا ابن ابي
عبلة قدر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم
او لفقراء الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا عتت عن امر ربها
اعرضت عنه على وجه العتو والعناد حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الاخرة وعذابها وما يذوقون
فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى
في الحقيقة وما هو كائن فكان قد كان وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا
تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم
ذلك يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان
يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة
وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية
واعد الله لهم جوابا لكان رسولا هو جبريل صلوات الله عليه ابدل من ذكرا
وصف بتلاوة ايات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد
بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف
اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله [illegible]
ملكين او جعل لكثرة ذكره لله [illegible] واريد [illegible]
في السموات وفي الامم كلها او دل قوله قد انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل
ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر
رسولا او ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين [illegible]

٢٢٣

اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان
تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو
سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد
عسر يسرا وكاين من قرية عتت عن
امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا
وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها
وكان عاقبة امرها خسرا اعد
الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي
الالباب قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا
يتلو عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين

الصالحات من الظلمات ... يؤمن بالله ويعمل صالحا ... تحتها الانهار ... الله له

اي لم يحصل لهم ذلك اعليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما امنوا
بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم مؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون
قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقا المؤمن من الثواب الله الذي
خلق مبتدا وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتدا وخبره
من الارض قيل ما في القرآن اية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين خمسمائة
عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر
وحكمه بينهن وحكمه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر
من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل
الامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع ابن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق
قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن لتعلموا قرئ بالتاء والياء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك
حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر
يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في
يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث
تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر رضي الله عنه قال لها لو كان في آل
الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة
وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت
عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل
تبتغي ما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد
ان يحرم ما احل الله لان الله عز وعلا انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله
فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه
رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما
قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى
[illegible] للحنث بمعنى استثنى [illegible] اذا اطلقها وذلك ان يقول ان شاء
الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنها قوله عليه السلام
لا يموت لرجل ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا التحليل
[illegible] فان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه

فابو

فابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما
فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية
وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك اذا نوى ثنتين وان
نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين في
القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم
ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن
وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود
وزيد رضي الله عنهم ان الحرام يمين وعن عمر رضي الله عنه اذا نوى الطلاق فرجعي
وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد رضي الله عنه بائنة وعن عثمان رضي الله عنه
ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد وكذلك
عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله تعالى فليس لاحد
ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حلالا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهي
قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب
اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع اي
منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان
قلت [illegible] عن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة
في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه
لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه حكمته وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم
فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم بعض ازواجه حفصة والحديث الذي
اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين نبأت به افشته الى عائشة وقرئ انبأت
واظهره واطلعه الله اي واطلع النبي عليه السلام على الحديث اي على افشائه على لسان
جبرائيل صلوات الله عليه وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه
اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه
بمعنى جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت [illegible]
الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه [illegible]
المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها [illegible]
قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها
قلت [illegible] هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه قلت

العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك

ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء
والافشاء من قبلها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا
الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت
من انباك هذا ذكر المنبأ كيف اتى بضميره ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة رضي
الله عنهما على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس رضي الله عنه لم
ازل حريصا على ان اسال عمر رضي الله عنه عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق
عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضا فقلت من هما فقال عجبا يا
ابن عباس كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما
فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله
من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرا ابن مسعود فقد زاغت وان تظاهرا عليه
وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره
وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته
من عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبرائيل راس الكروبيين وقرن ذكره بذكره
مفردا من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح
من المؤمنين يعني كل من امن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير رحمه الله من بري
منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم فان قلت
صالح المؤمنين واحد او جمع قلت هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل
هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت
في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على
اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ
دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك
بعد نصرة الله تعالى وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة
على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه فان قلت
قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح
المؤمنين ونصرة الله اعظم واعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة
الله فكانه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع
خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة
مسلمات مؤمنات [illegible] مخلصات سائحات [illegible] وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل
للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم
في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن اسلم لم يكن
في هذه الامة سياحة الا الهجرة فان قلت [illegible] يكون المبدلات خيرا منهن

ولم

ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة
وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على
هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام
بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله فان قلت لم اخليت الصفات
كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان
متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو قوا انفسكم
بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم
وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم
جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيمة من جهل
اهله وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فان قلت
اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم قلت لا ولكن المعطوف
مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما
جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا
وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من
النيران بالحطب وعن ابن عباس رضي الله عنه هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء
حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقودها بالضم اي ذو وقودها عليها يلي امرها وتعذيب
اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة
وشدة اي جفاء وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والغضب
له والانتقام من اعدائه ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون ما امر الله اي امره
كقوله افعصيت امري او لا يعصونه فيما امر فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد
قلت لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون اوامره ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها
ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فان قلت
قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين
فما معنى مخاطبته به المؤمنين قلت الفساق وان كانت دركاتهم فوق
دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين امنوا قوا انفسكم
باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويحتمل ان يراد
بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين امنوا
بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا

نارا وقودها الناس والحجارة عليها
ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يا ايها
الذين كفروا لا تعتذروا اليوم
تجزون ما كنتم تعملون [illegible]

[illegible] قال نبأني العليم الخبير ان
[illegible] فقد صغت قلوبكما
[illegible] فان الله هو
[illegible] صالح المؤمنين
[illegible] ان يبدله

لانه لاعذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح
على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم
فياتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن
القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم
لا يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين انفسهم على ذلك
وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك
فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال
تجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد
المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على ان لا يعود وان تذيب نفسك في
طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة
المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه
وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك
ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل
توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين
لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب
اي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح
اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور
اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن
علي توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح النصح والنصوح كالشكر
والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح اي تنصح نصوحا او توبوا نصح انفسكم
على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من الله لعباده وفيه وجهان احدهما ان يكون
على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع
والبت والثاني ان يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجا والذي
يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا
على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي
نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد
الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال
ابن عباس رضي الله عنه يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن
الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله سبحانه كقوله واستغفر لذنبك
وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون
مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى

الجنة

الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك
الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يشفقون والمؤمنون
امنون ام من ياتي امنا يوم القيمة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر او كيف
يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة
البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين
حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالاحتجاج واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما
به من القتال والمحاجة وعن قتادة رحمه الله مجاهدة المنافقين باقامة الحدود
عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم مثل الله عز وجل حال الكفار
في انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء
ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب او وصلة
صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم
ابعد من الاجانب وابعد وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء
الله تعالى بحال امراة نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان
عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما
عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين
الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح ومن قوم لوط صلوات الله عليهما
ومثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم
وزلفاهم عند الله بحال امراة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدا
اعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا
والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين
التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر
على رسول الله بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر
ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى ان من حقهما
ان يكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا يتكلا على انهما زوجا
رسول الله فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا ان تكونا مخلصتين والتعريض [illegible]
لان امراة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله واسرار [illegible]
[illegible] من اللطف والخفاء [illegible] من تقصد العالم [illegible]
قلت ما فائدة قوله من عبادنا [illegible]
على وجود الصلاح في الانسان كافيا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به [illegible]
ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلم [illegible]

[illegible] الى الله توبة نصوحا عسى [illegible] ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم [illegible] الانهار يوم لا يخزي [illegible] معه نورهم [illegible] وبايمانهم يقولون

يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا

بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح
وهذا منهم اظهارا وابانة لان عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وان ما
سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده فان قلت
ما كانت خيانتهما قلت نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين
فامراة نوح قالت لقومه انه مجنون وامراة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد
بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار
لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس ما بغت امراة نبي قط
وامراة فرعون اسية بنت مزاحم وقيل عمة موسى عليه السلام امنت حين سمعت
بتلقف عصى موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد
امراته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على
صدرها وقيل امر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقي بروحها فالقيت
على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل
وتشرب وتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة رأت بيتها في الجنة يبنى وقيل
انه درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة فان قلت
ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة قلت طلبت القرب من رحمة الله
والبعد من عذاب الله ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع
الدرجة في الجنة وان تكون جنتها من الجنان هي اقرب الى العرش وهي جنات الماوى
فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون
او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر
وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط
كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن
والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء رب افتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن
معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فيه في الفرج وقرا ابن
مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للحملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن
بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنت منعته جبريل وانه جمع
في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن
وصدقت قرئ بالتشديد والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني
وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه فان قلت فما كلمات الله
تعالى وكتبه قلت يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس
وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به
ملائكته عليهم الصلاة والسلام وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ

بكلمة

قيل ادخلا النار

مثلا

بكلمات ربها وكتبه وكانت
من القانتين
بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي بيده الملك وهو على
كل شيء قدير الذي خلق الموت
والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا
وهو العزيز الغفور الذي خلق
سبع سموات طباقا ما ترى في

بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والكتاب الذي انزل عليه وهو الانجيل فان قلت
لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت
من القبيلين فغلب ذكورهم على اناثهم ومن للتبعيض ويجوز ان تكون لابتداء الغاية
على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى صلوات الله عليهما
وعن النبي صلوات الله عليه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع اسية
بنت مزاحم امراة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان عائشة
سئلت رسول الله كيف سمى الله المسلمة تعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا
لها قالت فما اسمها قال اسم امراة نوح واعلة واسم امراة لوط واهلة فحديث اثر
الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم
ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى اسية وقد قرن بينها وبين مريم في
التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم احكم واسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة التحريم اتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك ثلاثون اية مكية وتسمى الواقية والمنجية

لانها تنجي قارئها من عذاب القبر بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على
كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء
عليه والحياة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا وهو الذي
يصح منه ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك
المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم
باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر فان قلت من اين
تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل البلوى قلت من حيث انه تضمن معنى
العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته ازيد احسن عملا ام هو
كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا فان
قلت اتسمي هذا تعليقا قلت لا انما التعليق ان توقع بعده
ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ازيد منطلق الا ترى
انه لا فصل بعد سبق احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير
مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق
وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه لانه اذا كان خالصا غير
صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب



ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن
عملا قال ايكم احسن عقلا واورعكم عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم
عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل
وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على
القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لابد منه وقدم الموت على الحياة لان اقوى الناس
داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق
له الاية اهم وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من
اهل الاساءة طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على
طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ
من تفوت ومعنى البنائين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته
وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة
وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه
ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف فان قلت كيف
موقع هذه الجملة مما قبلها قلت هي صفة متابعة لقوله طباقا و
اصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن
وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته
هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول او لكل مخاطب
وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب اخبره انه لا تفاوت في خلقهن
ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة ولا يبقى معك شبهة فيه
هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه
فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع وامر بتكرير البصر فيهن
متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك اي ان رجعت البصر وكررت
النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك
بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار
والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت
كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين قلت
معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها
في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل
فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم
امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم نظره
ثم يعاود ويعاود الى ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور

[illegible] من تفاوت فارجع البصر
[illegible] فطور ثم ارجع البصر كرتين
[illegible] خاسئا وهو
[illegible] السماء الدنيا

الدنيا

الدنيا القربى لانها اقرب السماوات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم والمصابيح
السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل
ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم
اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين
يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق
الله تعالى النجوم لثلاث زينة السماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها
فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد
من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتبعون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم
جمع رجم وهو المصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض
لرمي المسترقة منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في
الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل
من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها
ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون واعتدنا لهم عذاب السعير
في الاخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم اي ولكل من كفر بالله
من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك
وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح
الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها
ممن تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها
المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم
لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت
منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية
الم ياتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه
من الزبانية قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله عز وعلا ازاح عللهم
ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما اتوا من
قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد على ضده فان قلت
ان انتم الا في ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم
للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الم ياتكم اهل نذير او وصف منذروهم
لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا
رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول
ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب
الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله

بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
واعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا
بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا
فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور
تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها
فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما
نزل الله من شيء ان انتم الا في
ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع

الانذار سماعا طالبين للحق او نعقل عقل المتاملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الراي كان هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم كان من كان من هولاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين فسحقا بالتخفيف والتثقيل اي فبعدا لهم اعترفوا وجحدوا فان ذلك لا ينفعهم ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما ثم علله بانه عليم بذات الصدور اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين كانوا يتكلمون باشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم فان قلت قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يعلم ذلك المذكور يكون عالما من هو خالق لان الخالق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها وقال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما انعم به عليكم من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم امنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات

قلت

قلت لان اصل الطيران صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تاتى منها الجري في الجو انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن يشار اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه امن يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه مكبا يجعل اكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع فان قلت ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم قلت معناه معتسفا في مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيمة على وجهه وعن الكلبي عني به ابو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله وقيل حمزة بن عبد المطلب فلما راوه الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف اي راوه ذا زلفة ومكانا ذا زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكابة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه الذي يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب وقيل الذي كنتم به تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلوته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلوة الفجر ولعمري انها لوقادة لمن تصور تلك الحالة وتاملها كان كفار مكة يدعون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك

ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذراكم في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله ... فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون

... لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة ... واسروا قولكم او اجهروا به ... الا يعلم ... وهو اللطيف ...

يقولوا لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار ولا بد لكم منه يعنون انكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والاخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله في الاخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له فان قلت لم اخر مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا قلت لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضى وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله تعالى وعلى اياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة نون مكية وهي ثنتان وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ ن والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم به قلت وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة قيل والا فدواة والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر من الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب من كتب وقيل وما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة فان قلت بم يتعلق الباء في بنعمة ربك وما محله من الاعراب قلت يتعلق بمجنون منفيا

كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم يمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امر الله به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي الله عنها ان سعد ابن هشام سالها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل ابن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله مدة والهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم لو تلين وتصانع فيدهنون فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هارون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراي والتمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشد في بعض الكتب شعر تشبهت تشبيها نميمة تمشي بها زهر الى تميمة مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام

فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه قال مناع من الخير قيل هو الوليد ابن المغيرة المخزومي
كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولحمته من اسلم منكم منعته رفدي
عن ابن عباس رضي الله عنه وعنه انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود ابن عبد يغوث
وعن السدي الاخنس ابن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم
معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الاثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف
وغلظة بعد ذلك بعد ما كان عد له من المثالب والنقايص زنيم دعي قال حسان
وانت زنيم نيط في ال هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد
دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه
ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية جعل جفاه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا
وغلظ طبعه قسا قلبه واجترى على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث
الناشي منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا
ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
وقرا الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم
من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة
بغير اهله ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال
اي ليسار وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا
بالبنين كذب اياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل
فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرى اان كان على الاستفهام
على الان كان ذا مال كذب او تطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان
بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا طاع الكافر لغناه
فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله
لعله يتذكر الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك
جعله مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان
شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم على
غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع
منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف واستهانة
وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن ساير الكفرة كما عادى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة
على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة
على الخرطوم وعن النضر ابن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو

تعسف

تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب
اولانها تطير في الخياشيم انا بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله عليه
كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون
صنعا بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين
ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط
الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيا كثيرا فلما مات قال بنوه ان فعلنا
ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في
السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله جنتهم وقيل كانوا
من بني اسرائيل مصبحين داخلين في الصبح مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون
ان شاء الله فان قلت لم سمي استثنا وانما هو شرط قلت
لانه يودي مودى الاستثنا من حيث ان المعنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا
اخرج الا ان يشا الله واحد فطاف عليها بلا او هلاك طايف كقوله واحيط بثمره
وقرى طيف كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت
وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها اولم يبق فيها شي من قولهم بيض الانا اذا
فرغه وقيل الصريم الرمال اي حاصدين فان قلت هلا قيل اغدوا الى
العدو واليه ليصرمنه ليصرمنه حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو اليه
ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى
الاقبال كقولهم يغدى عليه ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين يتسارون فيما بينهم
وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود الخفاش انه ممسك وقرى
مسعود بطرحها باضمار القول اي يتخافتون فيقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول
للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك
لا ارينك هاهنا الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا
منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم
عزموا انهم يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال
فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان
المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها
قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على
الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله
بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد قادرين من
الحرد بمعنى الحرد وقرى على حرد اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض
كقوله تلا وموا وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال

كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا
ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف
عليها طائف من ربك فاصبحت كالصريم
فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان
كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون
ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا
على حرد قادرين فلما راوها قالوا انا
لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم

ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى
... اساطير الاولين
... الخرطوم انا بلوناهم

اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حرادا اي سراع يعني وغدوا
قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها
وزي منفعتها على المساكين وقيل حرد علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين
على صرامها عند انفسهم ومقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان قالوا في
بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا وما هي بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوا
وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا اوسطهم
اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك ومنه قوله
تعالى امة وسطا لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم
كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا
عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه
فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى
التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح
الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح
تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كأنهم
كانوا يتوانون في الصلاة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان
يستثنوا ولا يحرموا سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم
اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان
منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم
من سكت وهو راض ان يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا راغبون
طالبون منه الخير راجعون لعفوه مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة
واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم منه وسئل قتادة عن
اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن
مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم
اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل
البغل منه عنقودا عند ربهم اي في الآخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم
الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كان صناديد قريش يرون وفور
حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله
المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل
ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل
[illegible] في الحكم فنجعل المسلمين كالمجرمين الكافر [illegible] ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما
لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كأن امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم

ام

قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم [illegible] يتلاومون قالوا يا ويلنا [illegible] عسى ربنا ان [illegible] الى ربنا راغبون [illegible] العذاب ولعذاب الآخرة [illegible]

ام لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم
كقوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرونه
بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس
كما هو لقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره وتخوره
تنخله وانتخله اذا اخذ متخوله لفلان على يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على
الوفاء به يعني ام ضمنا لكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد فان
قلت بم يتعلق يوم القيامة قلت بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة
علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون
ويجوز ان تتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم يبطل منها يمين
الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير
في الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا
لكم ايهم بذلك الحكم زعيم اي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم
عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون
مذهبهم فيه فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا
ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم
لهم يقوم به الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر وصعوبة
الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء
خدامهن عند ذلك قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ... وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال ابن الرقيات

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن خدام العقيلة العذراء

يعني يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق
كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من
شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود
رضي الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون
فتكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله
وهو الفزع الاكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبه
لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن فان قلت
فلم جاءت منكرة في التمثيل قلت للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر
خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر كأنه قيل يوم يقع امر فظيع
هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان

ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون

أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان
ومن أحس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون
وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة أو للحال أي يوم تشتد
الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ بالتاء المضمومة
وكسر الشين من أكشف إذا دخل في الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشف إذا انقلبت
شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا أو بإضمار اذكروا ويوم يكشف عن ساق كانت
كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وأن ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود
يعقم أصلابهم طبقا واحدا أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض
وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة فإن قلت لم
يدعون إلى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون إليه تعبدا وتكليفا
ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع إعقام أصلابهم والحيلولة بينهم
وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود وهم
سالموا الأصلاب والمفاصل ممكنون مزاحوا العلل فيما تعبدوا به فذرني
وإياه يريد وكله إلي فإني أكفيكه كأنه يقول حسبك إيقاعا به أن تكل أمره إلي و
تخلي بيني وبينه فإني عالم بما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن
يكذب القرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول
الله وتهديدا للمكذبين استدرجه إلى كذا إذا استنزله درجة فدرجة حتى
يورطه فيه واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله
ذريعة ومتسلقا إلى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون أي من الجهة التي
لا يشعرون أنها استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثارا لهم وتفضيلا
على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وأملي لهم كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما والصحة
والرزق والمد في العمر إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم
يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج
وقيل كم من مستدرج بالإحسان إليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر
وسمي إحسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا
للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك المغرم
الغرامة أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم
فيثبطهم ذلك عن الإيمان أي اللوح ثم يكتبون منه ما يحكمون به لحكم ربك وهو إمهالهم
وتأخير نصرتك عليهم لصاحب الحوت يعني يونس صلوات الله عليه إذ نادى في بطن
الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء إذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما
وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه حتى تذكر النعم الفضل الغير

يتداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه أي تتداركه
على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد
سيقوم فمنعه فلان أي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام
نعمة ربه أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على
الحال أعني قوله وهو مذموم يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء
ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي أنها نزلت بأحد حين حل برسول الله ما
حل به فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف وقرئ
رحمة من ربه فجعله إليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
من الصالحين نبي من الأنبياء وعن ابن عباس رد الله إليه الوحي وشفعه في نفسه
وقومه إن مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها
وزلقه وأزلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وأزلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من
زهقت نفسه وأزهقها يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزرا بعيون
العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر إلي نظرا
يكاد يصرعني ويكاد يأكلني أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله قال

يتقارضون إذا التقوا في موطن ... نظرا يزيل مواطئ الأقدام

وقيل كانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء
فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلا عانه فأراد بعض العيانين على أن يقول في رسول
الله مثل ذلك فقال لم أر كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الإصابة
بالعين أن تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر أي القرآن لم يملكوا أنفسهم حسدا على
ما أوتيت من النبوة ويقولون إنه لمجنون حيرة في أمره وتنفيرا عنه وإلا فقد
علموا أنه أعقلهم والمعنى أنهم جننوه لأجل القرآن وما هو إلا ذكر وموعظة للعالمين
فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم
أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

سورة الحاقة مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها أو التي
فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب أو التي تحق فيها الأمور أي
تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أي لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها
وهو لأهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والأصل الحاقة ما هي
أي أي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول
لها وما أدراك وأي شيء أعلمك ما الحاقة يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى

ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة

كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز
نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء
[illegible]

ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف
ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك وما في موضع الرفع على الابتدا وادراك معلق عنه
لتضمنه معنى الاستفهام القارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء
بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار
ووضعت موضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها
وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة
وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة واختلف فيها
فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم
وقيل الطاغية مصدر كالعافية اي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين
قوله بريح صرصر والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر
كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها عاتية شديدة العصف والعتو
استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل
او اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها
فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله
سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان
الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء حملناكم
في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر
عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم
كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات
حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى
اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى
حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله كقولك ذات حسوما او يكون مفعولا
له اي سخرها عليهم للاستيصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي شعر

ففرق بين بينهم زمان ... تتابع فيه اعوام حسوم

وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها مستاصلة وقيل هي ايام العجوز
وذلك ان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل
هي ايام العجز وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر
والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء
فيها في مهابها او في الليالي والايام وقرئ اعجاز نخيل من باقية من بقية او من نفس باقية
او بالباقية بمعنى البقاء كالطاغية بمعنى الطغيان ومن قبله يريد ومن عنده من اتباعه وقرئ ومن
قبله اي ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي

موسى

بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم
اخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم
في الجارية لنجعلها لكم تذكرة
وتعيها اذن واعية فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة وحملت الارض والجبال
فدكتا دكة واحدة
فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت
السماء فهي يومئذ واهية والملك

ومن تلقاه والمؤتفكات قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطا او بالفعلة او الافعال
ذات الخطا العظيم رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا
الشيء يربو اذا زاد ومنه الربا في اموال الناس حملناكم اي حملنا اباكم في الجارية في سفينة نوح
لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل ابائهم منة عليهم وكانهم هم
المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين
واغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة اذن واعية من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت
به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير
نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الاية سالت الله ان يجعلها اذنك
يا علي قال علي فما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى فان قلت لم
قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم
قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت
وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم باله
وان ملؤوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد فاسند
الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرا ابو السمال نفخة واحدة بالنصب
مسندا للفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة
قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين
هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس
وقد روي عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون
والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع
الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل
يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته
ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من
الملائكة او بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمل وهو احد الثلاثة
فدكتا فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق
وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة
فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير
ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ نزلت النازلة وهي القيامة واهية مسترخية
ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة يريد والخلق الذي يقال له الملك
ورده الى الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى فان قلت ما الفرق بين
قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت الملك اعم من الملائكة

[illegible]

الانرى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها
على جوانبها الواحد جمله مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضمون الى اطرافها
وما حولها من حافاتها ثمانية اي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم
اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية
املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون
وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم
على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة
سبعين عاما وعن شهر ابن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك
الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك
بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف
لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق اخر فهو القادر على
كل خلق سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
العرض عبارة عن المحاسبة والمسألة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم
وروي ان في يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما
الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله
خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فاما التفصيل للعرض هاء
صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب
بها عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين واصله هاؤم
كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره اتوني افرغ عليه قطرا
قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤا واقرءه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك
في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت ان تثبت في الوقف وتسقط في
الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثار الثباتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل و
الاسقاط وقرا ابن محيصن باسكان اليا بغير هاء وقرا جماعة باثبات الهاء في الوصل
والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت علمت وانما اجري الظن مجرى العلم لان
الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين
ان الامر كيت وكيت راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان
نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها عالية مرتفعة
المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار دانية ينالها
القاعد والنائم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا على
المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام
الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب

لوجه الله

والرجانها ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا
تخفى منكم خافية فاما من اوتي كتابه
بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه
اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو
[illegible]

لوجه الله وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد
قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في
نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية الضمير في يا ليتها للموتة
التي متها كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى او
للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه راى تلك الحالة ابشع
وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما اغنى نفي او استفهام على وجه
الانكار اي اي شيء اغنى ما كان لي من اليسار اي ملكي وتسلطي على الناس وبقيت
فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاشد وعن فناخسره الملقب
بالعضد انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر
لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الاية وقال ابن عباس ضلت
عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا ثم الجحيم صلوه لا تصلوه الا
الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار
سلكه في السلسلة ان يلوى على جسده حتى يلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق
مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الواصف بالطول كما قال
ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى
في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه
السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت
ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة
انه تعليل على طريق الاستئناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد
فاجيب بذلك في قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في
حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون
الفعل ليعلم ان تارك الحق بهذه المنزلة فكيف بتاركه الفعل وما احسن قول القائل
اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله
يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امرأته
على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فلا نخلع نصفها
وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين
حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسئل حميم
حميما والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من
الغسل الخاطئون الاثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون
عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة يا والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون
كلنا يخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون

واما من اوتي كتابه بشماله فيقول
يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه يا ليتها كانت
القاضية ما اغنى عني ماليه هلك
عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم
الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن
بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين
فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام
الا من غسلين لا ياكله الا
الخاطئون فلا اقسم بما تبصرون

[illegible]

انما هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين يخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله هو
اقسام بالاشيا كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر
وقيل الدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة
والباطنة ان هذا القران لقول رسول كريم اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة
من عند الله وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم اي
لا تؤمنون ولا تتذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم هو تنزيل بيانا لانه
من رب العالمين وقرا ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل
وقوله وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات انه
رسول لا شاعر ولا كاهن التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى
الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها
جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل
الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته
ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا
اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف
وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا
بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه بالوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط
القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرى ولو تقول على البنا للمفعول
فيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا
فيه الواحد والجماعة والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله
لستن كاحد من النسا والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك
ويدفعه عنه او لرسول الله اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه
وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد
عن التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقران
الضمير للقران لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به او
للتكذيب وان القران لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم
والمعنى لعين اليقين فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده
شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ضمن سال معنى دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب واقع من قولك دعا

بدى

بدى اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين وعن
ابن عباس رضي الله عنه هو النضر ابن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم استعجل بعذاب الكافرين وقرى سايل وهو على وجهين ان يكون من السؤال
وهو لغة في قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان ويويده
قراة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السايل كالغور بمعنى الغاير
والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سايل
عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى
عنى واهتم فان قلت بم يتصل قوله للكافرين قلت هو
على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كاين او بالفعل اي دعا
للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام
مبتدا جواب للسايل اي هو للكافرين فان قلت فقوله من الله
بم يتصل قلت يتصل بواقع اي بواقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من
جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج
ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح
اليه الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف
سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرده لتميزه بفضله وقيل الروح
خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس فان قلت
بم تعلق قوله فاصبر قلت بسال سايل لان استعجال النضر بالعذاب
انما كان على وجه الاستهزا برسول الله والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول
الله فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت
وكان من كفار مكة ومن قرا سال سايل او سيل فمعناه جا العذاب لقرب وقوعه
فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي في يوم طويل مقداره
خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة اما ان يكون استطالة له لشدته على
الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة
وما قدر ذلك على المومن الا كما بين الظهر والعصر الضمير في يرونه للعذاب الواقع
او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن
نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد
من الامكان وبالقريب القريب منه نصب يوم تكون بقريبا اي يمكن ولا يتعذر
في ذلك او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون السما كالمهل كان كيت وكيت
او بدل عن يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة

المذابة في تلونها كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغرابيب سود فاذا بسّت في الجو اشبهت العهن المنفوش اي اذا طيرته الريح اي لا
يسئله بكيف حالك ولا يكلمه لان لكل احد ما يشغله عن المسالة اي يبصر الاحماء
الاحماء فلا يخفون عليهم يمنعهم من المسالة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل
وقري يبصرونهم وقري ولا يسال على البناء للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا
يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السوال والطلب فان قلت
ما موقع يبصرونهم قلت هو كلام مستانف كانه لما قال ولا يسال حميم حميما
قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تسائلهم فان
قلت لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين قلت المعنى
على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم اي حميما مبصرين
معرفين اياهم وقرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن
عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه لعذاب لانه في معنى تعذيب
وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها
في النوائب ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء ومن في
الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هولاء جميعا تحت يده وبذلهم
في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الوداده وتنبيه
على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر
لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر وضمير
القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة
خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة له ان
اردت اللهب والتانيث في معنى النار ورفع على التهويل اي هي نزاعة وقرئ نزاعةً بالنصب
على الحال المؤكدة او على انها متلظية نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى الاطراف
او جمع شواة وهي جلدة الراس ينزعها نزعا فيبكتها ثم تعاد وتدعو مجاز عن احضارهم
كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله
ليالي اللهو يطبيني فاتبعه وقول ابي النجم يقول للرائد اعشبت انزل وقيل
يقول الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو للكافرين والمنافقين بلسان فصيح ثم
تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم
وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك
من قول العرب دعاك الله اي اهلكك قال الشاعر دعاك الله من رجل بافعى
من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فاوعى وكنزه ولم يؤد الزكوة والحقوق الواجبة
فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر اريد بالانسان الناس فلذلك

استثنى

وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل
حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي
من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته
وأخيه وفصيلته
التي تؤويه ومن في الأرض جميعا
ثم ينجيه كلا إنها لظى
نزاعة للشوى تدعو من أدبر
وتولى وجمع فأوعى إن الإنسان

استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس
الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن
طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسيرا بين من تفسيره وهو الذي
اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال
والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض
جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما كانه
مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الانسان
من عجل لانه لما حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله
والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره
وظلفوها من الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله
عليه وسلم شر ما اعطي ابن ادم شح هالع وجبن خالع فان قلت
كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال على صلاتهم يحافظون قلت
معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء
من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم افضل العمل ادومه وان قل
وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها
ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف الماثم
فالدوام يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها حق معلوم هو الزكاة لانها
مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة السائل
الذي يسال والمحروم الذي يتعفف عن السوال فيحسب غنيا فيحرم يصدقون
بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض
بقوله ان عذاب ربهم غير مامون اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد
ان يامنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء وقرئ بشهادتهم وبشهاداتهم
والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق
وتصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه
وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هولاء
الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم
اليك مقبلين بابصارهم عليك عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة
تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت
ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان
المستهزؤن خمسة ارهط كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله
انا خلقناهم مما يعلمون الى اخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكانه قال

اذا مسه الشر جزوعا واذا
مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم
على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم
حق معلوم للسائل والمحروم والذين
يصدقون بيوم الدين والذين هم من
عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم
غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون
اولئك في جنات مكرمون فمال الذين
كفروا قبلك مهطعين عن اليمين
وعن الشمال عزين ايطمع كل
امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم
كلا انا خلقناهم مما يعلمون

كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين يطمعون في دخول الجنة فان قلت من اي
وجه دل هذا الكلام على انكار البعث قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة
الاولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله انا خلقناهم مما يعلمون
اي من النطف وبالقدرة على ان يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس بمسبوق
على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض ان من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز
ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب اوضع
منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه منصب يستحيى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون
التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني
ادم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع ان يدخلها
من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب قرئ يخرجون ويخرجون ومن الاجداث
سراعا بالاظهار والادغام ونصب ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله يوفضون
يسرعون الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون

سورة نوح مكية وهي تسع وثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهي ان الناصبة للفعل والمعنى
ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون مفسرة لان
الارسال فيه معنى القول وقرا ابن مسعود انذر بغير ان على ارادة القول ان اعبدوا الله
يجوز ان انذر في الوجهين فان قلت كيف قال ويؤخركم الى اجل مع اخباره
بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى الله مثلا ان قوم
نوح ان امنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة فقيل لهم امنوا
يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه
وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر هذا الوقت
ولم تكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير ليلا ونهارا دائبا من غير فتور
مستغرقا به الاوقات كلها جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده
فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا لتغفر لهم
ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم
عنه سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا
ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجه من ينصحهم في دين
الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه

الا حين يستغشون ثيابهم الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها
يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها واستكبروا واخذتهم
العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تاكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم
فان قلت ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في
السر والعلن فيجب ان تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قلت
قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يامر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون
والترقي في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما
لم يؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان
الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب
بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء
بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون
صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا
امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو
اوقع في نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان
وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال واخرى تحبونها نصر من الله
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم
اربعين سنة وروي سبعين فوعدهم انهم ان امنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما
كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما
رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي بها يستنزل المطر
شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطي وعن الحسن ان رجلا شكى اليه
الجدب فقال استغفر الله وشكى اليه اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع
ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا
ويسالون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الاية والسماء المظلة لان
المطر منها ينزل الى السحاب والمطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير
الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل وامراة معطار ومتفال
جنات بساتين اي ما لكم لا تاملون لله توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون
على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان
صلة للوقار وقوله وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله
والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم

ضعفا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا اخر لو لا تخافون الله حلما وترك معاجلة
بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون الله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة
لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر
نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى
فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس
والقمر فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لان من السماوات ملابسة من حيث انها
طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة
كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما مما
يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها
كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك
انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك
الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين
لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم
في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى
انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين
ثم يخرجكم يوم القيمة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا لا محالة جعلها بساطا
مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه فجاجا واسعة منفجة واتبعوا
رؤسهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك
بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا
زائدة خسارا في الاخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم يعرفون بها تحقيقا له
وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ وولده وولده بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف
على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤسا ومكرهم
احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه و
الاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن الهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا قرئ
بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال
ولا تذرن ودا كان هذه الاصنام كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد
قولهم لا تذرن الهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب
وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد
ود وعبد يغوث وقيل هي اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد ادم ماتوا فقال ابليس
لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن

بعدهم

بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة
امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم
الواو وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين
او عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله
قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ
وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد اضلوا الضمير للرؤسا ومعنا
وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من
اضلوهم او وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون
للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس فان قلت علام عطف
قوله ولا تزد الظالمين قلت على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام
نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال
لا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال
كقولك قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على
صاحبه فان قلت كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته
قلت المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع
الياس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز
ان يراد بالضلال الضياع والهلاك كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا تقديم مما
خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد
هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتاخير الصلة وكفى
بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كانت واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن
وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب
العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطي على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب
وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمز وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها
وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا
جعل دخولهم النار في الاخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكأ
قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او نار او اكلته السباع والطير اصابه
ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب
وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار هذا
تعريض باتخاذهم الهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال
فلم يجدوا لهم من دون الله الهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم الهة
تمنعهم من دوننا ديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور

لقيام وقوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما
فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا فان قلت بما علم
ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة قلت لبث فيهم
الف سنة الا خمسين عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل ينطلق
بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير
على ذلك وقد اخبره الله عز وجل انه لن يومن من قومك الا من قد امن ومعنى لم
يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر ويكفر فيصفهم بما يصيرون اليه كقوله
عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش
كانا مومنين وقيل هما ادم وحواء وقرا الحسين بن علي بالقصر لولدي يريد سام وحاما
بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق
بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات تبارا هلاكا فان قلت ما فعل
صبيانهم حين اغرقوا قلت غرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون
بالانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب
الاباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا
واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله
براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب ابائهم
قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ احي اصله وحي يقال اوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال
اعد وازن واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد
اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه وقرا ابن ابي عبلة
وحي على الاصل انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدا
محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن
كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد وانه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا
على محل الجار والمجرور في امنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول
سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل
كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم قالوا انا سمعنا
اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا
كتابا بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل

الاعجاز

الاعجاز وعجبا مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد
اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان
الضمير في به للقران ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك
قالوا ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به في طاعة
الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بربنا يفسره جد ربنا عظمته
من قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا
اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا وروي في اعيننا او ملكه وسلطانه او غناه
استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون
والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه وملكوته او
لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد
ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم
لما سمعوا القران ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطا فيما اعتقده كفرة الجن
من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه سفيهنا
ابليس لعنه الله او غيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه
اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشتط فيه وهو نسبة
الصاحبة والولد الى الله وكان في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله
ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين
لنا بالقران كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه او نصب نصب المصدر
لان الكذب نوع من القول ومن قرا ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله
صفة لان التقول لا يكون الا كذبا الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس
باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد
قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه
يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك
رهقهم او فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم وان الانس ظنوا
كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الايتان من جملة الوحي والضمير
في وانهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش اللمس المس فاستعير للطلب
لان الماس طالب متعرف قال
مسنا من الاباء شيئا وكلنا الى نسب في قومه غير واضع
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس جسوه باعينهم وتجسسوه
والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها والحرس اسم مفرد في معنى الحراس
كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه

وقال نوح لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
ولا تزد الظالمين الا تبارا

اخشى رحيلا اوركبا غاديا • لان الرحل والراكب مفردان في معنى الرحال والركاب والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد او كقوله ومعا جيا عا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله فان قلت كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى اياته والصحيح انه كان بعد المبعث وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر ابن ابي خازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس ابن حجر والنقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف ابن جزع يرد علينا العير من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت للزهري اكان يرمى في النجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله وانا كنا نقعد منها فقال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي ابن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقال كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله كنا نقعد منها مقاعد اي نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض ولا يخلو من ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق منا الصالحون الابرار والمتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصد ونفي الصلاح غير الكاملين فيه او اراد والصالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مفترقة او مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدد من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق في الارض وهربا حالان اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض

ان

وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا

ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب لما سمعنا الهدى هو سماعهم القران وايمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلت الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك وكانه قيل فهو لا يخاف دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وقرا الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من امن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم ولا يجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى وان ترهقه ذلة من قوله عز وجل ترهقهم ذلة القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد ابن جبير ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز وعلا اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر واعن السجود لادم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا الله منه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او لنعذبهم في كفران النعمة عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اي يدخله عذابا والاصل يسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال اسلكه واسلكه قال

وانا لما سمعنا الهدى امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا

حتى اذا سلكوهم في قتابه والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف
به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله
عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني عقبة النكاح خطبة يريد ما شق علي ولا غلبني
وان المساجد من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام
متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته
وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد
بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد
الله ان يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنايسهم
اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اي ادخلنا المساجد وقيل المساجد
اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على
سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع
مسجد وهو السجود عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت
هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره واوحي الي انه لما قام
عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع
والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا
مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخله
حين اتاه الجن فاستمعوا القراءة كادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه
متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه قائما وراكعا وساجدا
واعجابا بما تلا من القران لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا من نظيره
وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الالهة
من دون الله كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه
متراكبين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا
واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع
لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه
فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرا وانه بالكسر جعله من كلام
الجن قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه
عليه في ائتمامهم به قال للمتظاهرين عليه انما ادعو ربي يريد ما اتيتكم بامر
منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على
مقتي وعداوتي وقال الجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادة
الله ورفض الاشراك به بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له
شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي

وانا المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا

قال لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك

اي ولا نفعا او اراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي غيا ولا رشدا والمعنى لا
استطيع ان اضركم وان انفعكم انما الضار والنافع الله ولا استطيع ان اقسركم على
الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل الا بلاغا استثناء من لا املك
اي لا املك الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتاكيد
نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراد به سوءا من مرض او
موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه ملاذا ياوي اليه والملتحد
الملتجا واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اي قال
عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا
بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هي
ان لا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك الا قياما فقعودا ورسالاته عطف على
بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول
قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا
نقصان فان قلت الا بلاغا بلغ عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني
قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة من
الله بمعنى بلاغا كائنا من الله وقرئ فان له نار جهنم على فان جزاؤه ان له نار جهنم
لقوله فان لله خمسه اي فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين حملا على معنى الجمع في من
فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت
بقوله يكونون عليه لبدا اي على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون
انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله
له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ انهم اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز
ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده
كانهم لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون هذا
الموعود انكارا له فقيل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك
وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما راى في اخفاء
وقته من المصلحة فان قلت ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدا والامد
قد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع
في كل ساعة ام مؤجل ضربت له غاية اي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع من رسول
تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة
خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء
مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب

[illegible]

وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابها ابعد شيء من الارتضا وادخله في السخط
فانه يسلك من بين يديه من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة
يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى
يبلغ ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من
الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني
الانبياء وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله
فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان
وذكر العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما
لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن
عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار
فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا
محصورا او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن
كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

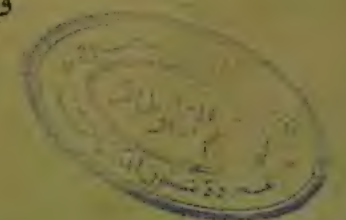
سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء في الزاي ونحوه
المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها
على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نائما متزملا في قطيفة فنودي بما يهجن اليه الحالة التي كان
عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا
يعنيه شان الا ترى الى قول ذي الرمة وكائن تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن
ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب
ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه مسهد اذا ما نام ليل الهوجل وفي امثالهم
اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الابل فذمه في الاشتمال بكسائه
وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر
والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله قد تشمر لذلك مع اصحابه
حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى
انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما في وجوههم وترامى امرهم الى حد رحمهم
له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فيه فهو على هذا ليس بتهجين
بل هو ثناء عليه وتحسين لحالة التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه
وعن عائشة انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا

من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم
ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط
بما لديهم واحصى كل شيء عددا
بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا

نائمة



نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى
ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا
اول ما اتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك
اذ ناداه جبريل يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل
الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة
التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه بدل من الليل
والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف
والمعنى التخيير بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما
النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا
بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف
بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف
من الليل قم اقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف وكانه
قيل قم اقل من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او انقص من قليلا فيكون التخيير فيما
وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل
قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل
المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان
تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع
فان قلت اكان القيام فرضا ام نفلا قلت عن عائشة رضي الله
عنها ان الله جعله تطوعا بعد ان كان فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا
وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل
حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان
نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ترتيل
القران قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو
شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده
سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو
في تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها و
ترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه لا بد منه للقارئ هذه الاية اعتراض ونعني
بالقول الثقيل القران وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على
المكلفين خصوصا على رسول الله لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ
له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة

ترتيلا
نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القرآن
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان

[illegible]

التي وردبها القران لان الليل وقت السبات والمراحة والهدو فلابد لمن احياه من
مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا نزل عليه الوحي
ثقل عليه الوحي تقرّبه وتربد جلده وعن عايشة رضي الله عنها انه ينزل عليه في اليوم الشديد
البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين
وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل
التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت
ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها
مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على
فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعايشة رجل قام من
اول الليل اتقولين له قام ناشئة الليل قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسر
الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع وقيل هي
ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات الاول منه وعن علي
ابن الحسين رضي الله عنهما انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله
تعالى ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل هي اشد وطأ هي خاصة دون ناشئة
النهار اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطئ فيها قلب القايم لسانه
ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص
وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع روية الخلايق وقرئ اشد
وطأ بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على
المصلي من صلاة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم
قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وعن انس رضي الله عنه انه قرأ
واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيا واحد
وروى ابو زيد الانصاري عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة
فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد سبحا تصرفا وتقلبا في
مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي
فراغ البال وانتفاء الشواغل واما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو
نفشه ونشر اجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل
ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطأة واشد للقراءة لهدو
الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت
تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوايج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة
لنومك وتصرفك في حوايجك وقيل ان فاتك من الليل شي فلك في النهار فراغ
تقدر على تداركه فيه واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص

عليه

ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه

عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد
وصلاة وتلاوة قران ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل اليه وانقطع اليه فان قلت
كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجي به
على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا
على البدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله عنه على القسم باضمار حرف القسم
كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد
وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لانه هو
وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك
من النصر والاظهار الهجر الجميل ان تجانبهم بقلبك وهواك وتخالفهم مع حسن المخالقة
والمداراة والاغضاء وترك المكافاة وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه
قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف اذا عرف الرجل
من صاحبه انه مستهم بخطب يريد ان يكافئه او بعد ويتشهى ان ينتقم له منه وهو
مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني واياه اي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك
الى ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك
وليس ثم مانع حتى يطلب اليه ان يذره واياه الا ترك الاستكفا او التفويض كانه اذا لم
يكل اليه امره فكانه منعه منه واذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل
على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما يدور في امنية المخاطب وبما يزيد عليه
النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد
قريش وكانوا اهل تنعم وترفه ان لدينا ما يضاد تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال
عن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة
والايقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع
وشجر الزقوم ومن عذاب اليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم موذورا
بينه وبينهم ينتقم منهم مثل ذلك الانتقام وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرأ هذه الاية فصعق وعن الحسن انه امسى صايما فاتي بطعام فعرضت له
هذه الاية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فقال ارفعه وكذلك الليلة
الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكا فجاوا فلم يزالوا به حتى شرب
شربة من سويق يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة
والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشي اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه
الكثبة من اللبن قالت الضائنة اجز جفالا واحلب كثبا ثقالا اي كانت مثل رمل
مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل الخطاب لاهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة

رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما

بكفركم وتكذيبكم فان قلت لم نكر الرسول ثم عرف قلت
لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام
التعريف اشارة الى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلا وبيل وخيم
لا يستمرا لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم يوما مفعول به
اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا
صالحا ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا
ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم
يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه ويجعل الولدان شيبا مثل في الشدة
يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان
اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقد مر في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس
واللحية كالثغامة فقال اريت يوم القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس
يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم
بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب السماء منفطر به
وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها
من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف
او السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به
يعني انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء
مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله
ثقلت في السماوات والارض وعده من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز
ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما ان هذه
الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا
الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل التقرب والتوسل بالطاعة ادنى من
ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين
اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرئ نصفه وثلثه بالنصب
على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في اول السورة من
التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام
الزايد عليه وهو الادنى من الثلثين ونصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين
واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين
والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير

وطايفة

ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون
الرسول فاخذناه اخذا وبيلا فكيف
تتقون ان كفرتم يوما يجعل
الولدان شيبا السماء منفطر به كان
وعده مفعولا ان هذه تذكرة
فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان
ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي
الليل ونصفه وثلثه وطائفة

وطايفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل
والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا هو وحده
وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص
بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر اي
علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتاتى حسابها بالتعديل الا ان ياخذوا
بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص
في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن والمعنى
انه رفع التبعة عن التايب وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر
عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة
الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القران
بعينها قيل يقرا مائة اية ومن قرا مائة اية في ليلة لم يحاجه القران وقيل من قرا مائة اية
كتب من القانتين وقيل خمسين اية وقد بين الحكمة في النسخ وهو تعذر القيام
على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله
بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه
كان من الشهداء وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما خلق الله موتة اموتها بعد
القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من
فضل الله وعلم استيناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ واقيموا الصلوة يعني
المفروضة واتوا الزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت
بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل اخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا
حسنا يجوز ان يريد ساير الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج
اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق
وان يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال خيرا ثاني مفعولي تجد
وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف
التعريف المعرفة وقرا ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتدا والخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه
السلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر بن عبد
الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت في جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله

من الذين معك والله يقدر الليل والنهار
علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما
تيسر من القران علم ان سيكون منكم
مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون
من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل
الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند
الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا
الله ان الله غفور رحيم
بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر

فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فرايت شيئا وفي رواية عايشة
فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه
فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها
المدثر وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرا باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول
الله وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة
وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه
فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه
وعن عكرمة انه قرا على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك
كما قال في المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب
الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له وربك فكبر
واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر ويروى انه لما نزل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت
انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان
فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب
شرط في الصلاة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب
ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول
وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من
الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل
والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب
للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى
قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه
والكرم تحت حلته لان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته
وابى الا اجتناب الخبيث وايثار الطهر في كل شيء والرجز قرئ بالكسر والضم
وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من
المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان بريئا منه وقرا الحسن ولا تمنن تستكثر
منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا وطالبا للكثير
عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر من الموهوب
وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون
نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاداب واحسن
الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته وقرا الحسن تستكثر بالسكون
وفيه ثلاثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في

وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن

قوله

قوله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من شان المنان بما يعطي ان يستكثره
اي يراه كثيرا ويعتد به وان يسكن تخفيفا وان يعتبر حال
الوقف وقرا الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر ويجوز في الرفع ان تحذف ان ويبطل
عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل
على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما
قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه ان يكون نفس الفعل
وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار
لانه احد ما يتناوله العام والفاء في قوله فاذا نقر للتسبيب كانه قال اصبر
على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك
عليه والفاء في فذلك للجزاء فان قلت بم انتصب اذا وكيف
صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت انتصب اذا بما دل
عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز
وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير
لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في انها النفخة الاولى ام
الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر
كانه قيل فيوم النقر يوم عسير فان قلت فما فائدة قوله غير
يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال
غير يسير ليؤذن انه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع
بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد
انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا ذرني ومن
خلقت وحيدا وحيدا حال من الله عز وجل على معنيين احدهما ذرني وحدي معه
فانا اجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه
احد او حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد
كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الاية
فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يومون
من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا
الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فاتاه الله ذلك
فكفر بنعمة الله واشرك به واستهزا بدينه مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء
من مد النهر ومد نهر اخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنه

ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا

ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم

هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطايف
لا تنقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له الف مثقال وقيل اربعة الاف وقيل
سبعة الاف وقيل الف الف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا
معه بمكة لا يغيبون لا يفارقونه للتصرف في عمل وتجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم
واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستانس بهم لا يشتغل قلبه
بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم
ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل او يسمع شهاداتهم
فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة
كلهم رجال الوليد ابن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس
وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا و
بسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال
واجتماعهما الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك
يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك
لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه
يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا
فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وردا لقطعه وطمعه انه كان لآياتنا عنيدا
تعليل للردع على وجه الاستيناف كان قايلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند ايات
المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى انه ما زال بعد
نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه
عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا
يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع
عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه
السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا
انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز
في الدنيا لعناده ويعاقبه في الاخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه في العناد
غايته واقصاه في تفكيره وتسميته القران سحرا ويجوز ان تكون كلمة الردع متبوعة
بقوله سارهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل
النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا
عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القران وقدر في نفسه ما يقوله
وهياه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذي
كان ينتحيه قريش او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء او هي حكاية لما كرروه من قولهم

فقتل

عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار

قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القايل
قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي
هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني
مخزوم والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام
الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه
يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله ليصبان قريش كلهم فقال
ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه قط يتكهن وتزعمون
انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه
شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا
ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا
سحر يؤثر عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله
متعجبين منه ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس
مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنيعة وهم بان يرمي بها وصف اشكاله التي تشكل
بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس
لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر
وقدر والدعاء اعتراض بينهما فان قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير
الدعا قلت الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله
الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي فان قلت فمعنى المتوسطة بين الافعال
التي بعدها قلت الدلالة على انه قد تانى في التامل وتمهل وكان بين الافعال
المتناسقة تراخ وتباعد فان قلت فلم قيل فقال ان هذا بالفاء بعد
عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك
ان نطق بها من غير تلبث فان قلت لم يوسط حرف العطف بين الجملتين
قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد ساصليه
سقر بدل من سارهقه صعودا لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا اهلك لم تذره
هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك
لا محالة لواحة من لوح الهجير [illegible]
قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل والبشر اعالي الجلود وعن الحسن
تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص
للتهويل عليها تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل

صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين
لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل
يمين وايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس
فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم
اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم اشد الخلق باسا واقواهم
بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة
ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي
لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرميهم في النار
ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش
ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم
ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي
وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا
اصحاب النار الا ملائكة اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فان قلت
قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان
المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما
جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان
المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر
فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من
عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن
اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شانها
ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان
عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القران ايقنوا انه منزل من الله وازدياد
المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما راوا من تسليم اهل الكتاب
وتصديقهم انه كذلك فان قلت لم قال ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب قلت
لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج
الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين
من اهل النفاق والكفر فان قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون
والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة قلت معناه
وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة
ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب

وذلك

الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا
فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا
الكتاب والمؤمنون وليقول الذين
في قلوبهم مرض والكافرون ماذا

٢٦٨

وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل
مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فان قلت قد علل
جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا
هب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول
المنافقين والكافرين غرضا قلت افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب
في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد مخافة الشر فقد جعلت
المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة
الله لكم اية فان قلت لم سموه مثلا قلت هو استعارة من
المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا
له والمعنى اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة
تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان
من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص الكاف في كذلك نصب وذلك اشارة الى ما
قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل
الله الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه
المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله تعالى كلها حكمة وحسنة فيزيدهم
ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك الا
هو وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد
ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك
كما لا تعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب
واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك
لفرط كثرتها الا هو ولا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص
حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول ابي جهل اما لرب محمد اعوان الا
تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة الى قوله الا هو اعتراض وقوله
وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة
للبشر او ضمير الايات التي ذكرت فيها كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى
لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان تكون احدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى ادبر كقبل
بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذا
دبر انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى
جعلت الف التانيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي
في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا او
الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول

اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم
جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى
للبشر كلا والقمر والليل اذ ادبر
والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر

[illegible]

هو احد الرجال وهي احدى النساء. ونذيرا تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا
كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل باول السورة يعني قم نذيرا
نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدا
ان يتقدم في موضع الرفع بالابتدا ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ ان يصلي
ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر
السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان
يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا
ففازوا وان شاؤا تاخروا فهلكوا رهينة ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما
كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول
يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل
كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب ... رهينة ذي رمس تراب وجندل

كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب
اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق
وعن علي رضي الله عنه انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانه لا اعمال لهم يرتهنون
بها وعن ابن عباس رضي الله عنه هم الملائكة في جنات اي هم في جنات لا يكتنه
وصفها يتساءلون عن المجرمين يسال بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم
كقولك دعوته وتداعيناه فان قلت كيف طابق قوله ما سلككم
وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق
ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان
للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى السائلين
ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من
المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه
الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي فان قلت لم يسالونهم وهم عالمون
بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه
تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سالوا
لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار فان قلت اتريدون ان كل واحد
منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت
يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت
اراد وانهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان
من الذين امنوا واليقين الموت ومقدماته اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة

والنبيين

نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم
او يتأخر كل نفس بما كسبت
رهينة الا اصحاب اليمين في جنات
يتساءلون عن المجرمين ما سلككم
في سقر قالوا لم نك من المصلين
ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض
مع الخائضين وكنا نكذب
بيوم الدين حتى اتانا اليقين

٢٦٩

والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط
عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجة المرتضين عن
التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القران او غيره من المواعظ ومعرضين نصب
على الحال كقولك ما لك قائما والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من
نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار والقسورة
جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر
وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس رضي الله عنه
ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القران واستماع
الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة
ظاهرة وتهجين لحالهم كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة
العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان
اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست
عليه بقانص صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا
كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة
لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل
واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان ابن فلان نؤمر فيها
باتباعك ونحوه قوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الاية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا
فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون
بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على راسه ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك
وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة
المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان نشر الصحف ونشرها واحد
كانزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الايات ثم قال
بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم
عن اعراضهم عن التذكرة وقال انه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية
فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينيه فعل فان نفع ذلك راجع اليه
والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى
الذكر او القران وما يذكرون الا ان يشاء الله يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه
لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة
هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم
اذا امنوا واطاعوا وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اهل ان يتقى واهل ان

فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة
معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل
يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا
بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره
وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل
المغفرة

يغفر لمن اتقاه وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففة ومثقلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقال غوية ابن السلمي الا نادت امامة باحتمال لتحزنني فلا بك ما ابالي وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم اهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القران في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد له قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة فان قلت فقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى قلت لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم قالوا ويعضده انه في الامام بغير الف بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس ادم صلوات الله عليه لم تزل تتلاوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو ليبعثن وقرأ قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعدما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد

الارض

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين

الارض قيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اؤمن به او يجمع الله العظام فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام قادرين على تاليفها جميعها واعادتها على التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمله باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتاتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان تكون مثله استفهاما وان تكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد ابن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوء اعماله يسال سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرأ ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقه وباقته وبلقه فتحه وخسف القمر وذهب ضوؤه او ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجا وكل ما التجات اليه من جبل او غيره وتحصنت به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدمه من عمل الخير والشر وبما

على ان نسوي بنانه بل يريد الانسان ليفجر امامه يسئل ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بل الانسان على نفسه

اخر من سنة حسنة او سنة سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله واخره ونحوه
فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على
المجاز كما وصفت الايات بالابصار في قوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة او عين بصيرة
والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزي عن الانباء انه شاهد عليها بما
عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل
عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان
صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة الذنب فان قلت
اليس قياس المعذرة ان تجمع على معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس
بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوها المناكير في المنكر الضمير في به للقران وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن القران نازع جبريل القراءة ولم يصبر
الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له
ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان
يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه
يقرا لتعجل به لتاخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله
ان علينا جمعه وقرانه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قراناه جعل
قراءة جبريل قراءته والقران القراءة فاتبع قرانه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله
وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه
اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى
جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك
وحيه كلا ردع لرسول الله عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة
والتؤدة وقد بالغ في ذلك بقوله بل تحبون العاجلة بل انتم يا بني ادم لانكم
خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون
الاخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله لا تحرك به
لسانك الى ذكر القيمة قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى
التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالاخرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من
نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم
المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق والى الله
تصير الامور والى الله المصير واليه ترجعون عليه توكلت واليه انيب كيف دل
فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها
الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة

ذلك

بصيرة ولو القى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة

ذلك اليوم لانهم الامنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه
بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص
والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي يريد
معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل
واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما
وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم
وياوون الى مقايلهم تقول عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون
النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه والباسر
الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه
تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار
الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا ردع عن ايثار الدنيا
على الاخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي
عنده تنقطع عنكم العاجلة وتنتقلون الى الاجلة التي تبقون فيها مخلدين
والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه
يدل عليها كما قال اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق
بها الصدر وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم
يذكرون السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم
صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها
وقال حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما
به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام
ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق ان الذي نزل به هو فراق الدنيا
المحبوبة والتفت الساق بالساق والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة
اي ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليها جوالا وقيل شدة فراق الدنيا
بشدة اقبال الاخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب
هما ساقاه حين تلفان في اكفانه المساق اي المساق الى الله والى حكمه
فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله
يسال ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقران
ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله يعني فلا زكاه وقيل نزلت في ابي
جهل يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه
وقيل من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطاء

ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى لك فاولى

وحدّ منهم فارس والروم فقد جعل باسم بينهم يعني كذب برسول الله وتولى عنه واعرض
ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك اولى بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه
ما يكره خلق فقدر فسوى فعدل منه من الانسان الزوجين الصنفين اليس ذلك
الذي انشا هذا الانشا بقادر على الاعادة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا قراها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله اهل راونا بسفح القاع
ذي الاكم فالمعنى اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان
قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة
في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة
حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد فان قلت ما محل لم
يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب على الحال من الانسان كانه قال
هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا
يجزي والد عن ولده وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت ارادليت تلك
الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف نطفة امشاج كبرمة
اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد
ويقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين
ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه
ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هي عروق النطفة
وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في
موضع الحال اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه
صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى
حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس رضي الله عنه نصرفه في
بطن امه نطفة ثم علقة وقيل هو في تاخير التقديم يعني فجعلناه سميعا بصيرا
لنبتليه وهو من التعسف شاكرا او كفورا حالان من الهاء في هديناه اي مكناه واقدرناه
في حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن
او يكفر لالزام الحجة ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا
شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر
مجاز وقرا ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا

ايحسب الانسان ان يترك سدى الم
يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة
فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى اليس ذلك بقادر على ان
يحيي الموتى

بسم الله الرحمن الرحيم
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا انا

واما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسل
غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا من حرف
الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة به ممن ضري
برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف الابرار جمع بر او بار كرب وارباب
وشاهد واشهاد وهم وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر والكاس الزجاجة اذا كانت
فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كاسا مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة
ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور
وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور
وعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون
خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص فان قلت لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء
اولا وبحرف الالصاق اخرا قلت لان الكاس مبتدا شربهم واول غايته واما
العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء
بالعسل يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا من منازلهم على اداء الواجبات لان من وفى بما
اوجبه على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى مستطيرا فاشيا منتشرا
بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر
على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه واتى المال على حبه لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله واسيرا عن الحسن كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه
فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان
الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك
واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة وعن
ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم
اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون
قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله وبالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى
لمكافاة الخلق وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من
اخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال
الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله
ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا وعن
مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم والشكور والكفور مصدران
كالشكر والكفر انا نخاف يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة
مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة

اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا
ان الابرار يشربون من كاس كان
مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد
الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون
يوما كان شره مستطيرا ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا

فطريرا فوقيهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها

ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقيا كقولهم
نهارك صايم روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران
وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس وبالشجاع الباسل والقمطرير الشديد
العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها
وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة
واصطليت الحروب في كل يوم   باسل الشر قمطرير الصباح ولقاهم نضرة وسرورا
اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل
على ان اليوم موصوف بعبوس اهله بما صبروا بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس ان الحسن
والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا
يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برآ مما بهما
ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شي فاستقرض علي من شمعون الخيبري
اليهودي ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم
فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت
محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا
لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم
يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي
بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة
الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد
التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها
يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة فان قلت ما معنى ذكر
الحرير مع الجنة قلت المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من
الجوع والعري بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي يعني ان هواها معتدل
لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هوا الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل
الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة طي وانشد   وليلة ظلامها قد اعتكر   قطعتها
والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر فان قلت
ودانية عليهم ظلالها علام عطفت قلت على الجملة التي قبلها لانها في موضع
الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد
وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها
فدخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين
البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدا ودانية
خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية

وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم

عليهم ويجوز ان يجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان تكون ودانية
معطوفة على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين لقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا فان قلت
فعلام عطف وذللت قلت اذا رفعت ودانية فجملة فعلية معطوفة على جملة
ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل
قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت
ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا
وتذليل القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا او تجعل ذليلة لهم
خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا قواريرا قواريرا قرئا غير منونين
وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني
لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها
في صفاء القوارير وشفيفها فان قلت ما معنى كانت قلت هو من
يكون في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير باذن الله وتكوينه تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان
الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ
قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم
لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت
كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا
شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن
مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البنا للمفعول ووجهه ان يكون من قدر
منقولا من قدر تقول قدرت الشي وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا
قادرين لها كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا سميت العين زنجبيلا
لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه   قال الاعشى
كان القرنفل والزنجبيل   باتا بفيها واريا مشورا   وقال المسيب بن علس
وكان طعم الزنجبيل به   اذ ذقته وسلافة الخمر   سلسبيلا سلسة منقادة
في الحلق سهلة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع
وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب
حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في
اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره
الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تابط شرا
وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح
وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي رضي الله عنه ابدع

[illegible]

وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل وعينا
بدل من زنجبيلا وقيل يمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا
القول مبدلة من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او منصوبة على الاختصاص
شبهوا في صفاء الوانهم وحسنهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن
المامون رحمة الله عليه انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن ابن سهل وهو على بساط منسوج
من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ الرطب فنظر اليه منثورا على ذلك البساط
فاستحسن المنظر قال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول ـــــ

كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء رايت ليس له
مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر
الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع نصب على الظرف
ومعناه في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط
الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر
في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا
كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم قرئ عاليهم بالسكون على انه مبتدا
خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه حال
من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب
او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب سندس ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك
وملك عاليهم ثياب وعاليهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم خضر واستبرق بالرفع
حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف
لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن
انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه
سمي باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله
استبره وحلوا عطف على ويطوف فان قلت ـــــ ذكر هاهنا ان اساورهم من فضة
وفي موضع اخر انها من ذهب قلت ـــــ هب انه قيل لنساء الدنيا من انواع الحلي
وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة
شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار
دار تكليف ولانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم
يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها ولانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح
عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك اي يقال لاهل الجنة ان هذا وهذا اشارة الى ما
تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر

مجاز

ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما
وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس
خضر واستبرق وحلوا اساور
من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا
ان هذا كان لكم جزاء وكان

مجاز تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله تعالى
بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله انه اذا كان اذا هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه
نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري
وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة
الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام
بعد حين فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتاخير
نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا
من تاخر الظفر وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان
يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم فان قلت ـــــ
كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله اثما او كفورا قلت ـــــ معناه
ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما
ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين
دون الثالث وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للماثم متعاطيا لانواع
الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو فان قلت ـــــ
ما معنى ولا تطع احدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا قلت ـــــ
لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما
عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودم على صلاة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض
الليل فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول
في قوله يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه
او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الاخرة كقوله بل تؤثرون
الحيوة الدنيا ووراءهم قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبؤون به يوما ثقيلا استعير الثقل
لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض
الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق وهو الاسار وفرس ماسور الخلق
وترس ماسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم
بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق وجدولته واذا شئنا اهلكناهم
وبدلنا امثالهم في شدة الاسر يعني النشاة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن
يطيع وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم
هذه اشارة الى السورة او الى الايات القريبة فمن شاء فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة
واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤن الطاعة

سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا
تطع منهم اثما او كفورا واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل
فاسجد له وسبحه بكرة واصيلا ان
هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم
يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم
تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن

[illegible] الا ان يشاء [illegible]
[illegible] عليما حكيما يدخل
من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم
[illegible]

الا ان يشاء الله يقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما
حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء. فان قلت ما محل ان يشاء
الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله وكذلك قراءة
ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء هم المؤمنون و
نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافا وما اشبه ذلك وقرا ابن مسعود
وللظالمين على واعد للظالمين وقرا ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها اولى
لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة والمرسلات مكية وهي خمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن
كما تعصف الرياح تخففا في امتثال امره وطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن
بالوحي او نشرن الشرائع في الارض ونشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين
ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين
او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه
كقوله ويجعله كسفا او بسحاب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر الله وبين من يكفر
كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون
الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين
يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلهن ملقيات للذكر لكونهن سببا
في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت فان قلت ما معنى عرفا
قلت متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع
اذا تالبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له
اي ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر
فان قلت قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم
معروفا قلت ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين
الذين انتقم الله لهم منهم فان قلت ما العذر والنذر وبم انتصبا
قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على
فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار
او بمعنى العاذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له
واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى العاذرين او منذرين وقرئا مخففين او

الا ان يشاء الله ان الله كان عليما
حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين
اعد لهم عذابا اليما
بسم الله الرحمن الرحيم
والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا انما

مثقلين ان الذي توعدونه من مجيء يوم القيمة فانه نازل لا ريب فيه وهو جواب
القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات طمست محقت ومحيت وقيل ذهب
بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم
تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت ابوابا قال الفارجي باب الامير المبهم
نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا
وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست و
فرجت وسفت مشددة قرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الو
ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم والتاجيل من
الاجل كالتوقيت من الوقت لاي يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل
بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى
وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت لاخرته فان قلت
كيف وقع النكرة مبتدا في قوله ويل يومئذ للمكذبين قلت هو في اصله
مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات
الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرا
به يقال ويلا له وويلا كيلا قرا قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه
قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستئناف وهو وعيد
لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم
لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم عطفا
على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الاخرين
من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذار
وتحذير من عاقبة الجرم وسوء اثره الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم
قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك
تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه
نحن والاول اولى لقراءة من قرا فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره
الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع
لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل
كافتة احياء وامواتا في بطنها او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت
احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي رحمه الله تعالى
على قطع النباش بان الله جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم
فالنباش سارق من الحرز فان قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي
كفات الاحياء والاموات جميعا قلت هو تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء

توعدون لواقع فاذا النجوم طمست
واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت
واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت
ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل
ويل يومئذ للمكذبين الم نهلك الاولين
ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل
بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم
من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى
قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون
ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض
كفاتا احياء وامواتا وجعلنا

[illegible]

لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتهم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس فان قلت ـــــ ما التنكير في رواسي شامخات وماء فراتا قلت ـــــ يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فراتا ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه الى ظل يعني دخان جهنم لقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا بشرر وقرئ بشرار كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرا ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرا سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم ۞ بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقال ابو العلاء ۞ حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ۞ ترمي بكل شرارة كطراف ۞ فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القران ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه وقرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران في القران او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا

يكون

فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالة صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ

يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك كلوا وتمتعوا حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فان قلت ـــــ كيف يصح ان يقال لهم ذلك في الآخرة قلت ـــــ يقال لهم ذلك في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا ۞ وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء في حياتكم بان يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود بعده بعد القران يعني ان القران من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة عم يتساءلون وتسمى سورة النبا وهي اربعون او احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى ابن عمر قال حسان ۞ على ما قام يشتمني لئيم ۞ كخنزير تمرغ في رماد ۞ والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي شان يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه فانت تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية يتساءلون يسال بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم

هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون عن النبا العظيم

عن رسول الله والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون
فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبأ العظيم بيان
للشأن المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى
الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبأ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان
ما بعده يفسره كشيء مبهم ثم يفسر فان قلت قد زعمت ان الضمير
في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت كان فيهم من
يقطع القول بانكار البعث وفيهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا
وكانوا جميعا يتساءلون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد
استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ
يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد
لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب
فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني
ابلغ من الاول واشد فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض
مهادا قلت لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث
هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو
الا اختراع كهذه الاختراعات وقيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم
لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل
مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه
تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي
ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد سباتا موتى والمسبوت الميت من السبت
وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل
النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي وقت
معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة
لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون
الاطلاع عليه من كثير من الامور وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر ان المانوية تكذب
سبعا سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور
الازمان وهاجا متلالئا وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها
وحرها المعصرات السحائب اذا اعتصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك
احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات
وفيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا
كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات

الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات

الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي السموات وتأويله ان الماء ينزل من
السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت
فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت
لان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد
جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال
منها ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات
والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر قلت وجهه ان يريد اللاتي
اعصرن اي حان لهن ان تعصرن اي تغيثن ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي
الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس
مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء
ينثج في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من
التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان الفافا ملتفة
لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن
ابن علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة انه
لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل
هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه
حدا تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ بدل من يوم
الفصل او عطف بيان فتأتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامهم وقيل
جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من
امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون ارجلهم فوق
وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم
وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
ملبسون جبابا من قطران سابغة لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة
فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكوسون على
وجوههم فأكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون
باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم
واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون
على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف
فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون

ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا

يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء قرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى
كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض
عيونا كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي انها تكشط فينفتح مكانها
وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا يعني انها تصير
شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد
والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد
لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب
للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا الى الجنة وقرا ابن يعمر ان جهنم بفتح
الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك
لاقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا
يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه احقابا حقبا
بعد حقب كلما مضى حقب تبعه اخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة
الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى حقيبة
الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز ان يراد لابثين
فيها احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير
الحميم والغساق من جنس اخر من العذاب وفيه وجه اخر وهو ان يكون من حقب عامنا
اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطاه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب
حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير
له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا او روحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا
يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد
فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وعن بعض
العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل
من صديدهم وفاقا وصف بالمصدر او ذا وفاق وقرا ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه
كذا كذابا تكذيبا وفعال من باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون
غيره وسمعني بعضهم افسر اية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ
بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه
وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه
بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى
المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا
كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم
يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى مراده وجهده

وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت
الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت
مرصادا للطاغين مابا لابثين فيها
احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم
كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا
باياتنا كذابا وكل شيء

وقرئ

وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب
يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه
وقرا ابو السمال كل شيء احصيناه بالرفع كتابا مصدر في موضع احصاء او احصيناه
في معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا
في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله احصاه
الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالايات وهي اية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة
كالمحال الذي لا تدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على ان الغضب
قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية اشد ما في القران على اهل النار
مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة
وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر والاعناب الكروم
والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهي النواهد والاتراب اللدات والدهاق المترعة
وادهق الحوض ملاه حتى قال قطني وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي
ليس يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه ولا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرا
بتخفيف الاثنين جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كانه قال
جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء حسابا
صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم
وقرا ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك
قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات او رب السموات مبتدا والرحمن
صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع
الثاني على انه مبتدا خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون
لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله ويامر به في امر
الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون
منه او لا يملكون ان يخاطبوه في شيء من نقص العذاب او زيادة في الثواب الا ان يهب
لهم ذلك ويأذن لهم فيه ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان
الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة
لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض والروح
اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم
ما خلق الله بعد العرش اعظم منه خلقا وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل
جبريل عليه السلام هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم ماذونا له في الكلام وان يتكلم
بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى المرء

احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا ان للمتقين مفازا حدائق
واعنابا وكواعب اترابا وكاسا
دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا
جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات
والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء
اتخذ الى ربه مابا انا انذرناكم

هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم
ويعني ما قدمت يداه من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما
ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر
اي شيء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع
من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني
كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث
وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا
فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون
الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وهي خمس او ست واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف
التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي
تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما
يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي
الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا
تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من
قولهم ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر
امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من
المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط الى اقصى الغرب والتي
تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم
الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي
تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة
ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال
وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف
الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله تعالى عسى ان يكون ردف
لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة
لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة
السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك فان قلت
ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة فان قلت

كيف

عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
بسم الله الرحمن الرحيم
والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة

كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى
قلت المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون
في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها
الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ
واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب
والوجيف اخوان خاشعة ذليلة فان قلت كيف جاز الابتداء بالنكرة
قلت قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها
فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت كيف صح اضافة الابصار
الى القلوب قلت معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون في الحافرة في
الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت فان قلت ما حقيقة هذه الكلمة
قلت يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها
اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في
اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة
الى الحفر والرضى او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه
رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى قال

احافرة على صلع وشيب ... معاذ الله من سفه وعار

يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي
الصفقة وقرأ ابو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه
فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة
يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد
قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب بمحذوف
تقديره ائذا كنا عظاما نخرة نرد ونبعث كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها
والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم فان قلت
بم تعلق قوله فانما هي زجرة واحدة قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها
فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة
هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا هم احياء على
وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة
الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة
جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا ... لاقطارها قد جبتها متلثما

او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم اذهب على ارادة القول

ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى

وفي قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول هل لك في كذا وهل لك
الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى ان تتطهر من الشرك
وقرئ اهل المدينة تزكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله
وانبهك عليه فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي
الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج
ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل
لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف في القول
ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا الاية الكبرى
قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها
بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او اراد هما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان
الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة لها فكذب بموسى والاية الكبرى
وسماهما ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت
عليه ثم ادبر يسعى اي لما راى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال
الحسن كان رجلا طياشا خفيفا او تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايده
او اراد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع
ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فارسل
فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه او امر
مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة
وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرة انا ربكم الاعلى
هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة
والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا
والاحراق في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه نكال كلمته الاخرة وهي قوله
انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين
الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون الخطاب لمنكري البعث ءانتم اشد
خلقا ان انشاؤكم ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع
سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام
فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها
تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان اغطش الليل واغطشه الله
كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها
وابرز ضوء شمسها بدليل قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم

الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ءانتم اشد
خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها
واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض

بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها ومرعيها
والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم فاذا
جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان
ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى واثر
الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى

وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل
والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها ماءها
عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض
والجبال باضمار دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقراهما
الحسن مرفوعين على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف
على اخرج قلت فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها
ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية امر
الماكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال
واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا
باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما ياكل الناس
والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ
نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق
به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء متاعا لكم فعل ذلك
تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم
الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي
فطم على القرى وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل
الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر
بدل من اذا جاءت يعني اذا راى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد
نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت
واظهرت وقرا ابو نهيك وبرزت لمن ترى للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها
تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي
عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على
احد وقرا ابن مسعود لمن راى وقرا عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله
اذا راتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما جواب فاذا فالمعنى اي فاذا
جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض
الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان
الطاغي هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة
ودخول حرف التعريف في الماوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل
او مبتدا ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات
وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الايتان
نزلتا في ابي عزيز ابن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز

يوم احد ووقى رسول الله بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه ايان مرساها متى ارساؤها
اي اقامتها اراد ومتى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما
ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت في اي شيء انت من ان تذكر وقتها
لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله
عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسال عنها حتى نزلت فهو على
هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى
انهم يسالونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها ثم قال الى ربك منتهاها
اي منتهى علمها لم يؤت علمها احدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال
ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء واخر الرسل المبعوث في نسم الساعة
ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد
لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة
الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية
منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال
فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس اي كانهم لم يلبثوا
في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحاها فان قلت كيف صحت اضافة
الضحى الى العشية قلت لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد
فان قلت فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت
الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه
فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيمة
حتى يدخل الجنة قدر الصلاة المكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله
ابن شريح ابن مالك ابن ربيعة الفهري من بني عامر ابن لؤي وعنده صناديد قريش
عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل ابن هشام والعباس ابن عبد المطلب وامية بن
خلف والوليد ابن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له
يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم
فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل
لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رايته يوم القادسية

وعليه

يسئلونك عن الساعة ايان مرسىها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهيها انما انت منذر من يخشيها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها
بسم الله الرحمن الرحيم
عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك

وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلّح في كلح
ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه
الاعمى واعرض لذلك وقرئ ءان جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس
وتولى ثم ابتدئ على معنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي انه
ما عبس من بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم
الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه
ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من
ذلك كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده
لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تادب الناس بادب الله في هذا
تادبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء
وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقن
من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك
ويكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك
او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت
في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه
كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله
موسى تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصّدى بالتشديد
بادغام التاء في الصاد وقرا ابو جعفر تُصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك
داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك باس في ان لا يتزكى
بالاسلام ان عليك الا البلاغ يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار
واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهى
عنه والتهى وتلهى وقرا طلحة ابن مصرف تتلهى وقرا ابو جعفر تُلهى اي يلهيك شان
الصناديد فان قلت قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان
فيه اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك
خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه
وعن معاودة مثله انها تذكرة اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء
ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في
صحف صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله
مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا
ايدي ملائكة مطهرين سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح بررة اتقياء وقيل في
صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول

لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم

الله قتل الانسان دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد
الدنيا وفظائعها وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه
ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا
اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء خلقته الى ان انتهى وما هو مغمور
فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه راسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى
ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اي شيء خلقه من اي شيء حقير
مهين خلقه من اي شيء متعلق بمهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه
فقدره فهياه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا نصب السبيل
باضمار يسر وفسره بيسر والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل
الذي يختار سلوكه في طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل
وعن ابن عباس بين له سبيل الخير والشر فاقبره فجعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له
ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر
الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج
اقبرنا صالحا انشره انشاه النشاة الاخرى وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو
عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية
ما امره الله حتى يخرج من جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد
النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الى طعامه الذي يعيش فيه
كيف دبرنا امره انا صببنا الماء يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على
البدل من الطعام وقرا الحسين بن علي رضي الله عنهما انى صببنا بالامالة على معنى فلينظر
الانسان كيف صببنا الماء شققنا من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شقها
بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب وحبا كل ما حصد
من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب ارضه سمي بمصدر
قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء
فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا
اي عظاما غلاظا والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي
كرب يمشي بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا والاب المرعى لانه
يؤب وينتجع والاب والام اخوان قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع
وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض
تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرا هذه الآية
فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف
وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا

فذعوم

ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة يوم

فذعوم فان قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن
مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم
عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان
الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى
الآية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو
اهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدده من نعمه ولا تتشاغل
عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة
الجملية الى ان يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن
فيما اشبه ذلك من مشكلات القرآن يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة
بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه
ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدا بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة
والبنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه
وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان
قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم
ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح
ولوط ومن ابنه نوح يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه مسفرة
مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنه من قيام الليل
لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار
الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان
ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت
وكان الله عز وعلا يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

في التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف ضوءها لفا فيذهب
انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت
باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها
لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء وان يكون
من طعنه فجوره وكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح في فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار فان
قلت ارتفاع الشمس على الابتداء او الفاعلية بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر
يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انكدرت انقضت قال

نضر ابن من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت

ابصر خربان قضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها من
عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت اي عن وجه الارض
وابعدت او سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب والعشار جمع
عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع
لتمام السنة وهي انفس ما تكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة
وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف
حشرت جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل
اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني ادم واعجاب بصورته كالطاوس
ونحوه وعن ابن عباس وعن ابن عباس رضي الله عنه حشرها موتها يقال اذا اجحفت
السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد سجرت قرئ بالتخفيف
والتشديد من سجر التنور اذا ملأه بالحطب اي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود
بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها
فلا يبقى فيها قطرة زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل
بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور
ونفوس الكافرين بالشياطين وئدت مقلوب من آد يؤود اذا اثقل قال الله تعالى
ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها
البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا
كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في
الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى
يستوي البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة
فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته فان قلت ما
حملهم على واد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من
الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة
بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الواد فبه
افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم توأد فان
قلت فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد
عن موجب قتله لها قلت سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله
تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس
لي بحق وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وسألت الله او قاتلها وانما قيل قتلت بناء
على ان الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او كلامها حين
سألت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضي الله عنه قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل

بيان

وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت
وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت
وإذا النفوس زوجت وإذا الموؤدة سئلت
بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا
الـ

وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت
وإذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت فلا
اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس

بين ان اطفال المشركين لا يعذبون وان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت
الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان
يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما ينسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد
وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد
يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة
صحيفتك يا ابن ادم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن ادم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال
شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل
ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم
القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع
صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحيفة غير صحف الاعمال
كشطت كشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن
مسعود رضي الله عنه قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد
ولبقته والكافور والقافور سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد
للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بني ادم ازلفت ادنيت من المتقين كقوله
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا
وست في الآخرة وعلمت هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه فان
قلت كل نفس تعلم ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم الذي
يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه قول القائل قد اترك القرن مصفرا انامله وتقول
لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي
فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته
من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه
معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان قارئا قرأها عنده
فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وا انقطاع ظهرياه الخنس الرواجع بينا ترى النجم في
اخر البرج اذ كر راجعا الى اوله والجواري السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل
كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري
مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها
تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل

اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال العجاج
حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس اذا اقبل
ظلامه فان قلت ما معنى تنفس الصبح قلت اذا اقبل الصبح
اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه الضمير
للقران رسول كريم هو جبريل صلوات الله عليه ذي قوة كقوله شديد القوى ذو
مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش على انه عند
الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه وقرئ ثم تعظيما
للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم بمجنون كما بهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله
على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد عليه السلام اذا وازنت بين
الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد راه ولقد راى
رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على ما يخبر به
من الغيب من رؤية جبريل والوحي اليه وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة
وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه
او يسال تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان
رسول الله عليه السلام يقرا بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة
مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا
غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس
من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضبط يعمل بكلتا يديه
وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما
الظاء فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي احد الاحرف الذولقية اخت
الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين
جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت
فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء
مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القران
بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى اوليائهم من الكهنة
فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات
الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن شاء
منكم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الاسلام
هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤون

الاستقامة

والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وما صاحبكم بمجنون ولقد راه بالافق المبين
وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان
رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون
الا ان يشاء الله رب العالمين

الاستقامة بان تشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤونها انتم يا من لا تشاؤونها
الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا الشمس كورت
اعاذه الله ان يفضحه اذا نشرت صحيفته

سورة انفطرت مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذي
بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير
مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرا مجاهد فجرت
على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان
لان البغي والفجور اخوان بعثرت وبحثرت بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة
اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين
فان قلت ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكرم
انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام
له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك
وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه
قلت معناه من حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا
لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة
المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر
خارج عن حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله
وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث
اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما
تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك
الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك
المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه
الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر
صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرا سعيد بن جبير ما اغرك اما
على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولهم بينهم العدو
وهم غارون واغره غيره جعله غارا فسواك فعدلك سوى اعضاءك فعدلك
فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا
احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر
فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك

يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة
ما شاء ركبك

بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى
اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك
وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات
ما شاء في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في
الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه
فان قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لانها بيان
لعدلك فان قلت بم يتعلق الجار قلت يجوز ان يتعلق بركبك
على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه ويحذوف اي ركبك حاصلا في بعض
الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في
اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من
التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو
موجب الشكر والطاعة الى عكسها الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين
اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع
المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما تكذبون به من الجزاء والكاتبون يكتبون عليكم
اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من
جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما تحاسب عليه وتجازى به الملائكة الكرام
الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل
انه كان اذا قراها قال ما اشدها من آية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله وما
هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك
يعني في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حال
الحيوة التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله
وما هم عنها بغائبين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول
والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل
ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها
ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله ومن رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم
لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان
يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر
حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروي ان رسول

الله

صورة ما شاء ركبك كلا
بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها
يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك
ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله
بسم الله الرحمن الرحيم
ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس

الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا
الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر
وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة
فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول
الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا
بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا
طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم
القطر وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم
الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها
ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضي الله عنه انكم معشر الاعاجم وليتم
امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل
والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون
وعن ابن عمر رضي الله عنه انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان
المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة
اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار
وعن ابي رضي الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل والسن الموازين
لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة
على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية
اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان
في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك
واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير
منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل
الفعل كما قال ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والحريص
يصيد لك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل والموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا
للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس
استوفوا واذا اولوهم الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان
الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي
تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد
المصطلح عليه في علم الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين
هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية

يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم

معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم
يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر
وحمزة انهما كانا يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين
وقيفة يبينان بها ما ارادا فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم
قلت كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون
الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون
في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصون
يقال خسر الميزان واخسره الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على
التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار
الذرة والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك
عن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا
قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد
العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن
وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين
ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان
في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ وعطاء بل
في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم يقوم بمبعوثون
وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر انه قرا هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس
لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردع لهم عما كانوا عليه من التطفيف
والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عليه ويندم عليه ثم اتبعه
وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم فان قلت قد اخبر الله
عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب
مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه
اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين
الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك
الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق
في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن
ابليس وذريته استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان
الخير الملائكة المقربون فان قلت فما سجين اصفة هو ام اسم قلت
بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد
وهو التعريف الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان

يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم
عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا
ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك
ما سجين كتاب مرقوم ويل
يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين

الفاسق

الفاسق الخبيث كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ
وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير
ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب
وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه وران به الخمر ذهبت
به وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود وأميلت الالف وفخمت كلا ردع
عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه
لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم
قال اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب
وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته
كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير
الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو
كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة
واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان
الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى
اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في
عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى
اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين
الارائك الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما اولاهم
الله من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك
نضرة النعيم بهجة التنعم وماؤه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه وقرئ
تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه
مختوم تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه
رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء
وكسرها اي ما يختم به ويقطع فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون تسنيم علم
لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في
الجنة واما لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء مسنمة فتنصب في اوانيهم
عينا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج
لسائر اهل الجنة هم مشركو مكة ابو جهل بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم كانوا
يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزئون بهم
وقيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا
وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل

وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن
ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا
الذي كنتم به تكذبون كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب
مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك
ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من
رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب
بها المقربون ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا
يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا

علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون
باعينهم فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال
وما ارسلوا على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على
اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم
اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا
لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك على الارائك ينظرون
حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار
بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك امنون
وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم
يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم ثوب واثابه بمعنى اذا جازاه قال
اوس سا جزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدا
وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير
والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه
ومعناه اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي
رضي الله عنه تنشق من المجرة اذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما اذن الله
بشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم
والمعنى انها فعلت في انقيادها لله حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد
عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين
وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع
ومعناه الايذان بان القادر الذات يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك مدت
من مد الشيء فامتد وهو ان تزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط
ويستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس رضي
الله عنه مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامت وعوج
واستوى او من مده بمعنى امده اي زيدت سعة وبسطة والقت ما فيها ورمت
بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء
في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا
جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها في القاء ما في بطنها وتخليها

الكدح

وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يا أيها الإنسان

الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى
كادح الى ربك جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه
فلاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح يسيرا سهلا هينا
لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة
رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من حوسب عذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض
من نوقش في الحساب عذب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين
او الى اهله في الجنة من الحور العين وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله
وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره
يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم
ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم
على انهم كانوا جميعا مسرورين يعني انه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار
الذين لا يهمهم امر الاخرة ولا يفكرون في العاقبة ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة
الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ظن ان لن يحور
اي يرجع الى الله سبحانه تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال
لبيد يحور رمادا بعد اذ هو ساطع وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت
اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى
ليحورن ان ربه كان به بصيرا باعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه
عليها وقيل نزلت الايتان في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود بن عبد الاسد الشفق
الحمرة التي في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة
عند عامة العلماء الا ما روي عن ابي حنيفة رحمه الله في احدى الروايتين انه البياض
وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب
عليه وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو
يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما
جمعه وستره واوى اليه من الدواب وغيرها اذا اتسق اذا اجتمع واستوى ليلة اربع
عشرة قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس
ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن على ليركبن الانسان والطبق ما طابق غيره
يقال ما هذا بطبق لهذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما تطابق
منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا طبقا عن طبق اي حالا بعد
حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من
قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد

إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق

احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة واهوالها
فان قلت ما محل عن طبق قلت النصب على انه صفة لطبقا
اي طبقا مجاوزا الطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق
او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا
عليه لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق
فوق رؤسهم فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله
عنه ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد
ان رايت رسول الله يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله
عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة الذين كفروا اشارة الى المذكورين بما
يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء
او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب الا الذين
امنوا استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت
اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي
هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء
واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود
فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من
عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما
افرطت لكثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل وشاهد
ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد
والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام وامته
لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية
ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام
والليالي وبنو ادم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل
في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو
ادم وقيل الانبياء ومحمد صلوات الله عليهم فان قلت اين جواب القسم
قلت محذوف يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم
لملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في

واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين
كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون
فبشرهم بعذاب اليم الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون
بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد
ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات

تثبيت

تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من
التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى ياتسوا بهم ويصبروا
على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلمون ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين
المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود
وقيل دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد
في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فوقصت في اخاقيق جرذان
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة
قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها
فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس
للملك فابراه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه
فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى
الغلام فذهب به الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا
فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال
للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي
وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه
ومات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر
باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت
امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق
فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي الا غميضة فصبرت وعن علي رضي
الله عنه انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم
وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب
المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول يا ايها الناس ان الله احل نكاح الاخوات
ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط
فلم يقبلوا فقالت ابسط السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح
من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران
رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودي
بجنوده من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد
وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء
النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من

الحطب الكثير وايدا انا الناس وقرئ الوقود بالضم اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا
بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها ما يدنون منها من حافات الاخدود كقوله وبات على
النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه ومعنى
شهادتهم على احراق المومنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض
عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر وفوض اليه من التعذيب ويجوز ان يراد انهم
شهود على ما يفعلون بالمومنين يودون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان
كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وقال ابن الرقيات ما نقموا من بني امية الا انهم
يحلمون ان غضبوا وقرأ ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي
يستحق بها ان يومن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له
الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق عليه عبادته و
الخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي
وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء
شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ويجوز ان يريد بالذين
فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين امنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم
عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وهي نار
اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المومنين او لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم
عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين
فتنوا المومنين اي بلوهم بالاذى على العموم والمومنين المفتونين وان للفاتنين
عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد
تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام انه
هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الاخرة
او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه واوعد الكفرة بانه يعيدهم
كما ابداهم ليبطش بهم واوعد الكفرة بان يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا
نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود
من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش
ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال خبر مبتدأ محذوف وانما قيل فعال
لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة فرعون وثمود بدل من الجنود واراد فرعون اياه
واله كما قال من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل
وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب
للعذاب والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم

مثل

مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الاضراب ان امرهم
اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم وراوا اثار هلاكهم ولم
يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو اي بل هذا الذي كذبوا به قران مجيد شريف
عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران رب
مجيد وقرأ يحيى ابن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي
فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقران
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد
كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه
يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي بالليل
طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم
بها فان قلت ما يشبه قوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة
كلمة باخرى فبين لي اي فائدة تحته قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم
بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه
على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادراك
ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار الفخامة شانه كما قال فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ماء ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء
هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب فنزلت
فان قلت ما جواب القسم قلت ان كل نفس لما عليها حافظ
لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على
ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ
مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل
شيء مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب
عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين
فان قلت ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله قلت وجه
اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر في اول امره
ونشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة

ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود وما نقموا منهم الا ان يومنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم

محيط بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من

يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا انه على رجعه لقادر

والجزاء ولا يبقى على حافظه الاما يسر في عاقبته مم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر والاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه اربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المراة انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل او الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما اغفله عما في السماء والطارق فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال

ربا شماء لا ياوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسبل تسمية بمصدر رجع واب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء كالرجع في المدجنة السارية والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات انه الضمير للقران فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه الى ان جبار السموات يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله على المشركين في قوله وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغواية انهم يعني اهل مكة يعملون المكايد في ابطال امر الله واطفاء نور الحق واكيد كيدا وانا اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم

في

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى

في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى تسع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح من المعاني التي هي الحاد في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرا علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية لم يات به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى درينا اسود ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته بشره الله باعطاء اية بينة وهي ان يقرا عليه جبريل ما يقرا عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرا فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مامور بان يقراه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه اسقط اية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة انه يعلم الجهر يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر

فلا تغفل فانا الكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وبطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسى من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء. ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها ماخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع قلت هو على وجهين احدهما ان رسول الله قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد فاعرض عنهم وقل سلام فذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكورين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتاثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لا يكون. سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تامل ان يقبلوا منك. ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى لتوغله في عداوة رسول الله وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة. النار الكبرى هي السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه. تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلاة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة. فصلى تصلى الصلوات الخمس نحو قوله واقام الصلوة واتى الزكوة وعن ابن مسعود رضي الله عنه رحم الله امرءا تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد. وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضي الله عنه ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد. بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل انتم تؤثرون

خير

ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت
الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها
الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت
فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه
فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة

خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الاخرة الا كنفجة ارنب. هذا اشارة الى قوله قد افلح من تزكى الى قوله وابقى ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في هذه السورة كلها وروي عن ابي ذر رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابراهيم صلوات الله عليه ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد وكان اذا قراها يقول سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل.

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم. الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش. يومئذ يوم اذ غشيت. خاشعة ذليلة. عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتنعم بها فهي في نصب منها في الاخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم. تصلى قرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلي عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا. انية متناهية في الحر كقوله وبين حميم ان. الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى … وعاد ضريعا بان عنه النحائص

وقال

وحبسن في هزم الضريع فكلها … حدباء دامية اليدين حرود

فان قلت كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم. لا يسمن ولا يغني مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء

خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى
بسم الله الرحمن الرحيم
هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ
خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية
تسقى من عين انية ليس لهم طعام الا من
ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة

منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام
لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع واسمن
وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت
كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا
ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون
المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا
مغن من جوع ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة
لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو
المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو
او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم
الدائم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا
في غاية الكثرة كقوله علمت نفس مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى
المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من
رفع الشيء اذا خبأه كذا موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم
عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشراب
ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها
تقديرا مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على
مسورة واستند الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها
خمل رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل
نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر
حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن
قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز
ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء
انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان
تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش
حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري
والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا
القاضي فقلت اين تريد فقال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى
الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال
والارض ولا مناسبة قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم
وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يبدع من زعم ان الابل السحاب

الى

ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية
لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية
فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة و
نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة افلا
ينظرون الى الابل كيف خلقت والى
السماء كيف رفعت والى الارض
كيف سطحت فذكر انما انت مذكر

الى قوله الالباب لمناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن
والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم
فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا
مساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف
سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرأ علي رضي الله عنه خلقت
ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف
المفعول وعن هرون الرشيد رحمه الله انه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون
الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا
انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم
ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله ان عليك الا البلاغ
لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح
الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى استثناء منقطع
اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب
الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع
طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من
تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه وقرأ ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد
ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من
اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد فان قلت
ما معنى تقديم الظرف قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا
الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب
على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالفجر
كما اقسم بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر واراد
بالليالي العشر عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به
قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة
بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال
معهودة معلومة قلت لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير
ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية
وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها

لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر
فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا
ايابهم ثم ان علينا حسابهم
بسم الله الرحمن الرحيم
والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل
اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر

ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذاك عاشرها
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرها بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر
حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه
وبعدما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم ما اذا يسر اذا يمضي كقوله
والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر
في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس عن
ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف
الاطلاق وعن ابن عباس رضي الله عنهما وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام
عشر وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة
وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء
قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي
بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه
يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء
وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم
عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب
قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل
للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال
ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله بعاد
ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم
التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل
ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقرا الحسن
بعاد ارم مفتوحتين العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات
العماد اسم المدينة وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما بدلا
من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد
او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان
طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين
انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد
فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري
عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من
الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة
ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم

صيحة

الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط

صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها
فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب
فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير
على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا
والله ذلك الرجل لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم
اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل
مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها
جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور
والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة قيل له ذو الاوتاد
لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة
بنته وبآسية الذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز
ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين من عاد وثمود وفرعون
يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا
من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما
يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الآية قال ان عند الله
اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال
من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه
وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله
انه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك
لبالمرصاد يا فلان عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله
دره اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع اهل الاهواء والبدع
باحتجاجه فان قلت بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله
ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة
وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة
وما يلذه وينعمه فيها فان قلت فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما
ابتلاه ربه وقوله واما اذا ما ابتلاه وحق التقابل ان يتقابل الواقعان بعد اما
واما تقول اما الانسان فكفور واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو
محسن اليك واما اذا اسات اليه فهو مسيء اليك قلت هما متوازنان
من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمن
خبر المبتدأ الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط
بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن

عذاب ان ربك لبالمرصاد فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن

وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدا واجب تقديمه فان قلت
كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء قلت لان كل واحد منهما
اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر
حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فان قلت قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه قلت
لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة واما التقدير
فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون
المولى مكرما للعبد ومهينا فان قلت فقد قال فاكرمه فصحح اكرامه واثبته
ثم انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه عليه قلت
فيه جوابان احدهما انه انما انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف
ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا
مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندي
وانما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا
به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق
الكرامة من اجلها والثاني ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي اهانن يعني انه اذا تفضل
عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل
هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله فاكرمه وقرئ فقدر
بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج
مكتفيا منها بالكسرة كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا
القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم
بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المساكين ويأكلونه اكل الانعام ويحبونه
فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون اي يحض
بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اكلا لما
ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة اذا كان لما يتبع الذم ربه
فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث
ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون تراثهم مع
تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين
حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق
فيه جبينه فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات
من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون حبا جما كثيرا شديدا
مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد

وذكر

كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون
على طعام المسكين وتاكلون التراث
اكلا لما وتحبون المال حبا جما

وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة ويومئذ بدل من اذا دكت الارض
وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا اي دكا بعد دك كقولك حسبته بابا بابا اي
كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا فان قلت ما معنى اسناد المجيء
الى الله سبحانه والحركة والانتقال انما يجوز على من كان في جهة قلت
هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك
بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر
بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا تنزل ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم
كقوله وبرزت الجحيم وروي انها لما نزلت تغير وجه رسول الله وعرف في وجهه
حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل
بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك
فتلا عليه الآية فقال له علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون الف ملك يقودونها
بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع اي يتذكر ما فرط
فيه او يتعظ وانى له الذكرى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف
المضاف والا فبين يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف وتناقض قدمت لحياتي
هذه وهي حياة الآخرة او وقت حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من
رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم
وانهم لم يكونوا محجورين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهواء
والبدع والا فما معنى التحسر قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن ابي عمرو انه رجع اليها في اخر عمره والضمير للانسان الموصوف
وقيل هو ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال
مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله احد لان
الامر لله وحده في ذلك اليوم او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه
يا ايتها النفس على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما
له كما كلم موسى صلوات الله عليه او على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التي لا يستفزها
خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا
يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة
فان قلت متى يقال لها ذلك قلت اما عند الموت واما عند
البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك راضية بما اوتيته مرضية
عند الله سبحانه فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم

كلا اذا دكت الارض دكا دكا
وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ
بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له
الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ
لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك
راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

وادخلي جنتي معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقرا ابن
مسعود فادخلي في جسد عبدي وقرا ابي ايتي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب ابن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا
وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله
وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له
نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق
والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد يعني
ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير
الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك و
قتلك وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من
حالهم في عداوته او سلى رسول الله بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة
الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا
البلد يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله
تعالى فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما
شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار
ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى يوم القيمة
لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها
ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس رضي الله عنه
يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر
فان قلت اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله
عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام
والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة
المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق
مكية واين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح فان قلت ما المراد بوالد
وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده
الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم ومنشا ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه
فان قلت لم نكر قلت للابهام المستقل بالمدح والتعجب فان
قلت هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما

ومنعت

وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وقيل هما ادم وولده وقيل
كل والد وولد والكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت
فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه
واصله كبده اذا اصاب كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام
الخصوم في كبد اي في شدة الامر وصعوبة الخطب والضمير في ايحسب لبعض صناديد
قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى
ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولن يقدر
على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه يقول
اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم
ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس
وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز ان يكون الضمير
للانسان على ان المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه ان ك حل به مما يقترفه
اهله من الماثم متحرج بري فهو حقيق بان اعظمه بقسمي لقد خلقنا الانسان
في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين
خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب ان لن يقدر
عليه احد هو ابو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول
من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن
المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ
لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد الم نجعل له عينين يبصر بهما
المرئيات ولسانا يترجم به عما في ضميره وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما
على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين اي طريقي الخير
والشر وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال
الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو اصل كل طاعة
واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق
المرضي النافع عند الله لا ان يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح
فيها صر اصابت حرث قوم الاية فان قلت قل ما تقع لا الداخلة على الماضي
الا مكررة ونحو قوله فلا صدق ولا صلى لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام
الافصح قلت هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك
رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله
ثم كان من الذين امنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا امن والاقتحام الدخول
والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها

بسم الله الرحمن الرحيم
لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان

ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول
اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد
الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة
فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان
من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة

لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة
الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان ‌ وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة
وتفك الرقبة قال او ليسا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في
تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افاضل الاعمال وعن ابي حنيفة رحمه الله
ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية ادل على قول ابي
حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في
ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك
رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار قرئ فك رقبة او اطعام على هي فك
رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما
ادراك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها
عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب
يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما
اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله ذا متربة الذي ماواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول
النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه
او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ‌ ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان
وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق
المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا
بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن
التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله
سبحانه الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اي الميامين على انفسهم
والمشائيم عليهن قرئ موصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب وآصدته اذا اطبقته
واغلقته وعن ابي بكر ابن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان
من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ضحاها ضوؤها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه
شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد
اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها

وذلك

وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور
اذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء
وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون
الغداة وارسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق فان قلت
الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر
فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان
تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت
الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف
شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء
سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن
عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب
لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما
طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم
والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء
والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم
سبحان ما سخركن لنا فان قلت ‌ لم نكرت النفس قلت ‌ فيه
وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم صلوات الله
عليه كانه قال وواحدة من النفوس والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على
الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما
وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح
من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية
الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس
كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس رضي الله عنه عنه فقال اتقرأ قد افلح من زكى
وقد خاب من حملها ... واما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تأنيث
الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا
هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه فان
قلت ‌ فاين جواب القسم قلت ‌ هو محذوف تقديره ليدمدمن
الله اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا
واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد
وليس من جواب القسم في شيء الباء في بطغواها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من
الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها

اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها

وتركوا القلب في الصفة فقالوا امراة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغياها
كما تقول ظلمني بجراته على الله وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله
فاهلكوا بالطاغية وقرا الحسن بطغواها بضم الطا كالحسنى والرجعى في المصادر
اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف ويجوز ان يكونوا
جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمونث
وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم والضمير فيهم يجوز ان يكون للاشقيان
والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كان شقاوته اظهر وابلغ وناقة الله
نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا واحذروا
عقرها وسقياها فلا تذروها عنها ولا تستاثروا بها عليها فدمدم فهلكهم بسبب
من نزول العذاب ان فعلوا فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم
ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب
فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر فسواها الضمير للدمدمة اي فسواها بينهم لم يفلت
منها صغيرهم ولا كبيرهم ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب
من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض
او في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف
وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المغشي اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشي الليل
النهار واما كل شيء يواريه الظلام من قوله اذا وقب تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل
او تبين وينكشف بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر
على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما ادم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه
وسلم والذكر والانثى وقرا ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي
وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله اي و
مخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم بانفراده بالخلق اذ لا
خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى
وان اشكل امره عندنا فهو عند الله تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة والانوثة فلو
حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه
في الحقيقة اما ذكرا وانثى وان كان مشكلا عندنا شتى جمع شتيت اي ان مساعيكم
اشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره اعطى يعني حقوق ماله واتقى الله

فلم

كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث
اشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله
وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم
عليهم ربهم فسواها ولا يخاف عقباها
بسم الله الرحمن الرحيم
والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما
خلق الذكر والانثى ان سعيكم
لشتى فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من

فلم يعصم وصدق بالحسنى بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي
ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها
من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق
له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها
من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام واستغنى وزهد فيما عند
الله كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في
مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة
اعسر شيء عليه واشده من قوله ويجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء
او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسرى وطريقة الشر العسرى لان
عاقبتها العسرى واراد بهما طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الاخرة للطريقين
وقيل نزلتا في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابي سفيان بن حرب وما يغني عنه استفهام
في معنى الانكار او نفي تردى تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى
في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى ان الارشاد الى الحق واجب
علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا للاخرة والاولى اي ثواب الدارين
للمهتدي كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين وقرا ابو الزبير
تتلظى فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى
وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا
بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى
فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان اشقى المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة
لا الاتقى منهم خاصة قلت الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم
من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل
الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا
بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر رضي
الله عنه يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا
سمعة او يتفعل من الزكوة فان قلت ما محل يتزكى قلت
هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات
لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب ابتغاء وجه ربه مستثنى
من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في
الدار احد الا حمارا وقرا يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول
ما في الدار احد الا حمار وانشد في اللغتين قول بشر بن ابي خازم
اضحت قفارا خلاء لا انيس بها الا الجاذر والظلمان تختلف وقول القائل

بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى وما يغني عنه
ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا
للاخرة والاولى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها
الا الاشقى الذي كذب وتولى و
سيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى
وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى

وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس ويجوز ان يكون الا ابتغاء وجه ربه الاعلى مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى الذي يرضيه ولسوف يرضى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها ضحى وقيل اريد بالضحى النهار بيانه بقوله انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى والقي فيها السحرة سجدا لقوله وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد بالضحى النهار بيانه قوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت امواجه وطرف ساج فاتر ساكن ما ودعك جواب القسم ومعناه ما انقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال وثم ودعنا ال عمرو وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تاخر عن رسول الله اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فاوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت كيف اتصل قوله وللاخرة خير لك من الاولى بما قبله قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الاخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح الله على خلفائه الراشدين في اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس رضي الله عنه له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فان قلت ما هذه اللام الداخلة على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ربك كما ذكرنا في

بسم الله الرحمن الرحيم
والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى

لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك لانها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فبقي ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله ولانت سوف يعطيك فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير قلت معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لما في التاخير من المصلحة عدد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من اول تربيته وابتداء نشئه ترشيحا لما اراد ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره والم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك وقرئ فاوى وهو على معنيين اما من اواه بمعنى اواه سمع بعض العرب الرعاة يقول اين اوي هذه واما من اوى له اذا رحمه ضالا معناه الضلال عن علم الشرايع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهدى عرفك القران والشرايع او فازال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر عائلا فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبابي وامي ما هو كهرني النهر والنهي الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقران فحدث اقراه وبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله ابن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرات كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس امثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدى به غيره

الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث

وامن على نفسه الفتنة والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى
وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فاواك الله
وهداك واغناك ومهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه
الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف فعل
الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك
بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن
مقتديا في هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى
جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار
فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه
ووضعنا عنك اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة
ودعوة الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او
فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى
والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور رحمه الله الم نشرح بفتح
الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها والوزر الذي انقض
ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل
على رسول الله ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام والشرائع او من
تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له او علم الشرائع
او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرئ ويحلل وحللنا وحططنا وعن ابن مسعود وحللنا
عنك وقرك ورفع ذكره ان قرنه بذكر الله في كلمة الشهادة والاقامة والاذان والتشهد
والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله
واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب
الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به فان قلت اي فائدة
في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه قلت في زيادة لك ما في طريقة الابهام
والايضاح كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما
وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك فان قلت كيف تعلق قوله فان مع
العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين
بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم
فذكره ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك
فلا تياس من فضل الله فان مع العسر الذي انتم فيه يسرا فان قلت ان مع

للصحبة

بسم الله الرحمن الرحيم
الم نشرح لك صدرك ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا

للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر قلت اراد ان الله يصيبهم بيسر
بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر
زيادة في التسلية وتقوية القلوب فان قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة
الرجاء وان وعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه ان تكون
الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس
وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وان تكون الاولى عدة مستانفة
بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو
اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك
ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر
متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير
البعض الاول بغير اشكال فان قلت فما المراد باليسرين قلت
يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله وما تيسر لهم في ايام الخلفاء وان يراد
يسر الدنيا ويسر الآخرة لقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى
الظفر وحسنى الثواب فان قلت فما معنى هذا التنكير قلت التفخيم كانه
قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة فان قلت
فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر
حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين قلت كانه قصد باليسرين ما في قوله
يسرا من معنى التفخيم فتاوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة فان قلت
فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد عليه نعمه السالفة
ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها
وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى
وعن ابن عباس رضي الله عنه فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن
فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب
في صلاتك وعن الشعبي انه راى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود
الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه الراي
وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم
فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست
بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرا فانصب بكسر الصاد اي فانصب
عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرا هكذا ويجعله امرا بالنصب
الذي هو بغض علي وعداوته والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله

ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب
والى ربك فارغب

متوكلا عليه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف
الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه
وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا
عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ
منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك
الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك
الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل هما جبلان من
الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون
وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل
ومنابت التين والزيتون واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون
يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب
والبلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة فهو امين وقيل امان كما قيل كرام
في كريم وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا
بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا
بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر
فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم
ومولد عيسى ومنشاه والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت
الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله ومبعثه في احسن تقويم في احسن تعديل
لشكله وصورته وتسوية اعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر تلك الخلقة
الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح
صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او رددناه
بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه
في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان
بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته
خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرا عبد الله اسفل السافلين فان قلت
فكيف الاستثناء على المذهبين قلت هو على الاول متصل ظاهر الاتصال
وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع
على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام

بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون وطور سينين
وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل
سافلين الا الذين امنوا وعملوا

بالعبادة

بالعبادة على تخاذل نهوضهم فان قلت فما يكذبك من المخاطب به قلت
هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يحملك ان تكون كاذبا بسبب الدين وانكاره
بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب
فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله
الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه
بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ
ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على
هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار
وانه يحكم عليهم بما هم اهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال
بلى وانا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين
اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من
الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم
عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما
نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل بسم الله
ثم اقرا فان قلت كيف قال الذي خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان
قلت هو على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد الذي حصل منه الخلق
واستاثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه
مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص
للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض
ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القران خلق الانسان فقيل
الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب
فطرته فان قلت لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة لقوله من نطفة
ثم من علقة قلت لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر
الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم
عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم
الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه
ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة

الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك
بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين
بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم
بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط
بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم
ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا
ولو لم تكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به
ولبعضهم في صفة القلم ورواقم رقش كمثل اراقم قطف الخطى نيالة اقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى وقرا ابن الزبير علم
الخط بالقلم كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام
عليه ان راه ان راى نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني وذلك بعض
خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين
الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات
الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى
الرجوع وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهى وروي انه قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا
ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت
فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله عن الدعاء
ابقاء عليهم وروي عنه لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا
نعم قال فالذي يحلف به لئن رايته توطات عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا
له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت
ارايت الذي ينهى ومعناه اخبرني عن من ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك
الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او كان امرا بالمعروف والتقوى
فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي
عن الدين الصحيح كما تقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه
وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد فان قلت ما متعلق ارايت
قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين فان قلت
فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى
الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت
فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني
وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه فان قلت فما ارايت الثانية وتوسطها
بين مفعولي ارايت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن ان امية بن خلف
كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا ردع لابي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله
تعالى وامره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن

بناصيته

كلا ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى ان الى ربك الرجعى ارايت
الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان
كان على الهدى او امر بالتقوى
ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان
الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا

بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن
معدي كرب قوم اذا يقع الصريخ رايتهم من بين ملجم مهره او سافع وقرئ لنسفعن
بالنون المشددة وقرا ابن مسعود لاسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما
علم انها ناصية المذكور اكتفي بلام العهد عن الاضافة ناصية بدل من الناصية
وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي
ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازي
وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ
والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير
لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة
المجالس روي ان ابا جهل مر برسول الله وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت وقرا ابن ابي عبلة
سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية
من الزبن وهو الدفع وقيل زبني كانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله
زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع لابي جهل لا تطعه
اثبت على ما انت عليه من عصيانه لقوله ولا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك
يريد الصلاة واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه
اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما
قرا المفصل كله **سورة القدر مختلف فيها وهي خمس ايات**

بسم الله الرحمن الرحيم

عظم القران من ثلاثة اوجه احدها ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره
والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه
عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه روي انه انزل جملة واحدة
في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل على السفرة ثم كان
ينزله على رسول الله نجوما في ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا ابتدانا
انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في
العشر الاواخر في وتارها واكثر القول انها السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها
ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه
وان لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى
ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل
سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي وخطرها وما ادراك ما ليلة القدر يعني ولم

بالناصية ناصية كاذبة خاطئة
فليدع ناديه سندع الزبانية كلا
لا تطعه واسجد واقترب بسم الله الرحمن الرحيم
انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك

تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر
وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها
من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر
فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك
الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر
فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولائك العباد تنزل الى
السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح جبرائيل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة
الا تلك الليلة من كل امر تتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل
وقرئ من كل امرئ اي من كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في
تلك الليلة سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير
ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين
وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر
اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة البينة مكية وقيل مدنية وهي ثماني ايات

بسم الله الرحمن الرحيم كان الكفار من الفريقين
اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا
ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب
في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه
ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق
على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول
ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه
حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم
تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار
يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه
به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند
مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله
رسولا حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات
قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم
عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من امن ومنهم من كفر وانكر وقال ليس به ومنهم من
عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد

اهل

ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف
شهر تنزل الملائكة والروح فيه باذن
ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع
الفجر بسم الله الرحمن الرحيم
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تاتيهم
البينة رسول من الله يتلو صحفا
مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق

اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت لانهم كانوا على علم
به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف
وما امروا يعني في التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك
دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تاويل الدين بالملة
فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت
معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ
ابن مسعود الا ان يعبدوا والمعنى بان يعبدوا وقرأ نافع البريئة بالهمز والقراء
على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل وقرئ
خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جمع جيد وطيب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مسا ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم زلزالها قرئ
بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الاسم فعلال بالفتح الا في
المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه
زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده
ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام
والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه والاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت
وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت
هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل
وتلفظ امواتها فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا
وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون فان قلت ما معنى تحديث الارض والايحاء اليها قلت
هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر
من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما
كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها
من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها
فان قلت اذا ويومئذ ما ناصبهما قلت يومئذ بدل من اذا وناصبهما
تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث فان قلت اين مفعولا
تحدث قلت قد حذف اولهما والثاني اخبارها فان قلت بم تعلقت
الباء في قوله بان ربك قلت بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك
لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها

الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا
الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين في نار
جهنم خالدين فيها اولائك هم شر البرية ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات اولائك هم
خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه
بسم الله الرحمن الرحيم
اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض
اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ
تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها

اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل النصيحة
بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث
باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى
اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان نقول له كن قال اوحى لها القرار فاستقرت وقرأ ابن
مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف يصدرون عن مخارجهم
من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه امنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون
عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم وفي قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم ليروا بفتح الياء وقرأ ابن عباس وزيد بن علي رضي الله عنهم يره
بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال

خذا بطن هرشى او قفاها فانه   كلا جانبي هرشى لهن طريق

والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فان قلت
حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل
الذر من الخير والشر قلت معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء
ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن
كله

سورة والعاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم   اقسم بخيل الغزاة
تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال
اح اح قال عنترة   والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا   وانتصاب ضبحا
على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو او على
الحال او ضابحات فالموريات توري نار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها قدحا
قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح
فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير على العدو
صبحا في وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به بذلك
الوقت او بالنقع اي وسطن النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه
بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز
ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد
ومتى ينقع صراخ صادق اي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ ابو حيوة فاثرن
بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى
وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله
واتوا به او هي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن

يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه لحب الخير



العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما
قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على راسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت
لاول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات
ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير
الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر وما اشبه ذلك
وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل
وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة فان قلت
علام عطف فاثرن قلت على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتي عدون
فاورين فاغرن فاثرن الكنود الكفور كند النعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه
ففارقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان
مضر وربيعة الكفور يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة
غير ربه تفريط قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم على الانسان من غيره نعمة ابويه ثم ان
عظماها في جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد
يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد
الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد
قال طرفة   ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي   عقيلة مال الفاحش المتشدد   يعني
وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوي وانه
لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف
متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه
لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث
وحصل وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف اي اظهر محصلا
مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيامة
مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبرته بهم وقرأ ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهي عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم   الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة
اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف
والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وقال جرير ان الفرزدق
ما علمت وقومه   مثل الفراش غشين نار المصطلي   وفي امثالهم اضعف من فراشة
واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف

افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش

المصبغ الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها وقرا ابن مسعود كالصوف الموازين
جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه
حديث ابي بكر لعمر رضي الله عنهما في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم
القيمة باتباعهم الحق وثقله عليهم في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما
خفت موازين من خفت موازينهم باتباعهم الباطل وخفته عليهم في الدنيا وحق لميزان لا يوضع
فيه الا السيئات ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه
لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال
هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل حين يؤوب
فكانه قيل فاما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من اسماء النار وكانها النار
العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين خريفا اي فماواه النار
وقيل للماوى ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه وعن قتادة فامه هاوية فام
راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا ماهيه ضمير الداهية التي دل عليها
قوله فامه هاوية في التفسير الاول او ضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ
حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها
مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم
القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الهاه عن كذا واقهاه اذا شغله
والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر روي
ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت
بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى
انكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر
عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر
فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم
في دنياكم واخرتكم عما يعنيكم من امر الدين الذي هو اهم واعنى من كل مهم او اراد الهاكم التكاثر
بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك
عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لاخرتكم
وزيارة القبور عبارة عن الموت قال لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا
وقال الاخطل زار القبور ابو مالك فاصبح الام زوارها وعن ابن عباس رضي
الله عنه الهيكم على الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي
للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار ليخافوا
فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تاكيد للردع والانذار عليهم وفي ثم دلالة على ان الانذار

الثاني

فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة
راضية واما من خفت موازينه فامه هاويه
وما ادريك ماهيه نار حاميه
بسم الله الرحمن الرحيم
الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا
سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون

الثاني ابلغ من الاول واشد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى
سوف تعلمون الخطا فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا
التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب
يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور
التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون
الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من
تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به ما لا مدخل
فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترون بالهمز
وهي مستكرهة فان قلت لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس
مطرد قلت ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين
وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول عين اليقين اي الروية التي هي نفس اليقين
وفي الصنعة ويجوز ان يراد بالروية العلم والابصار عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم
الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان قلت ما النعيم الذي يسال عنه الانسان
ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم قلت هو نعيم من عكف همته على
استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب
لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعم الله وارزاقه التي لم
يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر
فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي انه اكل هو واصحابه
تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا واسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه
في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية

سورة والعصر مكية وهي ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله
تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته
صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم
ومكاسبهم اخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من
دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف العجائب والانسان للجنس لفي خسر
كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان الناس في خسران من تجارتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا
الاخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا
بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله
والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده

كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم
ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ
عن النعيم
بسم الله الرحمن الرحيم
والعصر ان الانسان لفي خسر الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق
وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه
ولهزه طعنه والمراد الكثير من اعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء
فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال
وان اغيب فانت الهامز اللمزه وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون
الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل
نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف
وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله والغض منه ويجوز ان يكون السبب
خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض
بالوارد فيه فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذي بدل من كل همزة او نصب على الذم وقرئ
جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده
اي جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان
ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدد
على ذلك الاذعان بحوضينوا اخلده وخلده بمعنى اي طول المال امله ومناه الاماني
البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا
يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة
الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي اخلد
صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروي انه كان للاخنس اربعة الاف
دينار وقيل عشرة الاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول في الوف لم افتد بها
من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان
ونوائب الدهر ومخافة الفقر فقال اذن تدعها لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك
كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان اي هو وماله ولينبذن بضم الذال اي
هو وانصاره ولينبذنه في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال
للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ في الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم
وتطلع على افئدتهم وهي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا
اشد تالما منه بادنى اذى يصيبه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز
ان يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى
اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن
موجبها مؤصدة مطبقة قال تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة
وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون وعمد بفتحتين والمعنى انه مؤكد باسهم في الخروج

وتيقنهم

بسم الله الرحمن الرحيم
ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده
يحسب ان ماله اخلده كلا
لينبذن في الحطمة وما ادراك
ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع
على الافئدة انها عليهم مؤصدة
في عمد ممددة

وتيقنهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد تشديدا في استيثاق
ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي يقطر
فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا مجير مستجاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم روي ان ابرهة ابن الصباح
الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان
يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة
من العرب نارا فحملتها الريح اليها فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه
محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل
كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع
فابى وعبى جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى
اليمن والى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل
طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس
انه راى منها عند ام هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على راس
الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل وروي
ان ابرهة تساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت
وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها
وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في
زمن رسول الله باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رضي الله
عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد
المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فجهمه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش
وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فلما
ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك
وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت
رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول
لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم ابدا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي
بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب
جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير

بسم الله الرحمن الرحيم

فقال لحمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته
وهو اول جدري ظهر قرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رأيت
اثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف
في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في
تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما
كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه
اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره
بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه
فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل حزائق الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث
على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة وقيل ابابيل
عبابيد وشماطيط لا واحد لها وقرأ ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اي الله تعالى او الطير
لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى سجيل كانه علم لديوان اعمال وكانه قيل
بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب
موصوف بذلك وارسلنا عليهم طيرا وارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس رضي الله
عنه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه
ورووا بيت ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجين والقصيدة نونية
مشهورة في ديوانه وشبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان يأكله
الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه اداب القرآن كقوله
كانا يأكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله
فليعبدوا رب هذا البيت امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت
فلم دخلت الفاء قلت لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه
لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه
الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله
اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق
معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل
وعن عمر انه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى انه اهلك
الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم
فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش

رحلتان

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء

رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون
وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس
غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته
فانا مؤلف قال من المؤلفات الرهو غير الاوارك وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة
قريش وقيل يقال الفته الفا والافا وقرأ ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال
زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة
الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة
في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سأل ابن عباس رضي الله
عنه لم سميت قريش قال لدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا والتصغير للتعظيم وقيل من
القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق الايلاف
ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة ونصب
الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد
لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها
والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه
قبلها وامنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم
وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وامنهم من خوف الجذام
فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم صلوات الله عليه ومن بدع [illegible]
وامنهم من خوف من ان تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد
من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة ارايت مكية وقيل مدنية وهي سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم
قرئ ارايت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن
العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه
صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرأ ابن
مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي والمعنى
هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء
هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر
وخشونة وقرئ يدع اي يتركه ويجفو ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل طعام
المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني

والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين

انه لو امن بالجزاء لايقن وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك
فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه
في التحذير من المعصية وانها جديرة ان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد
اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين
الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالات بها حتى تفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها
كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها من غير خشوع
واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث بالحية والثياب وكثرة التثاوب
والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرا من السور وكما ترى صلاة
اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هولاء
احق بان يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر
والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة
الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم
من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على
الذي يكذب بالدين اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت
محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه يقول اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء و
فيمن يوذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا
علم انه مسي فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم
لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين
اموالهم فان قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب
وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به الجنس فان قلت
اي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قوله في صلاتهم قلت معنى عن
انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او
الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان
او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم
وعن انس رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقرا ابن مسعود رضي الله
عنه لاهون فان قلت ما معنى المراءاة قلت هي مفاعلة
من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب
به ولا يكون الانسان مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض
الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام
الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة

بالاظهار

فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم
ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون

بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره
قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه
بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال
ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان
اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكاة
قال الراعي قوم على الاسلام لم يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود
ما يتعاور في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عايشة رضي الله
عنها الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن
اضطرار وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
ارايت غفر الله له ان كان للزكاة موديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم انا
انطيناك بالنون وفي حديثه عليه السلام انطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط
الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم اب ابنك قالت اب بكوثر وقال
وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقايل كوثرا وقيل الكوثر نهر في
الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر
انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا
من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد
نجوم السماء وروي لا يظما من يشرب منها ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو
الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم
وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنه انه فسر
الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال
هو من الخير الكثير والنحر نحر البدن وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل
صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى
اعطيت الاعطاء الكثرة من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله انا
اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره من اكرم
معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي عزك باعطائه وشرفك وصانك من منن
الخلق من اعمال قومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت
مخالفا لهم في النحر للاوثان ان من ابغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الابتر
لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك

بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
ان شانئك هو الابتر

مرفوع على المنابر والمنارة وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر يبدء بذكر الله ويثني
بذكرك ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له ابتر وانما الابتر
هو شانيك المنسي في الدنيا والاخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان
محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص ابن وائل وقد سماه الابتر
والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرء سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة وكتب له عشر حسنات
بكل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه

سورة الكافرين مكية وهي ست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم
انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك
تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره قالوا فاستلم
بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش
فقام على رؤسهم فقراها عليهم فايسوا لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا
لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال
الا ترى ان لن تاكيد لما تنفيه لا وقال الخليل في لن ان اصلها لا ان والمعنى لا افعل في
المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من
عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه
يعني لم تعهد واميني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون
ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت
كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد
الله في ذلك الوقت فان قلت فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد
الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم
ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى انني نبي مبعوث
اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى
الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرء سورة الكافرين فكانما قرء ربع القران
وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل
والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة روي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة
الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه قلت
النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد

والمعنى

بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد
ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد
لكم دينكم ولي دين
بسم الله الرحمن الرحيم
اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

فاما من
راضية
وما ا
لبسـ
الهاكم
سوف

والمعنى نصر رسول الله على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله المؤمنين
وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين في شهر رمضان سنة ثمان ومع
رسول الله عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوايف العرب واقام بها خمس عشرة
ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما
ترون اني فاعل قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له
فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام في دين الله في ملة الاسلام
التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه افواجا
جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا
او اثنين اثنين وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل
اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة رضي الله عنه لما نزلت قال رسول الله الله اكبر
جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان
والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله اقبلت
العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله
اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير
قتال وقرا ابن عباس رضي الله عنه فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول
فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان
رايت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك
فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان
يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته
والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة
صلى صلاة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يكثر قبل
موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك والامر بالاستغفار مع
التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراز من المعصية
وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله
وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم
والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها رسول الله على اصحابه استبشروا وبكى العباس
رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال
انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس

هو الذي قال ذلك فقال رسول الله لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انها لما
نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا
وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا
واموالنا واباينا واولادنا وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له مع
اهل بدر فقال عبد الرحمن اتاذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن
قد علمتم فقال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قوله تعالى اذا جاء
نصر الله والفتح ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره
ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل
ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا
فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك
اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع كان توابا اي
كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر
ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله
اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة
ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا
ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين
والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله
جزاك الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل وتدل عليه قراءة ابن مسعود
وقد تب وروي انه لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه
فاجتمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح
هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو
لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت
فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مشهورا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل
معروفا باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان
فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك
قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي ابن ابو طالب ومعاوية ابن ابو سفيان لئلا يغير
منه شيء فيشكل على السامع وكان بمكة رجل يقال له عبد الله بالجر والاخر عبد الله
بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان
من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها

ويقال

بسم الله الرحمن الرحيم
تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى
عنه ماله وما كسب سيصلى
نارا ذات لهب وامراته حمالة الحطب
في جيدها حبل من مسد

ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه
واشراقهما ويجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون
وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ما اغنى استفهام في معنى
الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية بمعنى
ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني راس المال
والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي
ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس
ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه
بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام
ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله
وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه
على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا
فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي سيصلى قرئ بفتح الياء وضمها مخففا ومشددا
والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامراته هي ام جميل بنت
حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان وتنثرها
بالليل في طريق رسول الله وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد
بين الناس تحمل الحطب بينهم اي توقد بينهم الثائرة وتورث الشر قال
من البيض لم تصطد على ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب جعله
رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في
سيصلى هو وامراته في جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وانا
استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة
الحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال
فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال ومسد امر من ايانق ورجل ممسود
الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من
الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها
بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت
العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل ابن العباس
ابن عتبة ابن ابي لهب بحمالة الحطب فقال غرينا داحة في المجد عرتها كانت سليلة
شيخ ثاقب الحسب ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي
كانت عليه حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة

الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما
يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان
لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك
هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت
ما محل هو قلت الرفع على الابتدا والخبر الجملة فان قلت فالجملة
الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم
المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا في المعنى وذلك ان قولك الله احد هو
الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان
على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا
ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سالتموني وصفه هو الله واحد بدل
من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله
احد بغير قل وفي قراءة النبي صلوات الله عليه الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله
احد كان بعدل القران وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين
وانما اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين
وكسره لالتقاء الساكنين والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد
المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات
والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه
كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى تكون له
من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن
له صاحبة ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس
بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح
نفيا للصاحبة سالوه ان يصفه لهم فاوحي اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو
الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشيا وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم
لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام
وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء
وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم تكن الا محتاجا اليه فهو
غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح
وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفي للشبه
والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت

بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد

الكلام

الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه
على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح كلام قلت هذا الكلام انما سيق
لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان
لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفوا بفتح الكاف والفاء
وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة عدل
القران كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود
وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف
بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله
بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته
ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف
منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن
ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر
لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين لك القائلين بعدلك وتوحيدك
الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى ابي
وانس عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل
هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي
نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد
فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق
عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح
ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات
والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير
ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض الفلق والجمع
فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من
خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل
وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق
من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة
بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين
منهم من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من
انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه

بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق
ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات
في العقد ومن شر حاسد اذا حسد

من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما راى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عايشة اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تاثير لذلك اللهم الا ان كان ثم اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الحق الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسب الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبئون به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلاثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك اذا حسد اي اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسد بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين وقال ابو تمام وما حاسد في

الكرمات

المكرمات بحاسد وقال ان العلى حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مختلف فيها وهي ست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة فان قلت لم قيل رب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم فان قلت ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق ثم زيد بيانا باله الناس بانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفي باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر رضي الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداعي وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم بين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك

بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس
من شر الوسواس الخناس
الذي يوسوس في صدور الناس
من الجنة والناس

لن تقرء سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتان

قال جار الله العلامة عبد الله الفقير اليه وانا

اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة
من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين او يعود في العاقبة بالندم او يقدح في الايمان
المسوط باللحم والدم واساله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم
الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي هو الشيبة في الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة
للاثام وبما عنيت به من مهاجرتي اليه ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي على لوكل
من القوى وتخاذل من الخطى ثم اساله بحق صراطه المستقيم وقرانه المجيد الكريم
وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين في عمل الكشاف عن حقايقه المخلص
عن مضايقه المطلع على غوامضه المثبت في مداحضه الملخص لنكته ولطايف
نظمه المنقر عن فقره وجواهر علمه المكثر بالفوائد المفتنة التي لا توجد الا فيه
المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب
المستكره المملول ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد كل شيء على قانونه لكفى به
ضالة ينشدها محققة الاحبار وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار وبما
شرفني به ومجدني واختصني بكلماته وتوحيدني من ارتفاعه على يدي
في مهبط بشاراته ونذره ومتنزل اياته وسوره من البلد الامين بين
ظهراني الحرم وبين يدي البيت المحرم حتى وقع التاويل حيث وقع التنزيل
ان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد
ولا يفضحني على رؤس الاشهاد ويحلني دار المقامة من فضله بواسع طوله
وسابغ نوله انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم قال المؤلف وهذه النسخة
قد تمت في جناح دار السليمانية ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة
ثمان وعشرين وخمسمائة وها انا حامد لله على باهر كرمه ومصل على محمد عبده ورسوله
وعلى اله واصحابه اجمعين

٣

وقد تم نسخ هذا الكتاب بعون الله الكريم الوهاب بقلم الفقير الحقير المعترف بالذنب
والتقصير الراجي عفو ربه القدير عبد الله ابن الشيخ عبد العزيز الترمانيني مولدا
الحلبي اقامة الشافعي مذهبا القادري طريقة المجاور يومئذ في مدرسة الشعبانية بحلب المحمية
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولمن كان سببا في كتابة هذا الكتاب ولوالديه ولاخوانه ولكل
المسلمين والحمد لله رب العالمين

وقد تم ضحوة نهار الاحد ثالث شهر
رجب الفرد من شهور سنة
الثمانين بعد المائة
والالف من هجرة
محمد من له العز
والمجد والشرف
م م
م

